دراسة

الإبداع الروائى اليوم فى لقاء الكتاب العرب والفرنسيين

د. صبرى حافظ

أقام معهد العالم العربى فى باريس على مدى أيام ثلاثة (٣ ــ ٥ مارس ١٩٨٨) لقاء بين الروائيين العرب والفرنسيين شاءت لى الظروف أن أشارك فيه ، وإن لم أدع إليه . وهذا اللقاء هو اللقاء الأول من نوعه الذى ينظمه المعهد ، بعد افتتاحه بشكل رسمى فى أواخر شهر نوفمبر الماضى . ولا تنبع أهمية هذا اللقاء من أنه الأول من نوعه فحسب ، ولكن أيضا من أنه يكشف عن طبيعة الأهداف التى يرمى المعهد إلى النهوض بها ، وعن طبيعة تصوره الخاص للدور المنوط به تحقيقه . وقبل الحديث عن هذا اللقاء وما دار فيه من حوارات خصبة أو مناقشات ضافية ، وقبل تقييمه من منطلق الحرص على تحقيق أهدافه ، أود أولا أن أقدم للقارىء نبذة مختصرة عن تلك المؤسسة الفريدة من نوعها : (معهد العالم العربى) لأن هذا المعهد بمجرد إنشائه فى باريس ؛ وبمجرد قيامه شامخا على الضفة اليسرى لنهر السين ، وهى الضفة التى ارتبطت بشتى الحركات الثقافية والفكرية التى أثرت مغامرة الثقافة الفرنسية والإنسانية على السواء ، يشكل علامة فارقة فى تاريخ الحوار العريق والمتجدد أبدا بين الثقافتين العربية والفرنسية خاصة ، وبين الحضارتين العربية والأوربية عامة . وهو حوار لم يبدأ عقب صدمة المواجهة الأولى إبان الحملة الفرنسية بين الحضارتين فى العصر الحديث كما يتوهم البعض ، ولكنه يعود إلى قرون عديدة قبل ذلك عندما وصل العرب إلى جبال البرانس وإلى مشارف ليون ، بعد استيلائهم على الأندلس . وقد اتسم هذا الحوار منذ بدايته وعبر مراحله المختلفة بقدر كبير من التوتر والصراع . وإن كانت إقامة هذا المعهد فى ذاتها تنطوى على محاولة للإجهاز على ذلك الصراع والدخول بهذا الحوار إلى مرحلة جديدة من الحرية والإخاء والمساواة ، إذا ما استعرنا الشعارات العزيزة على الفرنسيين فى هذا المجال :

المعهد . . .

وقد بدأت فكرة المعهد قبل ما يقرب من عشر سنوات ، وبدأت أولى مراحل بلورتها فى عقد تأسيس هذا المعهد الذى وقعه فى ٢٨ فبراير ١٩٨٠ سفراء ثمانى عشرة دولة عربية ، (هم كل أعضاء جامعة الدول العربية باستثناء مصر ومنظمة التحرير الفلسطينية) ورئيس الجمهورية الفرنسية (وهو فاليرى جيسكار ديستان) آنذاك ووزير خارجيته . وتقول وثيقة تأسيسه إنه مؤسسة « تهدف إلى تطوير معرفة العالم العربى وبعث حركة أبحاث معمقة حول لغته وقيمه الثقافية والروحية ، كما تهدف إلى تشجيع المبادلات والتعاون بين فرنسا والعالم العربى ، خاصة فى ميادين العلوم والتقنيات ، مساهمة

بذلك فى تنمية العلاقات بين العالم العربى وأوربا ، ولأن فرنسا تتصور لنفسها دورا رياديا فى مجال الثقافة الأوربية عامة ، فقد حرصت فيما يبدو على التأكيد فى وثيقة تأسيس المعهد على تنمية العلاقات بين العالم العربى وأوروبا برمتها لا بينه وبين فرنسا وحدها . وهذا ما يعطى المعهد بعدا ثقافيا وحضاريا واسعا . ولأن فرنسا لا تعدُّ نفسها مجرد دولة مضيفة للمعهد ومشاركة فى إنشائه فحسب ، بل تعد نفسها نائبة عن الحضارة الأوروبية برمتها ، فقد تعهدت بأن تدفع نصف ميزانيته ، وأن يكون لها نصف عدد مقاعد مجلس إدارته ، ونصف عدد الموظفين العاملين فيه . ولأن المعهد مؤسسة فرنسية . خاضعة للقانون الفرنسى ، كان على فرنسا أن تدفع ٦٠ ٪ من ميزانية المعهد الكلية ، وأن تدفع الدول العربية مجتمعة ٤٠ ٪ من هذه الميزانية ، حتى إذا ما استردت فرنسا ٢٠ ٪ من ميزانية المعهد ومصروفاته على هيئة ضرائب ، بحكم وجود المعهد فىّ أرض فرنسية ، وخضوعه لقوانينها الضريبية ، يكون ما بقى حقا من مساهمتها هو نصف الميزانية الفعلية للمعهد .

وحتى ندرك مدى ضخامة هذا المشروع الثقافى والحضارى الكبير نشير إلى أن حجم الاستثمار الأولى فيه بلغ ٣٤٠ مليون فرنك فرنسى ، أنفق منها ١٢٠ مليون فرنك على إنشاء هذا المبنى البديع الذى يقع على نهر السين فى مواجهة كاتدرائية نوتردام العريقة ، وكأنه يقيم حوارا معماريا بين الأثر التاريخى التليد ، والأثر العربى الجديد . أقول الأثر العربى الجديد ، لأن روح التصميم المعمارى هى بالدرجة الأولى تقطير للروح العربية ، ولما فى آثارها من جمال معمارى . تقطير لها فى شفافيتها التى انعكست على شفافية المبنى الذى يستخدم الزجاج كمادة بنائه الأساسية ، والأرابيسك العربى كوحدته البنائية وقد أخضعه لإمكانيات المواد المعدنية الجديدة . والحق أن جدار المعهد الجنوبى ، وهو جدار كبير يرتفع بارتفاع المبنى كله الذى يصل إلى تسع طوابق ، وهو لحسن الحظ الجانب الذى لا يطل على النهر ، يعد تحفة معمارية من حيث جمال التصميم ، وعبقرية إخضاع المواد الجديدة لجوهر الفكرة المعمارية العربية القديمة . لأنه يجسد نوعا من التقطير الفريد لفكرة الأرابيسك التى ترمى إلى السيطرة على الإضاءة وترقيقها ، وذلك باستخدام الخلايا الكهروضوئية للتحكم فى ثقوب المشربيات المعدنية الجديدة التى صيغ منها كل الحائط الزجاجى الجنوبى لمبنى هذا المعهد الجميل . فتضيق فتحاتها كلما اشتد الضوء ، وأشرقت الشمس بضوئها الباهر ، وتتسع تلك الفتحات كلما حجبتها السحب ، وما أكثرها فى جو باريس الأوروبى المتقلب . فبدلا من تلك المشربيات الثابتة التى كانت بنت العالم العربى ذى المناخ المستقر والضوء الباهر ، ها هو معمار المعهد يلجأ إلى فكرة المشربيات المرنة المتحركة ، التى تتواءم مع تحول مناخ باريس وتقلب جوها .

وعندما اختار هذا المعهد الطريق الصعب معماريا ، ورفض استئجار أحد القصور أو المبانى الجاهزة ليجعلها مقرا له . لم يفكر فى إقامة مبنى على الطراز العربى القديم ، بل استلهم هذا التراث العريق كى يحقق نوعا من التساوق بين بنائه والعمارة الباريسية المحيطة به من ناحية ، وبين آخر منجزات العمارة الحديثة (من البناء بالهياكل الفولاذية والزجاج واللدائن) ، وجوهر التصميم المعمارى التقليدى العربى من ناحية أخرى . وقد جاء المبنى بإجماع كل من شاهده ، محققا لهذا التوازن الصعب ، منسجما فى المعمار الباريسى ومتفردا فيه فى آن واحد ، يواجه جامعة جوسيو بمشربياته الرمادية الجميلة ، وكأنه يقيم بتلك المشربيات حوارا بالتناقض مع مبانى الجامعة العملية القبيحة ، وينفتح على جزيرة القديس لويس بجدرانه الزجاجية الشفافة التى تنعكس عليها مبانى الجزيرة التاريخية ، وتنداح فيها تكوينات مدينة باريس كلها مذكرة بأن المعهد يرمى إلى استيعاب تلك الحضارة والإشعاع عليها فى وقت واحد ، وإلى إقامة حوار معها ينهض على الفهم والندية وشفافية الروح . أما مدخل المعهد المطل من الناحية الغربية على بوليفار سان جيرمان الشهير والمؤدى إلى الحى اللاتينى : حى الجامعة والحركات الثقافية والفكرية ، فإنها تستوحى بتكويناتها الرخامية الجميلة ولونها الحليبى رشاقة المئذنة الإسلامية ، وصلابة الحضارة العربية وسماحتها .

وقد دفع جمال مبنى المعهد العدو قبل الصديق إلى الاعتراف بروعته ، ولكن أعداء الحضارة العربية وهم بالقطع كثيرون ، راهنوا منذ البداية على أن الشىء الجميل الوحيد فيه هو مبناه . وأنه كما قالت الصحافة الصهيونية بالذات ليس إلا قناعا لإخفاء قبح الواقع العربى . أو للمداراة على العمليات الإرهابية التى تدور فى سراديبه . بالرغم من حرص المعهد على شفافية التصميم ، وفتحه كل أبوابه للجمهور ، وطموحه لأن يكون المعادل العربى لمركز جورج بومبيدو الثقافى الذى أصبح مركزا مفتوحا للإشعاع الفنى وكعبة لقصاد النشاط الثقافى من كل أنحاء العالم . لكن مهما فعل العربى فهو مستهدف من الإعلام الصهيونى المغرض والقوى . ومن البداية بدأت المقارنة بين المعهد ومركز بومبيدو الشهير الذى يقصده أكثر من مليون زائر كل عام . ومع أن حجم المعهد لا يزيد من حيث المساحة على ربع مساحة مركز بومبيدو الشهير فقد صمد المعهد حتى الآن فى ساحة المقارنة . إذ زاره فى الشهر الأول لافتتاحه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أربعون ألف زائر وهو رقم لو استمر لبلغ عدد زواره ضعف زوار مركز بومبيدو محسوبا بالنسبة لمساحته . والحق أن هناك قدرا كبيرا من التشابه بين المؤسستين لا من حيث الوظيفة وحدها ، وإنما من حيث البنية الداخلية كذلك . فكلاهما يضم متحفا ومكتبة كبيرة ومجموعة من قاعات العرض والمحاضرات . وإن كان المعهد قد تفوق حتى الآن على المركز . فإذا كان مبنى المركز بتصميمه الحديث قد أثار ، ولا يزال ، زوبعة كبيرة انقسمت حيالها الآراء بين معضد لحداثته ومستهجن لقبحه ، فإن تصميم المعهد قد نال إعجاب الأعداء قبل الأصدقاء وأجمع الجميع على روعته وسمو ذوقه . وإذا كان المركز قد احتاج لبعض الوقت حتى يكتسب هذا العدد الكبير من الجمهور فإنه قد اجتذب قطاعا كبيرا منهم منذ الأسابيع الأولى .

والمعهد لا يريد أن يقدم الوجه المعاصر للثقافة العربية فحسب ، ولكنه يطمح إلى الإحاطة بكل جوانب العراقة القديمة فيها . ومن هنا فإن المتحف الذى يشغل خمس طوابق من المبنى الرئيسى لا يقتصر على مجموعة الفن المعاصر من رسم ونحت ، كما هو الحال فى مركز بومبيدو ، ولكنه يحول طوابقه الخمسة إلى طبقات خمس من التراث الحضارى منذ ما قبل الإسلام من العهد الحميرى والقبطى والساسانى والبيزنطى حتى العصر الحديث ، مرورا بشتى مراحل التراث الإسلامى وفنونه الزاهرة وتحتل المكتبة ستة طوابق من برج المبنى تحرص على تقديم شتى مراحل الثقافة العربية ، منذ الأدب الجاهلى وحتى الأدب المعاصر . أما قاعات العرض والمحاضرات فمن المأمول أن يشغلها المعهد بنشاط كبير حتى يجتذب الجمهور الفرنسى قبل العربى ، ويحاول من خلال هذا النشاط الإجهاز على تلك الفكرة السقيمة التى أراد بها الغرب التقليدى أن يؤكد للمتخصصين فيه أنه كانت للعرب فى سالف الأزمان حضارة قديمة زاهرة ثم اندثرت ، وكان لهم مجد غابر ما لبث أن زال . أما غير المتخصصين فيه فقد تولت أجهزة الصحافة والإعلام الغربى تشويه صورة العربى لهم . بالدرجة التى يمكننا القول معها بأن الإعلام الغربى قد عرف لفترة طويلة نوعا جديدا من عداء السامية : هو عداء العرب . وهو عداء لعب دورا رئيسيا فيه « سامیو الأمس الذين عانوا من هذا الاضطهاد من قبل . والواقع أن هذا العداء الدفين وهذه الصورة المشوهة التى يعدها كثير من الصحفيين الحقيقة ، هى التى دفعت عددا من الصحفيين الفرنسيين الذين وقعوا فى شراك هذه الصورة القوية ، وهاجموا المعهد قبل رؤيتهم له ، إلى الاعتذار للعرب وللمعهد بعد مشاهدتهم لحقيقته ، وتعرفهم على طبيعة الصورة التى يقدمها ، وهو الأمر الذى نأمل له الاستمرار والامتداد خارج نطاق الواقع الفرنسى إلى بقية أجزاء المشهد الأوروبى .

وإذا كانت مسألة تعديل تلك الصورة من المهام الأساسية التى يطمح مثل هذا المعهد إلى تحقيقها ، فإن إقامة حو ر حقيقى مع الحضارة الغربية ، ومع الواقع الثقافى الفرنسى ، وعلى أساس من التكافؤ والندية لا تقل أهمية عنها . والواقع أن هذه المهمة هى المهمة التى يجب أن تتصدر وعى القائمين على المعهد أو المفكرين فى إنشائه . فمن مصلحة الثقافتين والحضارتين معا أن يقوم مثل هذا الحوار ، وأن يمد جسورا وطيدة من الفهم والصداقة بين الحضارتين ، وأن يجهز على تلك الرِّيب الدفينة لدى كل منهما تجاه الأخرى .

ومن منطلق الوعى بأهمية الدور الذى ينبغى على المعهد القيام به ، ومن موقع الحرص على الرسالة الأساسية التى ينبغى عليه النهوض بها ، أود أن أورد هنا بعض الملاحظات قبل أن نتناول الطريقة التى أدار بها المعهد أولى فصول هذا الحوار الحضارى الثقافى الهام فى أولى ندواته بعد افتتاح مقره الجديد .

(أ) أولى هذه الملاحظات هى مسألة عضوية مصر فى هذا المعهد ، وتمثيل فلسطين فيه . فلا يمكن تصور ثقافة عربية حديثة ، أو حتى حضارة عربية معاصرة تغفل إسهام مصر العربية الثقافى ، وهذا أمر لم يستطعه المشرفون على المعهد الذين اعترفوا بإسهام مصر فى المتحف أو المكتبة أو حتى فى الندوة التى خصصت للرواية . فلم يكن ممكننا مناقشة الرواية العربية دون أن يكون الإسهام العربى المصرى فى مركز هذا النقاش .

أما فلسطين فهى قلب القضية العربية ولا يمكن لأى حوار عنها أن يكون ذا معنى بدونها . ولذلك أدعو إلى أن تحتل كل منهما مقعدها فى هيئة هذا المعهد ، وأن تشارك كل منهما بكل ثقلها الحضارى والرمزى فى كل نشاطاته .

(ب) ثانى هذه الملاحظات هى وقوع الجانب العربى فى خطأ مبدئى ، هو إنشاء المعهد كمؤسسة فرنسية ، وليس كمؤسسة دولية . وليست هذه مسألة شكلية بأى حال من الأحوال ولكنها مسألة جوهرية ، لأنها تقلل من الضمانات التى يمكنها أن تحمى الجانب العربى . وقد بدأ الكثيرون يستشعرون آثار هذا الخطأ . ليس فقط من خلال غلبة النفوذ الفرنسى عليه حتى الآن . ولكن أيضا لأنه لم يؤسس وفق الأعراف الدولية ، بضمانات نسب التمثيل فأصبح الجانب العربى فيه تنويعا آخر على الجانب الفرنسى ، وليس ندا له أو مختلفا عنه . فقد سيطر عليه وظيفيا ــ ضمن نطاق الحصة العربية ــ عناصر عربية اسما ، ولكنها فرنسية الهوى والمنزع ، تحوم حول بعضها

شبهات العمل لا للصالح العربى ، وإنما لمصلحة « المكتب الثانى » الفرنسى . هذا فضلا عن أن غياب التكافؤ فى التمثيل بدأ يؤدى إلى ظهور أشكال التعصب القطرى الكريهة وهى أمور أقل ما تؤدى إليه هو الإجهاز على فرصة الندية ، وبالتالى القضاء على فكرة الحوار قبل أن تبدأ . ولابد من البدء فورا بتغيير التركيبة الوظيفية للمعهد ، حتى يمكن تغيير التركيبة الموقفية فيه .

(ج) ثالث هذه الملاحظات ضرورة أن يكون الجانب العربى فيه رؤية فكرية قومية واضحة ، على قدر كبير من الصلابة والتماسك ، تتبلور من خلال حوار فكرى عربى ــ عربى أولا لبلورة مرتكزات الحوار مع الآخر الأوروبى . وذلك حتى لا تظهر الخلافات العربية على السطح ، وبالتالى تتأكد عبر سلوكيات الجانب العربى كل الأفكار الشائهة عن العرب ، والتى ينبغى أن يكون هدفنا من الحوار هو تعديلها . إن الموقف العربى المتماسك فكريا هو المنطلق الأول لأى حوار مع الغرب نطمح فى أن يكون له معنى .

إشكاليات الحوار وقضاياه :

والآن وبعد أن تناولنا طبيعة تركيبة معهد العالم العربى وتكوينه ومراميه ، نبدأ الحديث عن اللقاء الذى عقده هذا المعهد ، وافتتح به أول لقاءاته الأدبية فى مبناه الجديد الجميل المشرف على نهر السين . وقد دار هذا اللقاء الذى نظمته مديرية العلاقات الثقافية بالمعهد ، بالتعاون مع المجلة الأدبية الفرنسية(ماجازين ليتيرير) وإذاعة فرنسا الثقافية تحت عنوان « الإبداع الروائى اليوم »، على مدى ثلاثة أيام (٣ ــ ٥ مارس ١٩٨٨) فى مبنى المعهد . وشارك فيه عدد من الروائيين والنقاد العرب والفرنسيين . وسأبدأ بعرض ما جرى فى هذا اللقاء جلسة بجلسة ثم أعلق عليه . ومن البداية شاء منظموا هذا اللقاء فيما يبدو ، أن يجمعوا بين طبيعة اللقاء الأدبى الجاد ، وفرنسا مولعة بجدية الجدل والنقاش عندما يتعلق الأمر بالثقافة ، وبين شعبية اللقاء وتوسيع دائرة تأثيره الجماهيرية والإعلامية . والثقافة الجادة فى فرنسا ليست بعيدة عن الاهتمام الشعبى الواسع بأى حال من الأحوال .

ولذلك لم يلجأ المعهد إلى شكل مائدة الحوار المستديرة التى يجلس حولها المتحاورون فى غرفة مغلقة يتداولون ما يعرض عليهم من قضايا ، وإنما إلى شكل المنصة التى يدور عليها الحوار بين المشتركين أمام جمهور واسع من الحضور الذين غصت بهم قاعة المسرح والمحاضرات الرئيسية بالمعهد ، والذين يشير عددهم وقد قارب الألف فى أيام اللقاء الثلاثة إلى قدر ملموس من النجاح . خاصة إذا ما عرفنا أن جانبا كبيرا من الحضور كانوا من المتخصصين : من نقاد وأساتذة أدب وطلاب بحث وصحفيين . وأن الحوار كان ، فى أغلبه على درجة غير قليلة من التخصص . ولا يمكن هنا الفصل بين شكل إدارة اللقاء والمضمون الذى ينطوى عليه هذا الشكل . لأن طريقة تنظيم أى لقاء تتضمن جزءا غير هين من رسالته ، وتشارك فى تحديد طبيعته ، ومستوى المعالجة فيه .

والمنصة يفترض أن تقوم بدور يؤثر فى السامعين ويجذب انتباههم وقد أثر ذلك فعلا على سير الحوار (فبعد كلمتين افتتاحيتين قصيرتين من باسم الجسر مدير معهد العالم العربى وكان حريًا بمدير هذه المؤسسة أن يكون شخصية عربية مرموقة عند العرب حتى يمكنها أن تكسب تقدير الفرنسيين) وبدر الدين عرودكى ، مدير العلاقات الثقافية به . بدأ الحوار بجلسة حول المكانة التى يحتلها الكاتب ، والروائى خاصة ، ضمن حضارته . قدم فيها كل من الروائى الفرنسى البير ميمى والكاتب العربى الفلسطينى جبرا إبراهيم جبرا تصوره عن هذه المكانة ، ثم عقب على هذا التصور عدد من الكتاب الفرنسيين (فرانسواز جايار ، وديدييه ديكوان ، وعبد الوهاب المؤدب) والعرب (مطاع صفدى وعبد السلام العجيلى) ثم فتح المجال للقاعة للإسهام فى التعقيب ، وإدارة حوار بينها وبين المنصة . وقبل مناقشة أى من تلك التعقيبات التى تكشف لنا عن مدى تحقق الحوار أو غيابه . علينا أولا أن نعرض للأفكار الأساسية التى طرحها المتحدثان الرئيسيان حول هذا الموضوع .

وبدأ ألبير ميمى حديثه بطرح مسألة الوعى واشكالياته فى العمل الإبداعى ، وكيف أن تؤدى جُرعة الوعى فيه إلى نضوب العناصر الإبداعية . لكن شحوبها يفقر العمل كذلك . وربما كان العنصر الذى يضمن وجود درجة من درجات الوعى فى كل نص مكتوب ، هو نوع من اللاوعى الذى يدفع الكاتب إلى أن ينطق بلسان مجتمعه لا عن طواعية وإنما لا ستحالة انغلاقه عن قضايا هذا المجتمع أو تجاهله لما يعانيه من بؤس . فالكاتب لا يستطيع أن يتجاهل الحياة الجمعية لواقعه . وإذا ما قمنا بتحليل مضمون الأعمال الروائية التى كتبت فى مرحلة من المراحل سوسيولوجيا سنلاحظ أن كتاب زمن معين مشغولون عادة بمجموعة معينة من القضايا المتواترة التى تفصح عن مشاغل هذا المجتمع نفسه . لأن الكتابة الروائية هى فى حقيقتها مجموع الأجوبة التى تقدمها مجموعة ما عن تساؤلات مجتمعها . أجوبة عن تساؤلات العيش وهموم الواقع وصبوات البشر ، لأن الإنسان حيوان حالم ، وحياته الخيالية جزء لا يتجزأ من حياته كلها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوعى والصمت والبعد التاريخى للمعرفة :

وإذا ما أصبح الخيال جزءا من الواقع أو تبديا من تبدياته ازدادت أهمية تناول مسألة التزام الكاتب من منظور أكثر اتساعا من المنظور السارترى ، وازدادت كذلك أهمية مسألة العلاقة بين الكتابة والسلطة فكل نص مهما بدا ممعنا فى مبارحة الواقع ينطوى على معنى ، وبالتالى فهو فى علاقة مع السلطة المهيمنة على هذا الواقع مهما كانت طبيعة هذه العلاقة من الصدام أو المهادنة . ومن هنا لابد من الاهتمام بدور السلطة فى هذا المجال بأجهزتها المختلفة من شرطة ورقابة وقمع . فالثقافة تواجه عادة بالقمع والمضايقات ، وإدراك الكاتب لهذه الحقيقة هو الذى يدفعه إلى أن لا يحسد الذين يصمتون أو يخنق عليهم . ففى كل ثقافة تراث من الصمت لأن الكتابة عامة مربوطة بالتراث بمعناه الواسع . وهذا الاهتمام بالتراث هو الذى يضفى على الثقافة طابعها القومى ، وهو الذى يبلور ماهيتها ، ويصوغ خصوصيتها . وهذا الموضوع من المسائل التى شغلته منذ أكثر من ثلاثين عاما . لكن انحصار أى ثقافة فى دائرة من الانغلاق القومى الناجم عن تضخيم أهمية التراث دون إخضاعه للتأويل المستمر ، هو الذى يفقر تلك الثقافة ، وينال من إنسانية إسهاماتها . ومن هنا فإن الذى يحدد مكانة الكاتب فى ثقافته ، ليس نوع الأجوبة التى يقدمها على تساؤلات اللحظة الحضارية التى يتعامل معها فحسب ، وإنما طبيعة موقفه من التراث ، ومن العالم . وفى هذا المجال يطرح ألبير ميمى أخطر ما فى تصوره من أفكار ، إذ يرى أن السبيل إلى تحقيق حوار بين الثقافتين العربية والفرنسية (وهو ممن يعدّون أنفسهم مؤهلين للإدلاء بدلوهم فى هذا المجال لأنه من الذين يعرفون فى فرنسا باسم الحفاة ، أو أصحاب الأقدام السوداء ــ وهو اسم يطلق على الفرنسيين الذين انحدروا من أصلاب المستعمرين المعمرين الذين ولدوا فى شمال أفريقيا) هو فى نسيان الماضى أو طرحه جانبا ، والتركيز على الحاضر وهو رأى غريب يدعو إلى إسقاط البعد التاريخى للمعرفة . وأى معرفة بلا بعد تاريخى هى معرفة ناقصة أو زائفة . وغرابة هذا الرأى بالنسبة لنا لا تنفصل عن كونه جزءا من استراتيجيات الهدف الفرنسى من إنشاء المعهد ، الذى يريد لنا نسيان الماضى ، والبدء بصفحة جديدة ليست ــ ولن تكون ــ بيضاء بأى حال . كما أن غرابته لا تنفصل عن آراء ميمى عن صمت الكاتب ، وعن ربط هذا الصمت بالتراث .

وإذا كان ألبير ميمى يدعو إلى إسقاط البعد التاريخى لمعرفتنا ، وخاصة البعد التاريخى لعلاقات الصراع والتبعية الاستعمارية ، فإن كلمة جبرا إبراهيم جبرا (وهى كلمة معدة سلفا) قد انطلقت ، لحسن الحظ ، من إبراز أهمية البعد التاريخى ، عندما أكدت على أن هذا اللقاء لم يكن ممكنا قبل ثلاثين عاما . وإذا كانت مبررات جبرا فى ذلك هى أن رقعة الرواية العربية لم تكن قد اتسعت بعد ، بالقدر الذى يمكننا معه عقد مثل هذا اللقاء وبهذا القدر من الغنى . فلم تكن ثمة رواية عربية يعتد بها حينذاك خارج مصر . أما الآن فقد شملت كل أقطار الوطن العربى . وأود أن أضيف إلى هذا مبررا آخر هو أن القول بالحوار يفترض بداية الندّية ، وهى أمر لم يكن ممكنا فى ظل علاقات السيطرة الاستعمارية ، أو حتى بعد التخلص من نيرها مباشرة . ذلك لأن النقطة التالية فى محاضرة جبرا التى عنونها « الروائى العربى والمجتمع » هى إبراز أثر الرواية الفرنسية من فلوبير وستندال إلى بروست وجيد وسارتر وكامى ، وهذا يؤكد أن طريق الحوار فى مرحلة السيطرة الاستعمارية لابد من أن يكون ذا اتجاه واحد من الثقافة المتفوقة إلى الثقافة الخاضعة . وكان من آثار مرحلة السيطرة الاستعمارية تلك أن وجد جبرا نفسه ، ووجدت معه الرواية العربية هى الأخرى نفسها ، فى مرحلة من التساؤلات المستمرة حول تبرير الذات والهوية .

ومع أن منطلق جبرا ليس منطلق الباحث السوسيولوجى ، وإنما منطلق الروائى الذى يتحدث عن تجربته الذاتية وعلاقتها بالمجتمع الذى نشأت فيه ، فإنه يجد أن الكاتب يواجه إشكاليات معقدة تتداخل عناصرها وتتفرع إلى شعور بحاجات تنهال عليه من عصره ، ولا يفلح فى منحها التعبير الدقيق . فالزمن العربى مبتل بالفواجع التى يدفعه تفاقمها إلى اليقين بأن الإبداع هو السبيل الوحيد إلى حسم المشكلات التى لا يمكن التغلب عليها . لأن الكتابة عنده تنتصف لنفسها باعتبارها تأمل الذات فى الكون وتحريك شىء ما فيه ، إنها الحياة بشكل غزير وملح » . والتأكيد على الحياة تأكيد على دلالاتها التاريخية ، ومهما انعزل الكاتب عن الواقع أو التاريخ أثناء فعل الكتابة ، فإنه ليس كيانا منفصلا عن الكيانات التى تجعل لوجوده معناه . فمن البعدين الواقعى والتاريخى معا تنهض الكتابة الروائية ببعدها الروائى الذى يتخلق معه واقع جديد ، يطمح إلى إضفاء البهاء على عالم يعج بالفوضى . واقع محكوم إنسانه بالوعى : الوعى كمعرفة وكمصدر للألم . لكن الرواية عنده ليست بديلا لأشكال المعرفة الأخرى ، لأنها تنطوى على نوع من المعرفة غير القطعية : إنها توحى وتنذر وتثير التساؤلات . فلدى الروائى إحساس عميق بمعنى الحياة المأساوى الذى تدفعه معه مأساويته إلى الاستزادة منه ــ كما يقول الفيلسوف الأسبانى أونامونو ــ لأن الحس بالحياة نفسها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا غرو فالمجتمع لايرى الروائى محركا لقوى الفعل فيه ، بل ومحركا أيضا لقوى الحلم ، تلك القوى التى تفوق فاعليتها فى كثير من الأحيان فاعلية الفعل . ولذلك كان بروست على حق حينما قال « أن يحلم المرء حياته أروع من أن يحياها » . وكلما اتسعت التجربة العربية ، وتعقدت حياة المجتمع الحضرية ، واحتلت فيه المدينة مكانا مركزيا ، وتعقدت الأحلام واتسعت الفجوة بينها وبين الواقع ، ازدادت أهمية الرواية والروائى ، واحتلا معا مكانة أبرز من مكانة الشعر .

وبعد أن قدم المتحدثان الرئيسيان تصوراتهما بدأت تعقيبات المنصة بكلمة عبد الوهاب المؤدب الكاتب الفرنسى ـ التونسى التى استهلها بالإشارة إلى أن الذى يجمع المشاركين فى هذه الندوة هو إحدى خصائص هذا القرن الجديدة : وهى الهجرة والتنقل بين الأقاليم واللغات . فألبير ميمى الذى ولد فى تونس يعيش فى باريس ويكتب بالفرنسية ، وكذلك المؤدب نفسه بالرغم من أن الأول ينحدر من أصل فرنسى ، والثانى من أصل عربى ، لكن لغة الكتابة وهى الفرنسية وحدت بينهما . وكذلك جبرا الذى ولد فى بيت لحم فى فلسطين المحتلة ، ويعيش فى العراق ، ويكتب بالعربية والإنجليزية أحيانا . وهذا نفسه دليل على تغير فى مكان الروائى وفى مكانته . حيث أصبح التنقل اللغوى والجغرافى عنصرين متناظرين تصبح معهما المغامرة الشكلية والتعبيرية فى الرواية نوعا من الرابطة التى توحد بين مجموعة من العناصر البشرية التى ترمى إلى التغلب على هذا الشتات وتلك السيولة الوجودية الجديدة .

ثم تحدث الروائى السورى عبد السلام العجيلى فعلق على تصور ألبير ميمى عن علاقة الإبداع بالوعى ، وأراد أن يحصر دور الوعى فى المجال التنفيذى ، أو الإجرائى ، من العملية الإبداعية ، لأن للاوعى فى نظره الدور الأساسى فيها ، وله الأسبقية على الوعى فى هذا المجال . كما تناول كذلك أفكاره التى طرحها حول الالتزام مؤكدا ضرورة ـ أو بالأحرى ـ حتمية أن يكون الأديب ملتزما . مشيرا فى هذا المجال إلى الاختلاف فى المفهوم والممارسة معا بين الكاتب العربى ونظيره الفرنسى . إذ أن الكاتب العربى كما يقول يحاول جهد طاقته الاختلاف عن نظيره الفرنسى ، ويحاول تغيير أشكال وصيغ لتفكير والكتابة ؛ بالصورة التى تحقق هذا التمايز المنشود . كما أثار العجيلى إشكالية العلاقة المعقدة بين الكاتب والسلطة وصفها من القضايا المنبثقة عن الالتزام . لكن أهم الأفكار لتى طرحها كانت تلك التى تتعلق بانطواء الرواية من حيث الجوهر والممارسة معا على نوع من التناقض مع الطبيعة العربية ، بخصائصها الشفاهية ، وبنزوعها إلى الاستجابات ذات الطابع الجمعى . وقد أكد هذه الحقيقة كذلك الكاتب والباحث والروائى السورى مطاع صفدى الذى أبرز فى كلمته الموجزة دور الثقافة الفرنسية ، وطبيعة الحوارات الفكرية والثقافية التى أدارها الكاتب العربى معها . كما أكد أن الإبداع هو الخلاصة الأساسية لكل ثقافة ، وغير ذلك من التعميمات التى أخفقت فى إقامة حوار مع أى من طرحى هذه الجلسة الرئيسيين .

الرواية وسطوة المؤسسات الإعلامية :

ولما جاء دور الكاتب الفرنسى ديدييه ديكوان رئيس جمعية أدباء فرنسا ، وهى جمعية يناهز عمرها مائة وخمسين عاما ويبلغ عدد أعضائها أحد عشر ألف كاتب ، بدأت حقا فصول التباكى على وضع الروائى ومكانته فى عالمنا المعاصر . لأنه انطلق من القول بأن وظيفته تلك تتيح له التعميم بشأن وضع الكاتب الغربى عامة ، والكاتب الفرنسى خاصة . ومن خلال مراقبته المواقع الفرنسى ، يشعر بأن ثمة نوعا من التناقض عند الحديث عن وضع الروائى لا وضع الرواية نفسها . وهذا التناقض هو الذى دفعه إلى المقارنة بين وضع الكتاب ، والعمل التليفزيونى ، حيث لا يقرأ أكثر الروايات نجاحا أكثر من خمسين ألف قارىء بينما يشاهد العمل التليفزيونى الناجح أحد عشر مليون مشاهد . بل إن الأمر يزداد تفاقما لأنه يلاحظ أنه كلما نال الكاتب فرصة للظهور فى أجهزة الإعلام الجماهيرية الواسعة تلك لا يستخدم تلك الفرصة لتدعيم مكانة روايته . بل لإبراز مكانته الشخصية ككاتب فى مجتمع ما . ومن هنا تزداد فاعلية الأجهزة السمعية والبصرية على حساب الكلمة المكتوبة بمشاركة من الكتاب أنفسهم . وهذا أمر ينطوى بالقطع على شىء من المفارقة . لأنه يربط الكاتب بشكل لا واع بأجهزة المؤسسة الرسمية ، التى يشكل إبداعه تحديا لها . وقد استأثرت هذه المسألة بتعقيب عدد كبير من المشاركين ، سواء من المنصة أو من القاعة ، وأدى اختطافها للأضواء ، إلى اغفال الكثير من القضايا التى طرحها المشاركون من ناحية ، وسيادة النغمة المنولوجية لا الحوارية على الجلسة من ناحية أخرى . وما أخطر أن تؤسس الجلسة الأولى لأى ملتقى طبيعة النغمة الغالبة التى سرعان ما تسيطر على بقية الجلسات . وما أخطر الموقف عندما تكون تلك النغمة هى المنولوج الذى لا يسمح بالحوار وإنما تتكرر فيه الأصوات وكأنها لا تسمع بعضها البعض ، وتسيطر معه الرغبة فى الحديث لتأكيد الذات لا لإضافة شىء لموضوع الجدل والنقاش . لأن سيادة النغمة المنولوجية فى هذا النقاش تعنى الإجهاز كلية على هدف اللقاء الأساسى . كما تحرمنا من التوصل إلى مجموعة من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاستقصاءات المضيئة حول وضع الكاتب ، والأسباب التى تعرقل من فعاليته فى واقعه ، والوسائل التى يمكن أن تسهم فى إرهاف حدة هذه الفعالية وتعميقها . وهذه النغمة هى التى أثرت للأسف الشديد على بقية الجلسات ، وعلى طبيعة تناول المشاركين للقضايا المطروحة عليهم .

أما الجلسة الثانية فقد خصصت لمناقشة « وظيفة الأدب والرواية اليوم » وكان المتحدثان الأساسيان فيها هما الروائى الفرنسى ألان روب جرييه والكاتب المصرى إدوار الخراط . وقد بدأ جرييه الحديث بأنه يهتم كثيرا بالنظريات الأدبية ، وينتمى حقا إلى نظرية أدبية تقول بأنه ليس هناك حقيقة مطلقة للأدب . وهى نظرية تؤدى إلى التغاضى عن الفروق الفاصلة بين الأجناس الأدبية المختلفة ، لأن الكاتب يبحث فى حقيقة الأمر عن شىء يتأتى ولا تعرف ماهيته ، وبالتالى فإن ماهية التعبير الأدبى الذى يطمح إلى استيعاب هذا الشىء الهيولى لا ينبغى حصرها داخل أطر مسبقة . وهنا يشير جرييه إلى ضرورة ملاحظة أن الرواية ، بالرغم من أنها تعبير لغوى تتغير باستمرار ، مع أن اللغة تتسم بقدر من الثبات النسبى . وهذا راجع فى تصوره إلى أن الرواية بطبيعتها غير متوافقة مع الوضع السائد على العكس من اللغة التى هى مندغمة فى الأيديولوجية المهيمنة . ذلك لأن الرواية تتمحور فى المنطقة التى قال عنها فاليرى إنها جمع بين الشيئين اللذين يهددان العالم باستمرار : النظام والفوضى » وهذان العنصران متصارعان باستمرار فى الشخصية الفرنسية . وأول عناصر النظام التى تعارضها الرواية وتشتبك معها هو اللغة الرومانية الأصل ، والتى نجحت فى اقتلاع كل العناصر السلتية من الثقافة الفرنسية . وإذا كانت وظيفة الرواية عنده تتحقق فى تخلقها على الحافة المتوترة بين هذين القطبين المتناقضين ، فإن هذا لا يلغى تصوره بأن هناك نوعين من الكتاب : أحدهما يعى جيدا ما يريد أن يحققه ، وهو بذلك كائن فى قلب العنصر الرومانى ، والآخر لا يدرك ما يريد الإفضاء به . ومن هنا اتسمت الرواية بهذا الاستقطاب بين الوعى والفوضى ، وهو استقطاب يوحى فيه جرييه بأن الاقتراب من قطب الفوضى يجعل الرواية أكثر إبداعية وحيوية وتميزا .

الرواية بين الالتزام والوعى والفوضى :

ولأن الأفكار التى أثارها ألان روب جرييه اتسمت كالعادة بقدر من الإثارة ، فإن المنصة لم تستطع معها صبرا ، وطالبت بالتعقيب عليها قبل أن تتيح الفرصة لإدوار الخراط لتقديم تصوره المغاير حول هذه القضية الأساسية . فأشار الروائى السورى حنامينه إلى رفضه لأساسيات تصور جرييه ، وإلى أن هذا الرفض ينطلق من واقع مغاير ساخن لا يسمح بتناول المواضيع المترفة . كما رد عليه المستشرق والكاتب الفرنسى أندريه ميكيل بأن العالم العربى يعيش مأساة يومية ، وبأن لأشكال الكتابة العربية أهميتها التى لا تسمح بالعبث بها بمثل هذه الطريقة التى يقترحها جرييه . فهناك فروق كبيرة بين بحث جرييه عن شىء يتأتى ولا تعرف ما هيته ، وبين الواقع العربى الساخن والمتفجر ، والذى يطرح نفسه بقوة على أى تأمل جاد . وقد استغرق هذا الجدل وقتا طويلا مما جنى على محاضرة إدوار الخراط الضافية والمعدة سلفا حول موضوع الجلسة والتى سعت إلى أن تطرح مفهوما متكاملا حول وظيفة الرواية فى ظل تغيرات جذرية فى الحساسية الأدبية ، وفى طبيعة العلاقة بين الرواية والواقع أدت إلى تغير فى طريقة طرح الأسئلة وفى أسلوب تناول المشكلة . ذلك لأن مأساوية الواقع العربى تدفعنا إلى التركيز على وظيفة الفن الاجتماعية ، والتغاضى عن وظائفه الأخرى التى لا تقل عنها أهمية . ولأن طغيان الصورة على الكلمة ، والإعلام على الفن يدفعان الأدب الجاد إلى هامش الاهتمام الاجتماعى والثقافى على السواء . وبدأ الخراط مناقشة هذه المسألة الحساسة بتناول مشكلة اللغة وعلاقة الروائى بها بوصف اللغة مصدراً للثراء ولكنها عبء على الكاتب فى الوقت نفسه . ولكنه ما أن شرع فى الاقتراب من جوهر المسألة حتى أسكته رئيس هذه الجلسة بفجاجة (وهو بالمناسبة مدير العلاقات الثقافية بمعهد العالم العربى) ، وحرمنا من الاستمتاع ببقية تصوره الذى بدا واعدا بإضاءات وإلماعات هامة .

بل إن رئيس الجلسة هذا ما لبث أن تناسى طبيعة دوره ، وهو إدارة حوار حقيقى بين الجانبين حول موضوع وظيفة الرواية ، فطلب من الكاتب المصرى جمال الغيطانى ، لا أن يعقب على الأفكار التى طرحها المتحدثان الأساسيان فى هذا المجال ، وإنما أن يحدثه عن طبيعة العلاقة بين الرواية والتاريخ ، مما أثار ثائرة الناقد والروائى المغربى محمد برادة فاحتج على طريقة إدارته للندوة . وقد كان جمال الغيطانى أكثر وعيا بطبيعة الدور الذى عليه أن يقوم به فى الندوة من رئيس الجلسة ، فلم يقع فى شرك الانحراف بها عن موضوعها ، وإنما طرح من خلال مدخل تاريخى لوظيفة الرواية فى استنقاذ اللحظة والتجربة الإنسانية من التلاشى الذى يحكم به عليها انصرام الزمن . فالرواية عنده هى الجهد الإنسانى الذى يقاوم هذا الفناء الذى يهددنا باستمرار . فتسعى إلى الإمساك باللحظة ، ولكنها تمسك بها من منظور الواقع الذى يعيشه الكاتب والمجتمع الذى يتوجه إليه . والاهتمام بهذا البعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاجتماعى للقص هو الذى دعا الغيطانى إلى طرح مشكلة العلاقة بين الشكل الروائى العربى والتصورات الغربية السائدة فى هذا المجال . ودعا فى هذا الصدد إلى ضرورة العودة إلى استلهام الأشكال القصصية العربية ، وإلى تأسيس النص الروائى العربى على قواعد الكتابة القصصية العربية . مما أدى إلى قيام حوار مثير حول هذه المسألة بينه وبين الكاتب الفرنسى أندريه ميكيل أكد أن من الضرورى أن يعرف كل من الجانبين ثقافة الآخر وانجازه حتى يقوم بينهما أى حوار له معنى . فميكيل مستعرب فرنسى قبل أن يكون كاتبا أو روائيا . بل إن إنجازه الروائى الفرنسى نفسه يعكس اهتماماته بالثقافة العربية وتأثره بعوالمها . وكان حريا بالفرنسيين الذين شاركوا فى الحوار أن يقرأوا بعض الأعمال العربية المتاحة فى ترجمات فرنسية حتى يكونوا أكثر معرفة بمن يحاورونهم .

ثم تحدث بعد ذلك القاص المصرى بهاء طاهر فبدأ بالدفاع عن الالتزام بالمعنى الذى نادى به ابن المقفع من أن وظيفة الأدب هى إصلاح الحاكم والرعية . فقد تصور الكاتب المصرى منذ عصر النهضة أن له دورا فى حركة التحرر . فالشكوك التى تساور الكتاب المعاصرين عما إذا كان للأدب وظيفة لم تساور كاتبا مثل عبد الله النديم ، الذى ارتبط بقضايا واقعه ، واستلهم رؤى قرائه ، وتبنى قضاياهم . واستعرض بهاء طاهر بعد ذلك كيف تطورت رؤية الكاتب لدوره . فالكاتب يرى من البداية أن دوره الأول هو المشاغبة ، وإثارة القلق ، والدعوة إلى طرح الأسئلة ، وتشجيع النزعة إلى التفكير ، وحتى يستطيع الكاتب أن يقوم بهذا الدور الهام فلابد أن تتاح له وسائل الاتصال الواسع بالجماهير . لكن حرمان الكاتب من دوره القيادى فى وسائل الاتصال الجماهيرية ، وقصرها على كتاب المؤسسة السياسية المدجنين ، هو الذى يحول دون استخدام هذه الأجهزة لإطلاق طاقات الجماهير وتفجيرها ، ورأب الفجوة بين الكاتب وجمهوره الواسع العريض ، مما يحصره داخل دائرة ضيقة ، فلابد للكاتب عنده من أن يحقق رسالته ودوره كرائد لحركة المجتمع صوب التغيير . ولابد لذلك فى رأيه من أن يصل الكاتب إلى وسائل الإعلام الجماهيرية ويستغلها للتعبير عن رأيه ، والوصول إلى جمهوره الطبيعى العريض . فبهذه الطريقة تحقق الرواية عنده وظيفتها الأساسية ، وتشارك بفعالية فى صياغة الوعى ، وفى تغيير الواقع وبناء مستقبل جديد ، وقد عقب بعد ذلك كل من ألان روب جرييه وحنا مينه . وليس المهم هنا طبيعة تعقيباتهم ، بل المهم أن رئيس الجلسة الذى قمع إداوار الخراط بحسم لم يتمكن من القيام بنفس الدور بالنسبة لجرييه الذى انفرد بمعظم الحديث فى هذه الجلسة . فهل كان يكيل بمكيالين ؟ أم أنه الضعف الأبدى إزاء الأوروبى والاستئساد على العربى ؟

الرواية كطريقة للتعبير وقضية اللغة :

أما الجلسة الثالثة فقد كان موضوعها « الرواية بوصفها طريقة فى التعبير » وكان المتحدثان الأساسيان فيها هما الروائى والناقد الفرنسى فيليب سولرس والروائى والدارس السورى هانى الراهب . وقد بدأ فيليب سوليرس حديثه بالإشارة إلى ضرورة ألا نغرق الفن فى السياسة والمجتمع . لأن هذا التوجه هو من سمات الأيديولوجيات المتخلفة . فالرواية فن . وللفن إشكالياته الخاصة التى يجب أن تستأثر باهتمام الروائيين . ومن أهم هذه الإشكاليات أن الرواية برغم جهودها سرعان ما تفقد المشروعية عندما تستعمل اللغة . لأنها بالدرجة الأولى مشروع لغوى ، وهى لذلك تصطدم بقدر هائل من سوء التفاهم عندما نطالب بانبعاث الفن من الشعب . فالفن ليس إلا مجرد تجربة فى اللغة مُزاحة ثانويا ، عن الواقع ، لأن اللغة نفسها انزياح أولى عنه . ولا ينفى هذا عند سوليرس الاعتراف بوجود علاقة أساسية بين الكائن ومحيطه ، لكن الواقع الثقافى يطرح علينا نماذج هامة من الإبداع الذى يتحقق مع نفى المبدع عن الواقع الذى يصدر عنه . وفرنسا من أكثر مناطق العالم خبرة بتلك النماذج التى يؤدى نفيها عن واقعا إلى تفجر مواهبها الإبداعية بها . كما هو الحال بالنسبة لهمنجواى وجويس ونابوكوف وبيكيت ويونيسكو وغيرهم من المنفيين من بلاد أخرى . وقد أثارت كلمة سوليرس تلك سخط الكثيرين لا ستخفافها بجوهر الموقف الذى طرحته معظم الإسهامات العربية حتى ظهورها . ولأنها كانت تتسم بقدر كبير من التعالى والاستخفاف بالآخر ، دون الحوار الحقيقى معه .

أما مداخلة هانى الراهب التى كان عنوانها « مقدمة وسبع أفكار عن الرواية العربية » ، وقد شكى عدم إتاحة الوقت له لإكمال عرضها ، فقد انطلقت من الربط بين ظهور الرواية وتكون الطبقة البرجوازية وطرحت أن التوزاى بين هذه الحالة والواقع العربى هو الذى يفسر لنا كيف أن صعود نجيب محفوظ وهبوطه روائيا كان مرتبطا بصعود تلك الطبقة وهبوطها . وأن انهيار الرؤية البرجوازية للعالم قد تواقت فى ساحة الرواية العربية مع بزوغ الرواية الجديدة . لأن هناك تفاعلا أساسيا بين الرواية والواقع بوصفها إمكانية للتغير ، وليست مجرد أداة للتعبير . ولهذا تنطلق الرواية العربية الجديدة من قطيعة مع الراهن ورفض للقيم التقليدية والتاريخ الرسمى ، وتسعى للبحث عن بنية حديثة جديدة . لكن انتاج

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه البنية الحديثة ما يلبث أن يواجه سلطة الرسمى والسائد ، وسلطة الدولة الراسخة بالتحديد . ومن هنا يجد الروائى الجديد نفسه مواجها بضرورة التعامل مع الموروثات الثقافية والقيمية بطريقة نقدية وانتقائية فى آن ، تسعى إلى مواجهة عناصر التسييد والتغييب فيه . ولكن هذه المحاولة لابد أن تعى أن السلطة ستواجهها بمحاولة تقديم ثقافة بديلة ، ليست هى بالقطع الثقافة التقليدية ، لأن السلطة الواعية تعرف أنها قد نفقت ولكنها ثقافة تتزيى بزى حداثى زائف . يحاول إلغاء الجوهر والتركيز على التشكلات السرابية له . وهذا الوعى الزائف هو الوعى الذى يسود عادة فى ظل مجتمع لا يمكن أن يتحمل أكثر من فرد حر هو الحاكم عادة .

وبدأ التعقيب على هذه الجلسة بكلمة الروائى الفلسطينى أميل حبيبى ، الذى يبدو أن كلمة سوليرس قد استثارته ودفعته إلى بدء حديثه بتنبيه الكتاب الفرنسيين إلى أن الواقع العربى ينطوى تاريخيا وتراثيا على معاناة حادة من القمع الأوروبى . وإلى أنه مطلوب ممن أعطاهم التاريخ إمكان التطور أكثر منا أن يأخذوا هذه النقطة فى الحسبان حين تقوم المواجهة التاريخية . فمن الضرورى أن يعترف أبناء الحضارة الأوروبية بدور أنظمتهم كمعوق أساسى للتطور الطبيعى فى الشرق . وانطلق من هذا المدخل إلى الحديث عن الشعب الفلسطينى وعن البرهان الكبير على وجود هذا الشعب وهو انتاجه للأدب . وإن كان تعامل كتاب هذا الشعب مع الأدب يتم بالطريقة التى تعامل بها أجدادنا مع الموسيقى ، يعزفونها ببراعة دون معرفة سابقة بالنوتة الموسيقية . فانتاج الأدب فى ذاته هو فى تصوره من أبلغ الإجابات على النظرة الاستشراقية الأوروبية السائدة حول الشرق بأن الشرقيين لا يحسنون غير الكلام . لكن المسىء حقا للشرق فى نظره ، هو أن الشرقيين لا يحسنون الكلام ، بل إنهم حقا ممنوعون من الكلام .

وعقب بعد ذلك الروائى والناقد اللبنانى إلياس الخورى بالحديث عن تجربته الروائية ، التى تنطلق من أن الرغبة فى الكتابة عنده هى صنو الرغبة فى تغيير الكتابة السابقة علينا ، وفى نسيان كل تقاليدها فالتجربة الأساسية للروائى عنده هى تجربة الصراع مع اللغة . تجربة إدخال المحكى والمعيش إلى قلب لغة عمرها أكثر من ألف عام . ترتبط بقدر هائل من القداسة ، وبكثير من الأوهام والأحلام المتعلقة بالبعث ، بعث الماضى بالتحديد . والكتابة ضمن نطاق هذا الصراع المستمر مع اللغة هى رحلة فى الداخل ، وفى الخارج فى وقت واحد . هى الرحلة التى يعيشها الكاتب وهو يرى واقعه يتحول بشكل درامى وسريع .

مكانة النقد ودوره :

أما آخر الجلسات التى تتعلق بالرواية فقد كانت جلسة عن مكانة النقد ودوره . وقد قدم كلمتيها الرئيسيتين جان جاك بروشيه ، رئيس تحرير (الماجازين ليتيرير) والناقد والروائى المغربى محمد برادة وشارك فيها عدد من الكتاب العرب من بينهم الروائية اللبنانية حنان الشيخ ، والناقد والروائى المغربى أحمد المدينى والناقد المصرى غالى شكرى والناقد السورى جورج طرابيشى والروائى الجزائرى الطاهر وطار ، وكاتب هذه السطور . كما شارك فى التعقيب عليها القاص المصرى بهاء طاهر . ولأنه ليس من حقى وقد طال عرض هذه الندوة أن أبتسر محاضرات المشاركين جميعا ، خاصة وقد وقع أكثر من خلاف فكرى حاد بينهم ، ولأننى أريد أن أتريث طويلا عند آخر جلسات هذه الندوة ، فإن من حقى على الأقل أن أبتسر محاضرتى الخاصة دون ملامة أو تثريب . فقد أشرت إلى أن الإشكالية التى عرضت علينا الندوة مجموعة من تجلياتها المختلفة هى غياب المشروع النظرى الروائى . وغياب تاريخ نقدى دقيق لأشكال القص واتجاهاتها المختلفة فى الثقافة العربية . وغياب الدراسة التى تبحث فى التناظر بين تلك الأشكال والاتجاهات وبين البنى الاجتماعية والأطر الثقافية السائدة وقد أدى هذا الغياب إلى محاولة الروائيين طرح أنواع من التنظير الذى يؤكد تأمله وجود فجوة مذهلة بين التصور النظرى والانجاز الروائى التطبيقى . وقد كشفت المناقشات عن ثلاثة أنظمة تصورية طرحت كلها بشكل منولوجى دون أن تتخلق آليات حوار حقيقى بينها حتى داخل المعسكر العربى نفسه . وهى تصور تقليدى ، وآخر حداثى ، وثالث توفيقى .

وقد نتجت هذه الحالة عن اكتفاء النقد بدور المتابعة وتجاهله لأدواره الأساسية الأخرى من إعادة تمحيص الأفكار والرؤى وتقييمها وطرح مجموعة من التصورات التى ترود المغامرة الإبداعية وتفتح أمامها دروبا جديدة للتجريب ، وإعادة ترتيب سلم المكانات الأدبية كل فترة من الفترات كما نتجت كذلك عن الإخفاق فى فرز العلاقة بين النقد والإعلام خاصة أن هذا الفرز يؤدى إلى فرز العلاقة بين النقد والسلطة لأن الإعلام عندنا من الأجهزة التى تسيطر عليها السلطة . وهذا الفرز سرعان ما يؤدى إلى فرز العلاقة بين الكتابة ومؤسسة السلطة عامة بأجهزتها القمعية والترغيبية معا . لذلك كله لابد إذن من خلق مشروع نقدى يبلور مبادىء الكتابة ويضع القواعد الخاصة بنحوها . ولن يتحقق هذا المشروع إلا فى مناخ من الديمقراطية . فلابد أن يسود الحوار بدلا من المنولوج . ولابد أن يصبح للإنجاز الأدبى الدور الرئيسى فى تقييم الكاتب وفى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تحديد مكانته دون أن يكون له آخر الأدوار فى عالم تلعب فيه علاقات السلطة الدور الرئيسى . ولابد أن تتملص الثقافة كلية من أسر التبعية ، وأن يزداد وعى الواقع العقلى بكل مكوناته الاجتماعية ، وأن تتراجع التعميمات والخرافات . وأن تتخلص على صعيد التفكير والتصرف معا من آليات العلاقة الأبوية والتصورات القبلية ، فبدون هذا كله لن يتحرك الإنجاز الروائى من هامش الواقع إلى مركزه ، ولن يكون للأدب دوره الذى يطمح إلى تحقيقه .

قضية الترجمة وعبور الحدود اللغوية :

تبقى هنا آخر جلسات الندوة ، وهى تلك التى خصصت لـ « مشكلات ترجمة ونشر الأعمال الأدبية » . ولا يمكن الفصل بين قضايا الحوار العربى الأوروبى ، أو قضايا العلاقة الشائقة والمعقدة بين الأنا والآخر وبين قضية ترجمة الأدب العربى إلى اللغات الأوروبية خاصة . لأننا حينما نتحدث عن ترجمة الأدب العربى فإن ما يخطر على الذهن فورا هو ترجمته إلى اللغتين الانجليزية والفرنسية ، لا إلى اللغة الصينية مثلا ، بالرغم من أن عدد قراء هذه اللغة قد يتجاوز ضعف عدد قراء هاتين اللغتين مجتمعتين . فالمسألة هنا ليس مسألة عدد القراء بل مسألة تلك العلاقة المعقدة بين الحضارتين العربية والأوروبية . وهى العلاقة التى يمكن وصفها بذلك المصطلح الإنجليزى الخاص بعلاقة « الحب ـ الكراهية » ، التى يظل فيها العنصران المتضادان فاعلين بنفس الدرجة تقريبا . دون أن ينطوى ذلك على أى تناقض أو عدم انسجام . وقد طرحت مسألة الترجمة من جديد على صعيد البحث فى لقاء الكتاب العرب والفرنسيين ذاك . وكان هذا الموضوع هو أهم موضوعات اللقاء فى تصورى . ليس فقط لأنه الموضوع الذى يكشف أكثر من غيره عن جدليات تلك العلاقة المعقدة ، ولكن أيضا لأنه الموضوع الذى يبارح الاستقصاءات النظرية والرؤى والمفاهيم إلى الوقائع الصلدة والجزئيات المحسوسة . فالترجمة والنشر هى الساحة التى تطرح فيها قضايا هذا الحوار نفسها على الواقع ، وتصطدم فيه بالتالى بالكثير من مشكلات العلاقة التاريخية بين الشرق والغرب .

هذا فضلا عن أن الترجمة عملية تتحقق فى ساحة صياغة القيمة الأدبية ، وهى من أكثر الساحات خلافية بالنسبة للنص الأدبى . فترجمة أى عمل أدبى تضفى عليه قيمة إضافية . وفى هذه القيمة شىء موضوعى ، وآخر زائف . فالموضوعى هو أنها شهادة للعمل المترجم بأنه يستطيع أن يخاطب ثقافة أخرى وشعبا آخر . وأنه ينطوى على بعض الاستقصاءات والإضاءات التى تتجاوز المحلى إلى الإنسانى . أما الزائف فهو أن الترجمة ، وخاصة إذا ما أخذنا فى اعتبارنا عقد الدونية إزاء الغرب ، تنطوى لدى كل من المتلقى وصانع القيمة الإعلامى ، على افتراض ضمنى بأن هذا العمل الذى حظى بمباركة الغرب وقبوله أفضل من غيره من الأعمال الأخرى التى لم تنل مثل هذا « الشرف » . وهو افتراض ينطوى فى مستوى من مستوياته ، على أننا ما زلنا ننظر إلى الغرب بوصفه من صناع القيمة حتى داخل ثقافتنا نحن . وبخاصة أننا لا ننظر لثقافتنا الخاصة باعتبارها من مصادر الحكم القيمى على الثقافة الغربية . ناهيك عن أن يفكر الغرب للحظة فى أن ترجمتنا لعمل دون آخر تضفى عليه أى قيمة على الإطلاق . ولو فعل ذلك لخرج بنتيجة غريبة مؤداها أن موريس لبلان وجورج سيمينون ، أو حتى برناردان دى سان بيير أفضل من مارسيل بروست ومارجريت يوسانار فى فرنسا ، وأن أجاثا كريستى أفضل من جيمس جويس فى الثقافة الانجليزية . بل لو كانت كثرة المترجمات فى حد ذاتها دليلا على امتداد الجسور وتحقق الفهم الصحيح لكان علينا أن نتوقع فهما أعمق بين الثقافتين ، من هذا الذى طالعنا به الحوار بين الروائيين والكتاب العرب والفرنسيين فى هذا اللقاء .

فلو نظرنا إلى قائمة ما ترجم من الأدب العربى الحديث إلى الفرنسية فى العقدين الأخيرين وحدهما لفاجأتنا كثرة ما بها من أعمال . فقد ترجمت ثلاثة دواوين لأدونيس ، وديوانان للسياب ، ومجموعتان لمحمود درويش وعبد الوهاب البياتى . كما ترجمت ثلاثية نجيب محفوظ (بين القصرين ، قصر الشوق ، السكرية) وروايتاه (زقاق المدق) و (اللص والكلاب) . وثلاثة كتب ليوسف إدريس هى (الحرام) و (النداهة) و (بيت من لحم) وروايتان للطيب صالح هما (موسم الهجرة إلى الشمال) و (بندر شاه) ، وكتابات لعبد السلام العجيلى هما (قناديل أشبيلية) و (تليفريك دمشق) وكتاب لكل من : فؤاد التكرلى (الرجع البعيد) ، غسان كنفانى (رجال فى الشمس) ، جمال الغيطانى (الزينى بركات) ، إميل حبيبى (المتشائل) ، صنع الله إبراهيم (نجمة أغسطس) ، مجيد طوبيا (دوائر عدم الإمكان) ، حنان الشيخ (حكاية زهرة) ، بشير خريف ، محمد شكرى (الخبز الحافى) ، إلياس خورى (الجبل الصغير) ، عبد الرحمن منيف (شرق المتوسط) وغيرهم . وهناك بالإضافة إلى هذا كله أكثر من مائتى رواية كتبها كتاب عرب من المغرب الكبير (الجزائر والمغرب وتونس) يكتبون أساسا باللغة الفرنسية برز من بينهم الطاهر بن جلون الذى حصل هذا العام على جائزة الجونكور الأدبية ، ومحمد

ديب ، وكاتب ياسين ، ومولود فرعون ، ومولود معمرى ، وإدريس شرايبى ، وعبد الكبير الخطيبى ، ورشيد بوجدرة ، وآسيا جبار ، وفريدة بلغول ، ومراد بربون ، ورشيد ميمونى ، ونبيل فارس ، ومحمد خير الدين ، وعبد الوهاب المؤدب وغيرهم .[١٥] .

وبالرغم من هذا الحصاد الغزير كشف الحوار عن جهل الكتاب الفرنسيين ، روائيين ونقاد ، للأدب العربى ، اللهم إلا أندريه ميكيل الذى يعرفه لا بحكم كونه كاتبا فرنسيا ، وإنما بحكم كونه مستشرقا دارسا للأدب والثقافة العربية وتاريخها . ورافقت هذا الجهل معرفة نسبية متفاوتة بين الكتاب العرب بالثقافة الفرنسية . بدءا من راسين وكورنى وفلوبير وبلزاك حتى سارتر وكامى وجيد وبروست وألان روب جرييه وفيليب سولرس . وهذه المفارقة هى فى الواقع من تجليات تلك العلاقة غير المتوازنة بين الشرق والغرب . وقد طرحت مناقشات الجلسة الهامة والخاصة بالترجمة والنشر الكثير من تجليات هذه العلاقة . وكشفت عن أن الغرب حينما يترجم الأدب العربى لا يريد فحسب أن يساهم فى صياغة صورة العربى فى العقل الغربى ، وإنما يطمح ، كما قال فيليب كاردينال ، مترجم يوسف إدريس إلى الفرنسية ، إلى المشاركة فى صنع طريقة رؤية العربى لنفسه . فالغرب لا يزال يشعر بأنه المتفوق ثقافيا ، بعد أن مارس لقرون طويلة صور التفوق الفعلى فى مراحل سابقة كثيرة . ولأن الغرب يشعر بهذا التفوق ، فإنه لا يحس بأى جدوى من الاهتمام بالثقافات الأقل أهمية . ولذلك فإنه بالرغم من أنه من النادر أن يبحث المترجم العربى للنص الغربى عن أى دعم لنشره ، فإن النص العربى المترجم إلى الفرنسية يواجه الكثير من الصعوبات التى أوجزها بيير برنارد صاحب « دار سندباد » التى تخصصت فى نشر الترجمات الفرنسية للأدب العربى فى مشاكل التمويل ، ومشاكل التوزيع ، ومشاكل الاختيار ، والمشاكل المتعلقة بطبيعة اللغة العربية وميلها للإسهاب ، والمشاكل المتعلقة بصورة الإسلام فى الغرب عموما ، ومشاكل تجاوز الحاجز الإعلامى ، ومشاكل دعم اليونسكو أو غيرها من المؤسسات للنص المترجم من العربية ، وغير ذلك من المشاكل .

والحق أن هذه المشكلات كلها هى فى حقيقتها مجموعة من التجليات المختلفة لقضية أساسية وهى أنه إذا كانت الدول تضع مجموعة من القيود والشروط السياسية لمنح الآخرين حق عبور حدودها والدخول إلى أراضيها ، وهى شروط تنبثق عن رغبة تلك الدول فى حماية مصالحها والحفاظ على ترابها الوطنى ، فإن عبور الحدود اللغوية يخضع هو الآخر لمجموعة من الإجراءات والشروط أشد صرامة وأكثر سياسية من تلك التى يخضع لها البشر . لأنه إذا كان من الممكن طرد الشخص غير المرغوب فيه من بلد ما ، فإن النص الذى يسمح له بالعبور يصعب طرده مرة أخرى . ولهذا لم تعبر كثير من النصوص الأدبية العربية حقا حاجز اللغة برغم ترجمة أعمال عديدة من الأدب العربى الحديث ، ولم تصبح جزءا من الثقافة العالمية ، ولم تفرض وجودها على جمهور القراء العريض . فلماذا يحدث ذلك ؟ هذا هو السؤال الصعب الذى سأحاول الاجابة عليه هنا . فبرغم تلاحق صدور ترجمات الأعمال الأدبية العربية ، واتساع نطاق اختيارات تلك الأعمال ، وتنوع هويّات كتابها . لم يتمكن الأدب العربى الحديث من اختراق حاجز اللغة ، وكسر الطوق الذى يحصره فى دائرة المتخصصين الضيقة . وهى الدائرة التى تتكون عادة من دارسى هذا الأدب بوصفه موضوعا من موضوعات الأقليات الغربية المثيرة لحب الاستطلاع ، أو من المتعاطفين مع القضية العربية ، الذين يريدون تشجيع إنتاجها ، ومن هنا ينطبق عليه المثل القائل بمحاولة إقناع المؤمنين ، أو من أعداء هذه الثقافة الذين يطمحون إلى العثور فى هذا الأدب على ما يؤكد تحيزهم ضده ، فيفرحون بالعثور على شاهد من أهلها يشهد بما يريدون ، أو بما يمكن أن يبرهن على صدق دعاواهم الزائفة ضد هذه الثقافة .

فرغم كل هذه الترجمات المتعددة ، والأسماء المتنوعة ، والخيارات التى لا يمكن إنكار جودة بعضها وقيمته الفنية العالية ، ظل الأدب العربى محصورا فى دائرة ضيقة من الجمهور هى دائرة المتخصصين ، أو المهتمين بشكل مهنى عادة بشؤون العالم العربى ، أو بهمومه الاجتماعية والحضارية والسياسية . وظلت فكرة القارىء عنه ، أسيرة النظرة التى تشكلت من خلال قوالب الاستشراق القديمة التى حصرت آداب العالم الثالث ، أو بالأحرى حاصرتها ، فى حدود دائرة الغرابة والطرافة وكل ما يتصل بمفهوم الانجليزى أو رديفه الفرنسى . وينهض هذا المفهوم على مركزية الذات الحضارية الأوروبية ، ولا غرو فهى الذات المزدهرة والمتفوقة حضاريا فى الوقت الراهن . كما ينطوى على هامشية الآخر المختلف ، ومحاصرته فى دائرة الغريب والطريف وغير العادى . مما يشكل عائقا يحول دون اعتبار الانسان فيه خدينا للذات ومعادلا لها . لأن هذا الأمر ، مقصورا على الثقافات الأوروبية ، التى تنطوى اختلافاتها على قدر كبير من التماثل . والتى يستطيع أى فرد فيها ، وضع نفسه بسهولة ، فى مكان الآخر والتوحد مع تطلعاته ، وفهم همومه ومشاكله .

وهناك بالإضافة إلى مسألة الطرافة تلك مسألة أخرى أكثر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أهمية وأعظم خطرا ، هى أن معظم هذه الاختيارات مازالت محصورة فى دائرة النظرة الاستشراقية القديمة للعالم العربى . فالغرب الذى يريد أن يؤكد ديموقراطيته يسخر الخطاب الاستشراقى لتأكيد ذات القومية وخصائصها الايجابية . وذلك من خلال إبراز اختلاف تلك الذات عن الآخر النقيض . فإذا أراد الغرب مثلا أن يرسخ فى ذاته طبيعته الديمقراطية فإن أفعل السبل فى هذا المضمار هى استخدام النقيض ، أى إبراز مدى استبدادية الشرق ، ومدى بشاعة تلك الاستبدادية . وليس أفعل فى هذا المجال من اختيار الأعمال الأدبية التى تؤكد هذه الصورة ، حتى يشهد بما يريدون شاهد من أهلها . وإذا ما أراد إبراز مدى تقدمه ، فإن أفعل السبل فى هذا المجال أن يقدم هذا التقدم وقد انعكس على مرايا تخلف الآخر المختلف . وقد جنت هذه النظرة على الاختيارات ، وجعلتها مقصورة على ما يكرس هذه الرؤية ، ويمنع القارىء العادى بالتالى من الإقبال على اختياراتها . لكن العامل الرئيسى الذى عمل على سجن ترجمات الأدب الحديث فى دائرة المتخصصين الضيقة ، وحال دون وصولها إلى القطاعات العريضة من القراء من المتعطشين إلى قراءة الأدب من مترجمى الأدب العربى الحديث من المتخصصين وأشباه المتخصصين الذين يتعامل معظمهم مع النص الادبى بوصفه وثيقة اجتماعية أو سياسية لا عملا إبداعيا خلاقا . ويضع بعضهم دقة الترجمة فوق أدبيتها . فتجىء ترجماتهم أشبه بترجمات الوثائق الاجتماعية أو السياسية ، دقيقة فى معظم الاحيان وحرفية ، ولكنها خالية من كل نبض أدبى ، عارية من أى روح شاعرية ، وخالية من أى توتر فنى . فالترجمة الادبية القادرة على اختراق حاجز اللغة ، هى الترجمة التى لا يكفى أن يجيد صاحبها اللغة التى ينقل عنها ، وأن يكون ابن اللغة التى ينقل اليها ، وإنما أن يتوفر له الحس الأدبى ، وأن تكون لديه القدرة على خلق معادل أدبى للنص الذى يترجمه . لا يقنع بنقل الجملة حرفيا ، وإنما يطمح إلى نقل ظلالها الايحائية ، وإيقاعاتها الشعرية الشفيفة ، وتوترات تراكيبها الداخلية ، وموسيقى تتابعاتها الأسلوبية . فلكل هذه الخصائص وظائف هامة فى اللغة الأدبية ، لو تجاهلها المترجم ، أو أغفل دورها لأجهز على روح النص ، ولم يتبق له منه غير جثة هامدة من الحروف والكلمات . ولهذا فمازال الأدب العربى ينتظر المترجم الأديب ، الذى سيحقق له ما حققه جورجى راباسا لأدب أمريكا اللاتينية ، أو ما حققه فيتزجيرالد من قبله لرباعيات الخيام ، وما حققه المنفلوطى لأعمال فرنسية متوسطة القيمة ، ولكن ترجمتها المشرقة جعلتها جزءا هاما من تراث العربية وأدبها الحديث .

القاهرة : د. صبرى حافظ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

د. سيد البحراوى

دفاعاً عن الرواية (التقليدية)
قراءة فى رواية "الوارثون"

دراسة

« الوارثون » هى الرواية الثانية للدكتور خليل حسن خليل ، بعد روايته الأولى « الوسية » . وهى بذلك تشكل الجزء الثانى من ثلاثية يصدر جزؤها الثالث قريباً لتكتمل حياة البطل أو الواقع منذ الثلاثينيات وحتى الآن .

إن صدور هذه الرواية ، بعد رواية فكرى الخولى « الرحلة » التى يصدر الجزء الثانى منها قريباً ، يمثل حدثاً هاماً ، لأنه يعلن بروز اتجاه روائى جديد/قديم فى الرواية المصرية المعاصرة . قديم لأن بنيته تقليدية ويمكن أن يكون له نماذج شبيهة من قبل عند المؤلف : وعند غيره . وجديد لأنه يبرز مصارعاً التيارات الراهنة الغالبة على الرواية المصرية ، والعربية ، المسماة بالرواية الجديدة

وأهمية هذه الرواية تكمن فى أنه ، رغم تقليدية البناء ــ وعدم الاهتمام باللّعب الشكلى كقيمة فى ذاته ، يمكن أن يكوّن لدينا رواية على درجة عالية من الفنية ، تحقق الوظائف المرتجاه من عمل أدبى : المتعة والمعرفة الناتجتين من التعمق فى الذات الواقع ، حيث لا يصبح الانفصال بينهما هو السمة الجوهرية بل الصراع الفعال والإيجابى .

إننا منذ فترة طويلة قد افتقدنا ــ فى روايتنا ــ الإنسان الفاعل ، الإنسان الذى يعانى معاناة شديدة واضطهاداً قاسياً متنوعاً وعلى مختلف المستويات ، ومع ذلك يظل يمتلك القدرة على الرفض وعلى الفعل الايجابى فى مواجهة هذه المعاناة وهذا القمع ، بحيث تتحقق المعادلة الانسانية الصحيحة بين القوة والضعف ، الاستسلام والصمود ، وهى المعادلة التى تعنى ــ معرفة الحياة وقوانينها . معرفة قانون تحقيق الحرية عبر قهر الضرورة .

إن ما سبق لا يعنى أن رواياتنا المعاصرة لا تحقق هذه المفاهيم . فهى تحقق ذات الوعى ولكن بمنهج مختلف ، منهج يعرض على المتلقى الجانب السلبى (وهو واقعى تماماً) فى حياة الإنسان ، لكى تدفعه إلى أن يبرز مدافعاً ومواجهاً له . غير أن هذا المنهج قد ينجح وقد يفشل ، كما أن شروط التلقى تصبح ــ هنا ــ هى العنصر الحاكم والفعال ــ أكثر من شروط المبدع . وأقصد هنا حدود المتلقين التعليمية والمعرفية بل والسياسية أيضاً .

أردت أن أقول فى الفقرات السابقة ، إننا نشهد ــ مع هذه الرواية ، بطلاً مختلفاً ، يمكننا أن نسميه البطل الايجابى فى مواجهة البطلين الاشكالى والضد اللذين يشغلان المساحة الأساسية فى روايتنا المعاصرة . ولكن لابد من الاحتراز هنا حول معنى ايجابية البطل فى « الوارثون » . ذلك أنه ليس بطلاً مسطحاً وفعالاً ومنتصراً بالضرورة وفى كل المواقف . لكنه بطل يمتلك القدرة على المواجهة كما يمتلك المعرفة بضرورة الانسحاب أحياناً ، بل يمكنه أن يقع فريسة لليأس أو الهروب إذا اضطره الأمر .

البطل فى (الوارثون) يعيش حياة مليئة بالصراعات تمتد منذ اللحظة الأولى فى الرواية ولا تنتهى مع نهايتها .

تبدأ الرواية بمحاولة من البطل (الأمباشى حسن خالد حسن) الحاصل على ليسانس حقوق (من منازلهم) ليقابل النائب العام لكى يحصل على حقه فى التعيين « وكيلاً للنيابة » بعد أن حصل على تقدير جيد جداً ، وانتظر طويلاً بينما عين زملاؤه الحاصلون على تقديرات أقل . ولأن حسن امباشى (عسكرى) فإن محاولته تكاد تفشل ولكنه ينجح فى إقناع السكرتير بأنه يحمل رسالة شفوية من وزير الدفاع . وحين يقابل النائب العام يكتشف أنه ووزير الدفاع قد اتفقا على ألاّ يعين لأنه ليس من « أسرة » .

ويجد حسن أن هذا الطريق قد أغلق فيلجأ إلى طريق البعثات فيلتقى بالدكتور طه حسين وزير المعارف الذى يحقق له العدل ويذهب فى بعثة ليعد مادة للدكتوراه بعد أن رفض الأساتذة الإنجليز الاشراف على رسالته التى صمم هو أن تكون من معوقات التنمية فى مجتمعات العالم الثالث (وخاصة الاستعمار والرأسمالية) . وحين يعود يواجه المصاعب الجمة مع أستاذه المصرى (الدارس فى انجلترا) حول نفس الرسالة ولكنه ينتصر فى النهاية ويحصل على الدكتوراه .

ويفتح له حصوله على الدكتوراه باباً واسعاً لمعارك جديدة فيعين مدرساً فى جامعة أسيوط ، ثم يستدعى للعمل فى مكتب رئيس الجمهورية للدراسات ، ومنه يدلف إلى المشاركة الكاملة فى العمل السياسى عبر انتخابات الاتحاد الاشتراكى ، ومجلس الأمة والتنظيم الطليعى ومنظمة الشباب . وهى جميعها معارك كبيرة تنتهى بشهرين من السجن فى زنزانة انفرادية ، يخرج منها البطل ليسافر إلى أفريقيا « فلعل أحراش أفريقيا ، تبعث فينا أملاً جديداً ، وتمدنا غاباتها بوسائل فاعلة » .

هذا الهيكل الأساسى لأحداث الرواية يكشف طبيعة الشخصية ومنطقها فى الحياة وقدرتها على المواجهة بمختلف الأشكال ، بما فيها الممالأة أحياناً أو حتى الانسحاب . وهذا المنطق ينسحب أيضاً على المحور الآخر من الأحداث الذى يتضافر مع المحور السابق ، أقصد محور العلاقة العاطفية الأساسية مع « برتدا » والتى سبقتها علاقات متقطعة وعابرة مع فتيات انجليزيات ، وهى كلها علاقات عاملها البطل بنفس منطق المواجهة والصراع وخاصة أنها امتدت إلى مشكلة الصراع العنصرى فى المجتمع الانجليزى بسبب لون البطل الأسود الذى من أجله رفضه الانجليز الارستقراط والبرجوازيون فلم يجد مأوى إلا فى منازل العمال الفقيرة . غير أن البطل لا يجعل من هذا الأمر مأساة ، بل وسيلة لكشف التناقض داخل المجتمع الانجليزى ، ولتحقيق الوعى الجدلى بالعالم حيث ينقسم كل مجتمع إلى سادة ومسودين وأن مصلحة السادة ــ فى كل مكان ــ واحدة ضد مصالح المسودين ــ فى كل مكان فى انجلترا وفى مصر .

كذلك لا يستسلم البطل لغطرسة السادة الانجليز سواء أكانوا أصحاب منازل أم أساتذة أم فتيات جميلات ، فنراه بعد فترة ، قد انتقل إلى أحد أحياء السادة (النظيفة) والتقى بواحدة من فتياتها واستطاع أن يحقق حلمه معها عبر صراعهما المشترك ضد العدوان الثلاثى على مصر الذى برز فيه خطيباً مفوهاً ومناضلاً عنيداً .

وهنا يمكننا أن نرصد ملاحظة أساسية بشأن سلوك البطل ومنطقه فى المواجهة . إنه ينطلق طوال

الرواية من رغبة واضحة فى تحطيم كل العقبات التى تمنعه حقه فى الحياة ، سواء كانت هذه العوائق الفقر أو اللون أو الفكر : إنه يخوض صراعاً طبقياً واضحاً لا لبس فيه . ولكن برغم إيمانه الكامل بأن هذا الصراع لابد أن يكون جماعياً ومنظماً ، يخوضه طوال الوقت وحده كبطل فرد ، ومن الطريف أنه ينتصر فيه ، ولكن من أجل ماذا ؟ من أجل تحقيق بطولات وطموحات فردية تخصه ولا تخص الطبقة التى يرى أنه يناضل من أجلها . ولذلك يتحول إلى جيش وحده ، يوزِّع نفسه إلى مقدمة ومؤخرة وجناحين ، ويوزع المهام على هذه الأقسام بحيث يضرب ويغطى ويقوم بكل الحيل والأساليب وحده . ويبدو لنا أن هذا الفارق بين الفكر والسلوك ، يمكن أن يكون مردوداً ــ حسب منطق المؤلف نفسه ــ إلى أصوله الطبقيّة فلم يكن أصله فقيراً ، أو كان جده وأبوه من « ذوى الأملاك » . ولكن التبذير (والكرم) أضاعا هذه الأملاك وأصبح فقيراً يرفضه قريبه الشيخ كزوج لابنته لأنه فقد أملاكه . وربما كان هذا الجذر (الطبقى) وراء كثير من سلوكه فى الرواية وكإصراره على الحياة فى حى برجوازى فى لندن ، وحرصه على زوجة من طبقة برجوازية محافظة (رغم تقدمية الزوجة نفسها) ، ومنها غضه البصر عن الأمراض الخطيرة التى كان يراها منتشرة حوله فى جهاز العمل السياسى (الوزير والتنظيم الطليعى) متصوراً أنه يستطيع أن يحقق غرضه النبيل رغم أنوفهم . وهو ــ بالطبع ــ يحاول دائماً أن يبرر هذه الألوان من السلوك ، ففى لندن يبرر سكنه للحى الأرستقراطى بأنه يحب النظافة ، وفى مصر يبرر سلوكه بأنه يؤمن بالقيادة إيماناً مطلقاً ، وحين اعترضت القيادة على تقرير كتبه عن « الباشوات الجدد) لم يعلق .

ولكنه يدرك فى نهاية الرواية أن « القهر هو العدو الوحيد الذى لم يستطع أن ينتصر عليه فردياً . هذا أمر منطقى . فهو فرد ، والقهر قوة كبيرة شرسة لا تفاهم معها ، لا عقل لديها ولا عاطفة . تضرب بجهالة ووحشية أياً كانت الفريسة . وصل إلى نتيجة مؤداها : الفرد يمكن ، بكفاح معين ، أن يأكل بعد جوع ، وأن يتكلم بعد جهل ، وأن يتقدم بعد تخلف ، ولكنه يستحيل عليه أن يقهر القهر وحده . حتى عنترة وأبو زيد الهلالى ، وسيف بن ذى يزن ، وأدهم الشرقاوى ، لم يستطيعوا ! القهر ، لا يخلص أية جماعة بشرية منه ؟ إلا إذا تجمعت ونظمت للقضاء عليه » .

إن هذا الإدراك الذى تحقق فى نهاية الرواية ، كان نتيجة لكل الصراعات ، مثلما كانت الزنزانة التى طاف هذا الخاطر بذهنه وهو يعيش فيها ، محصلة لمنهجه الفردى . ومع ذلك تظل هذه الفكرة فكرة مثالية ، حرص البطل فيها أن يحول القهر إلى قوة ميتافيزيقية غير ملموسة ومنفصلة عن الجوع والتخلف والجهل ، أى عن الطبقة القاهرة .

وعلى كل حال فإن هذا الصراع الخفى بين فكر البطل وسلوكه لم يكن عبئاً على الرواية ، بقدر ما كان عنصراً فاعلاً فى توترها وإثرائها بمنحنيات خفية ، لم يقصدها المؤلف ، ولكن القارىء المتعمق يستطيع أن يجد فيها عنصراً هاماً فى كشف رؤية البطل للعالم والحياة ، بحيث تجعل منه ــ لا مجرد بطل إيجابى مسطح ــ بل بطلا يحمل بعض الخصائص الإشكالية التى تعقد الصراع وتجعل له أكثر من مستوى . ولا شك أن هذا التوتر قد انعكس على بناء الرواية الذى وصفناه فى البداية بأنه بناء تقليدى .

لقد قصدنا بتقليدية البناء تسلسل الأحداث وتتابعها أفقياً ، حسب التسلسل الزمنى التاريخى ، بما يعنى درجة عالية من القرب من الواقع ــ مع الصدق الكامل (قدر ما يستطيع المؤلف) ــ فى تحقيق جمال هذه الرواية . غير أن تكامل بناء الرواية يشير إلى أنه لم يكن على درجة كاملة من التوازى مع تسلسل الأحداث فى الحياة إلا فى الاطار العام جداً . أما فى داخل الرواية فإن التداخل الزمنى هو السمة الأساسية ، بحيث تجتمع اللحظات الزمنية الثلاث بدرجاتها المختلفة فى لحظة واحدة ــ فى أحيان كثيرة .

إن لحظة الحاضر التى ينطلق منها المؤلف لا تبقى عند حدود الحاضر الخاص ، بالحدث نفسه ، بل إن الكاتب يعود دائماً إلى الماضى ليؤصل ذلك الحاضر ، فى كثير من الأحيان . وفى أحيان أخرى يختلط حاضر اللحظة بحاضر الكتابة . وإذا كان المزج بين الحاضر والماضى يضيف ثراءً للحدث فى كثير من

الأحيان ، فإنه يوقف نمو الحدث أكثر مما ينبغى فى أحيان أخرى ، وأحياناً يحول إلى نوع من التعليم الثقيل على القارىء . أما اختلاط الحاضر الخاص بالحدث ذاته وحاضر لحظة الكتابة أى المستقبل بالنسبة للرواية لحظة الكتابة ، فقد كان كله عيبا فى الرواية لأنه يخرج القارىء تماماً من سياق الحدث ولحظته الزمنية إلى سياق مختلف وحكم قيمة مسبق لا يعرف مبرراته إلا المؤلف ذاته . وهذه التداخلات تحدث كثيراً فى الرواية (نحو عشر مرات) تبدأ مثلاً فى صفحة (٢٥) حين يقول : صرع حسن البنا فى أهم شوارع القاهرة . شارع الملكة (رمسيس الآن) ، ونجدها أيضاً فى ص ٧٩ حين يقول : « وضع على مدخل كوبرى قصر النيل أسدان حديديان . رمز بريطانى ، يثير فى وجدانه غثيانا وقهراً . مازال الأسدان يقبحان الكوبرى ، والنيل من تحته ؛ حتى بعد جلاء الانجليز بثلاثين عاماً !» . . الخ .

كذلك أدى تداخل الأزمنة إلى القفز على أحداث كثيرة خاصة بتطور البطل وفكره فنحن نبدأ وهو يحس بالتناقضات دون وعى ، وفجأة تراه مناضلاً ضد الانجليز دون أن نعرف فى أى فريق يعمل ، وفجأة أيضا تراه واعياً سياسياً » وغير ذلك .

وبرغم كل ذلك استطاع الكاتب بصدق تجربته (ترجمة ذاتية أمينة ؟) وثرائها واختيار أبسط الأشكال لصياغتها سواء على مستوى البناء أو على مستوى اللغة البسيطة ــ الفصيحة المليئة بالحركة والفكاهة والحيوية ، أن يقدم لنا رواية مهمة دون شك فى الأدب العربى المعاصر ، رواية لا تغرينا بجمالها الشكلى فحسب ، وإنما تغوص بنا ــ أساساً ــ فى أخطر مرحلة من تاريخنا الحديث ، لتكشف ــ من خلال بطلها ــ ما خضناه من معارك بعضها جليل وكبير وبعضها مأساوى وبعضها مزيف . ولكى نستطيع أن نتأمل موقفنا من جديد ونعرف أين نحن ، ماذا فعلنا ، وماذا فعل بنا « الوارثون » .

ولعل الجزء الثالث من ثلاثية الدكتور خليل ، أن تقودنا ــ من جديد ــ فى هذا الطريق .

القاهرة : د. سد البحراوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مطهر شهاب

دراسة

ألوان التصوير في شعر القاسم الوزير

« ثق بنفسك ! ذاك وتر تهتز له كل القلوب » .

هذه الوصّية وردت فى مقال مشهور للكاتب والشاعر الأمريكى « أميرسون » الذى كان لا يخفى إعجابه بالفكر الإسلامى وحكمة الشرق . وها هو ذا يسطر هنا حكمة تزرى بكل من يتصنّع الأدب أو يتكلف الشعر . وما أقل أن تجد ، حتى بين المجيدين ، من يُسمِعك أوتار ذاته ، خاصة فى شرقنا المكبوت ، حيث أصبح الخَرَس فضيلة والنفاق حكمة .

ولكنّك لا تعدم سماع هذه الأوتار كلما قرأت شيئا للشاعر اليمنى القاسم بن على الوزير . فسرعان ما يجد المتابع لفن هذا الرجل أن أشعاره لا تعدو أن تكون أصداء لموسيقى نفسه ، وأن مكوّن صوره البلاغية رسومات تعكس ما يبرق فى ذهن الشاعر من خواطر . إنه ضرب نادر من القصيد ، يكاد فيه أن يكون الشعر شعورا خالصا . وسترى أن الصنعة فى هذا الشعر تتقلّص إلى درجة يصبح معها دور الشاعر أشبه بدور المقترض المستعير . فهو من الأيام يستعير ريشة التجاريب التى تلون معاناته النفسية ، وهو من الأشجان يستعير النّاى الذى يجهش بهذه التجاريب :

« يا لدات الشباب جهشة محزون أعارته نايَها الأشجانُ
ذهب الصادقون إلا قليلا وتولّى اللداتُ والأقرانُ
وأنا - إثرهم - أردد ألحانى فما أرجعتهم الألحانُ » .

بهذه الألحان الشجية الجاهشة ، يبكى شاعر اليمن صديقا له من مصر هو المرحوم محمد المسمارى ، عضو مجلس الشعب ، الذى كان كما يصفه القاسم :

« وله الصدر فى الندىّ تزكّى حسْنَ أقواله الفعال الحسانُ
المحامى يحمى الذّمار .. فحقٌّ يتأدّى به وعرض يصانُ » .

وكان بين الرّجلين أخوة ومودة ، أخوة العقيدة الواحدة ومودة الشعور المتجانس . أما فى الساحة

السياسية ، فإنهما ينتميان إلى مدرستين مستقلتين ــ المسمارى إلى جماعة الإخوان المسلمين ، والوزير إلى اتحاد الشوروبين التعاونين . وفى هذا الائتلاف الطّاغى على الاختلاف ، يقول الشاعر :

كـان لى منـه فى « الكنـانـة » ظـلٌّ . . وارف مـثـل خُـلقـه فـيـنـانُ
الـتقـينـا عـلـى الـعـقـيـدة ــ لا الحـزب فـفـى الله كـلُّنـا إخـوانُ

ولنعد إلى جهشة المحزون ، إلى الأبيات التى يستعير فيها الشاعر من أشجان نفسه الناى الذى يبكى به . فسيجد الدارس لشعر القاسم أن فى تلك الأبيات ما يغنيه عن جهد كبير . فيها يكمن كنه فنه وسر شعره . فإذا ما قابلناها بأشعار القاسم وقصائده الأخرى ، وجدناها جميعا ، على اختلاف ألوانها وتباين ألحانها ، تصدر من ناى واحد : القانون الجدلى الذى ينتظمها جميعا هو عين القانون : العاطفة تحرك الفن ، والفنّ يستعير أوتار العاطفة لإنجاز الأداء . الرسم يساير الموسيقى ، والصوت يصاحب الصورة ، والشعر مصبوغ بألوان المشاعر .

والأبيات التى استشهدنا بها تدليلا على هذه العلاقة الجدلية وردت فى المقطع الأخير من المرثاة المشحونة بألوان العواطف الشخصية ، والموحيات التاريخية ، والتأمّلات الفكرية فإذا ما تابع القارىء هذه السلسلة من الشجون والعواطف ، فإنه لحظة أن يصل إلى عبارة« يا لدات الشباب » ! لا يملك إلاّ أن يقف . وهو يقف ليس لأن صرخة الشاعر تستوقفه فحسب ، بل لأنها تستوقفه فى المكان المناسب . فنداء الشاعر « يا لدات الشباب » يأتى بعد رحلة طويلة زاخرة من جزيرة العرب ووديان مكة إلى الأقصى فى ربوع الشام ، ومن روابى اليمن إلى ضفاف النيل فى مصر . وفى هذه الرحلة يبحر القارىء فى نفس الشاعر ، يحس بما يحسه ، ويعانى مما يعانيه . فما أن ينطلق نداء « يا لدات الشباب » حتى يفزع القارىء للنداء ، وكأنّ لسان حاله يقول : « نعم ! هذا هو وقت الانفجار والاستراحة معا ، ترى ماذا أستطيع لك الآن ؟ فيأتى جواب الشاعر :

« جهشة محزون أعارته نايها الأشجـــانُ »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يأتى هذا الجواب فيقبله عقلك وترضاه نفسك وكأنّك كنت تترصّده ترصدا ، وتنتظره انتظارا ، فلا تملك إلا أن تسلّم للشاعر بأنّ قصيدته ما هى إلاّ جهشة . وأنت تستخلص من طوايا القصيدة بأنّ الشاعر ، إذ يقدّم العمل على القول ، يدرك بأنّ لكل غاية عمل ، ولكلّ مقام مقال . ومقامه هنا هو مقام الجاهش الباكى ، مقام من يتذكر فيذكره . القصيدة « جهشة » ، ولكنّها ليست جهشة من يتصنع البكاء الشعرى أو يتعمد النياحة الفنية ــ إن هى إلاّ « جهشة محزون أعارته نايها الأشجان » فهى ، بحق ، ترديد لوقع هذه الأشجان ، وصدى من أصدائها .

هذا الصدى الصادق نسمع رنينه أيضا فى قصيدة القاسم « صدى الرّحيل » ولها مع الأشجان قصة . إذ خرجت إجابة على قصيدة للمفكر والمجاهد السورى المسلم عصام العطار ، الذى سقطت زوجته الأخت بنان على الطنطاوى شهيدة برصاص الغيلة النكراء فى ألمانيا . فكان أن نظم زوجها « قصيدة الرحيل » وهى ميمية ، يبث فيها آلامه ، ويجهر بآماله . فإذا بالقاسم يتمثلها جميعا ويسمعنا رجع نفسه فى ميمية مماثلة هى « صدى الرّحيل » وكأنّك تلمس فيها السهر والحمى اللذين تداعت بهما اليمن لشكوى الشام :

جـفـنٌ لجـرحـك . . لم يـغمضْ ولم ينـمِ يشكـو من الهمِّ . . مـا تشكـو من الألمِ
يـا نـازحَ الـدارِ لم يخـتر مـبـارحـةً إلاّ حـفـاظـا عـلـى زاكٍ من الـذمـمِ

إلى أن يقول :

لـــئن تـغـيَّر أقـوامٌ أو انـقـلـبـوا لـقـد وفـيـت وإن قـبـضـاً عـلـى الـحُـمَـمِ

ولنتأمل الأبيات التالية ، وكيف يسمعنا الشاعر فيها من جديد أنغام نفسه وما انطبع على ذهنه من حداء الضمير أو حداء العاطفة المتجاوبة :

يـا حـادىَ الـرّكب من خلفِ البحار وقـد نـأت ركابـك عن « ليـلى » وعن « سَلَمِ »
أشـجـيـت قـلـبـا شـجـيـا غـيـر ممـتـلـىء إلاّ بـحـشـدٍ مـن الأحـزان محـتـدمِ
غنى فـأبكى . . وأشجى قـولـه . . وإذا أراق دمـعـا . . ففى بـاكٍ من الـكـلـمِ
لا يـسـتـطـيـع عـطاءً لـيس يـمـلـكـه من يعـزف الحـزن يجـرح بهجـة النغمِ
من أجـل هـذا . . تـوارى عن نـواظـرهم ولاذ بـالـصمـت مـطويـا عـلـى ضَـرَمِ
إنّـا كـلانـا نـزلـنـا غـيـر سـامـرنـا واسـتـوطن الـقلبَ جـرحٌ غـيـر ملتئمِ

نحن أمام رجل لا يعطى من الفن إلاّ ما يملك من العاطفة ، وأنّ أشعاره غيض من فيض مشاعره ؟ النغمة النفسية التى نجدها هنا تعود بنا إلى ذات النغمة التى لمسناها فى قصيدة الشاعر عن المسمارى . ففنّ القاسم كله ، وان تباينت ظلاله وأطيافه ، مصبوغ بلون أساسى واحد ــ هو لون نفسه . الاحساس والتعبير يلتقيان ، كما رأينا ، فى وحدة عضوية غير منفصمة ، فهناك وشيجة قوية تربط الثمرة الفنية والبذرة العاطفية التى تنبثق عنها القصيدة . ومن هنا تتضافر الأنغام والصور فى شعر القاسم فى نسيج فنى وعاطفى واحد ، مما نخال معه أنّ الشاعر أسير لفنه لا مسير له ، وأنه مطيع لقوى من الالهام والايحاء لا قبل له على عصيانها . الخلق الفنى فى مثل هذا الشعر تسبقه عاطفة نضجت وشعور فذ استفاض . أى أنّ مخاض التجربة النفسية يكره الفنان على التعبير المبدع اكراها ، فتولد أشعاره مشاعر تضج بالدفء والحياة ، ولنتأمل هذه الصورة التى يصور فيها الشاعر حياة بنان وموتها ، معزيا زوجها بكرامة الاستشهاد :

« بـنـان » . . ذلـك نـور منـرَّ مؤتـلـقـاً مـن نـور ربـك فى داجٍ مـن الـظُّلَمِ
عـاشـت عـطـاء عـلـى الـدنـيـا تمـرّ بـهـا كـمـا عـلـى الجـدب مـرّت واكف الـديَمِ
عـاشـت صـلاةَ جـهـادٍ غـيـر مـنـقـطـعٍ وسـلـمـت بـفـداء غـيـر مـنـفـصـمِ
عـادت إلى ربّـهـا أكْـرِمْ بـعـائـدةٍ أدّت شـهـادتـهـا مـكـتـوبـةً بـدمِ
طـوبى لـهـا فى الأعـالى عـنـد بـارئـهـا وبـاء قـاتـلُـهـا بـالـخـزى والـنـدمِ

لابد أن ننوّه أولا أنّ تبجيل الشاعر للشهيدة ليس ضربا من ضروب المجاملة يسوق به العزاء التقليدى . فقد عاشت الشهيدة مع زوجها مرارة الغربة ومحنة المرض وأخطار الجهاد . تحملت « بنان » ذلك كله فى صبر لا يقوى عليه أكثر الرجال فكانت من ثم نعم الشريك والمشجع والملهم لزوجها الذى يناجيها فى القصيدة ، قائلا :

« بـنـان يـا أنس أيـامى الـتى انصـرمـت ولـيس يـومـك فى قـلـبـى بمـنـصـرمِ
ويـا رفـيـقـة دربى والـدنـا ظُـلَـم نـشـقُّ درْب الهـدى فى حـالـك الـظلمِ
ويـا ثـبـات فـؤادى فى زلازلـه وبـلـسـم الجـرح فى نـفسٍ وفى أدَمِ
ويـا وقـائـى إذا مـا كـنـت فى خـطرٍ ويـا يمـيـنى ويـا سـيـفـى ويـا قـلمـى

هكذا عاشت بنان ، فكان من وفاء التسجيل أن ترسم ريشة القاسم حياتها وموتها فى هذه الصورة النافذة :

عـاشـت صـلاة جهـادٍ غـيـر مـنـقـطعٍ وسـلّمـت بـفـداء غـيـر مـنـفـصـمِ

وقد نمى إلينا أنّ مؤرخ الأدب اليمنى والبحّاثة الدءوب السيد أحمد الشامى ، عندما سمع هذا البيت طرب له طرب الناقد الذواقة . قال انه بيت « غير مسبوق » ، وأنه لم ير من صوّر هذه الفكرة فى الشعر العربى سلف يدانيها . والذى يعرف الشامى ، الشاعر الصّناع ، لا يصعب عليه أن يخال الرجل ينطق بهذا وعيناه تقدحان وميض المنافسة ، وكأنه يقول : « ليتها كانت لى » ومن السهل على من يغبط شعر القاسم أن يطمع بتوليد مثله . فشعر القاسم ، على ثرائه وجزالته ، كله سهل . ولكنه السهل الممتنع . أما مردّ امتناعه وهذا ما أحسبه قد غاب على الشامى ، فهو أنه شعر لازم لنفس قائله ، لاصق بها . فهو يلجأ إليه للتفريج عن قلبه ، لا للتفريج عن جيبه . فهو فى مذهبه الفنى اذن ليس بحتريا يتخذ أدبه حرفة يرتزق بها ، أو مفخرة يمشى بها فى الأرض مرحا . فهو كما ، رأينا ، مضطر إلى الشعر اضطرارا ، يعانى فى حمله كما يعانى فى ولادته . وأخاله وهو يسجل ذلك الشعر وكأنه لا سلطان له إلاّ سلطان من يكتب ما يملى عليه . أمّا الذى يملى على شاعرنا شعره فهو رصيد ضخم من تجارب الحياة العملية والنفسية والعاطفية . وهى تجاريب تمثلتها قريحة يقظة وشعور مرهف دقيق ، فسرى ذلك فى كيانه حتى أصبح جزءا لا يتجزأ من مزاجه الذهنى والفنى . ويتضح هذا خير اتضاح فى وصفه لتاريخ « بنان » . إذ صوره بأنّه صلاة جهاد متواصل ، كانت الشهادة فى آخره سلاما اختتمت بها تلك الصلاة .

فى منتصف القرن الميلادى هذا كان القاسم وإخوته صبية أحداثا يتلقون العلم والأدب فى بيت من أعرق بيوت الفقه والسياسة فى اليمن . فى هذه البيئة كان الصبية الصغار يسمعون أنّ الصلاة هى خير العمل ، وأنّ الجهاد هو تاج المسلم ، والعلامة الفارقة بين النّاهضين والقاعدين . ثم إذا هم يشهدون ذويهم يفعلون ما يقولون . شهدوا أباهم على الوزير وعمهم عبد الله الوزير يختتمون صلاة الجهاد بذلك التسليم ، تسليم من أدى شهادته « مكتوبة بدم » . حدث هذا سنة ١٩٤٨م عندما أجهضت ثورة اليمن الحقيقية المعروفة بثورة الأحرار الدستوريين . وهى الثورة التى حظيت بتعاطف طلائع الصحوة الإسلامية ورجالاتها ، ومنهم الامام الشهيد حسن البنا رحمه الله . وحرى بالذى يتصدى لفهم شعر القاسم أن يتأمل هذا التاريخ المفعم بالجهاد ، المتوج بالاستشهاد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فالمزاج النفسى والتكوين الذهنى لأى إنسان ما هو إلا ثمرة من ثمار تاريخ حياته ، به يتغذى وعليه يترعرع . فإن كان شاعرا ، وشاعرا من طبقة القاسم ، جبهتك آثار الأحداث بكل ثقلها وعنفوانها . فانك لا تسمع ألحانه إلاّ ومعها تاريخ كامل مركز فى رسمة أو صورة أو كلمة . وهنا يكمن سرّ تلك القوة التى قصد إليها « اميرسون » عندما قال : « ثق بنفسك ! ذاك وتر تهتز له كل القلوب » ، وكأنه يقول : « كن من أنت ، وأسمعنا ألحان نفسك » .

غير أن السيد الشامى ، مع هذا ، محق فى أنّ فنّ القاسم ، من حيث هو فن ، أهل للغبطة وأهل للاعجاب . مثلا ، هذا الطباق الذى تلتقى فيه العفوية بالمهارة فى مزيج بديع ، فى البيت الذى يختتم به الشاعر قصيدته « صدى الرّحيل » :

أنـت الـغـريـب فـمـا آسَـى لمـغـتـربٍ عـاف الـوصـول فـآخى وحشـةَ القممِ

مثل هذا المعنى طرقه أبو القاسم الشابى فى قصيدة « إرادة الشعب » حيث يحذر من أن الذى يرغب عن صعود الجبال يقطن أبد الدهر بين الحفر . كما طرق عمر أبو ريشة مثل هذا المعنى فى قصيدة « النسر » الذى اهتز هزة المقرور فترك السفح وأبى الاّ أن يحلق طائرا ويموت موتة كريمة على الذروة الشماء فى حضن وكره المهجور . أقول إن هذا التسامى من السفح إلى القمة قد طرقه هذان الشاعران الكبيران ، التونسى والسورى ، فأجادا وأبدعا . غير أننى ألمس فى بيت القاسم الوزير قوة عجيبة ونبرة صدق أدعى للاطراب . ولعل مرد هذا إلى سببين : الأول ، هو موقع البيت فى آخر القصيدة ، وهو موطن يستقر فيه

القارىء كما يستقر طالب القمة آخر المطاف . والثانى ، هو أن البيت يأتى ، وكأنه الخاتمة المنطقية ، بعد سرد مطوّل للوحول التى يرى القاسم أنّه لا بأس على رجل فى اباء العطار من أن يهجرها ويلوذ منها إلى « وحشة القمم » . وقد صور الشاعر هذه الوحول فأتقن تصويرها فى لمحات خاطفة وإيجاز مبدع ، بيّن فيه مآسى الأحرار من بنى المسلمين فى مواطنهم ، حيث يلقون من المواجع ألوانا تفوق ما يلقونه فى غربتهم ، يقول الشاعر :

فى كل أرضٍ لنا منفى . . وما طلعت ... شمسٌ . . ولا غربت إلاّ على غممِ
والقاطنون ؟ وهل تدرى مواجعهم ؟ ... يودّ ناجيهمو لو فاز بالعدمِ
إن سالموا استُعبدوا أو قاوموا سُحِقوا ... أو صانعوا حُشروا فى زمرة الخدمِ
نشكو العدى لليالى وهى ناظرةٌ ... فعلا أشدَّ وأنكى من ذوى الرّحمِ
اللاّبسين ـ على النكراء ـ جلدتنا ... الخالعين سمات النبل والكرم
الحاملين ـ ويا للزّور ـ فى صلف ... أسماءنا ـ وهى منهم ـ دونما حُرَمِ
الهادمين عزيزا من مآثرنا ... والقاعدين على الأنقاض والرممِ
الواغلين على التاريخ هازلة ... أحداثه . . فى سياق غير منتظمِ

وفى قصيدة الرّحيل يقول العطّار عن نكبة العرب بحكامهم :

والحاكمون بأرضِ العُرْبِ سمعُهمُ ... عن محنةِ الحق والانسان فى صممِ

إلى أن يقول :

نُصْبٌ طراطيرُ أقزامٌ وان لبسوا ... للناسِ أثوابَ هارون ومعتصمِ
نرى بهم كل ما نشكوه من صنم ... « ولا نشاهد فيهم عفة الصنمِ »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونلاحظ أن العطّار يستشهد فى البيت الأخير بالشاعر أبى الطيب المتنبى ، فيما يشبه المسامرة أو الحوار الفكرى عبر التاريخ . هذا الحوار يدخله القاسم ، فنجد أنفسنا فى مؤتمر يقارع فيه أصحاب القلم والبيان أهل الجبروت والسلطان ، يقول الشاعر فى « صدى الرحيل » :

حكامنا ـ وليكن للعار موسمه ـ ... يزهون بالإثم أو يزهو بمثلهمِ
تجبّروا كى تُرَى فيهم جبابرةٌ ... أمثالَ هارون . . أو أمثالَ معتصمِ
ليسوا جبابرةً . . لكن زبانيةً ... فللجبابر بعض الزّهو . . والشممِ
سل اليهود . . وسلهم . . هل ترى رجلا ؟ ... لولا هم . . لم تكن صهيون . . أو تدُمِ

وشاعرنا ، من بعد ، ليس ناظما يحبّر القراطيس فى برج من العاج . فقد شارك آل الوزير فى صنع تاريخ اليمن الفكرى والسياسى من قديم . ولهم فى تاريخ اليمن الحديث ، كما رأينا ، صفحات كتبوها بدم . وقد دخل القاسم معترك العمل الإسلامى وعمل مع الصعيد السياسى والثقافى جنبا إلى جنب مع إخوته ومنهم الكاتب والمفكر الجهبذ السيد ابراهيم الوزير والباحث المؤرخ زيد الوزير ، وشاركوا فيه بالكلمة الجريئة والجهد الكريم . ومن هنا فالقاسم وهو يرسم صورا من ألوان الحكم والسياسة لايردد صياغات باليات جوفاء الرنين لإدانة هذا أو القدح فى ذاك بل يصور المأساة كما شهدها ، وبعين الخطوط التى رسمتها الأحداث فى نفسه ، فيشعرك أنه لا يقول إلاّ ما يعلم ، وانه يعلم ما يقول ، وأن قلمه طوع لمشاعره ، ومشاعره غذاء لشعره . فأنت ، إذا تأملت الأبيات التى أوردناها من قصيدة صدى الرحيل ،

والتى تصور المسلمين وقد رزئوا بحكامهم ، تجد أن صدقها لـه ذات الرنين الذى تجده فى قصائده الأخرى . تجد هذا الرنين ، مثلا ، فى المرثاة التى كتبها فى موت المسمارى فهناك أيضا يسجل الشاعر جانبا آخرا من جوانب الظلم والظلام المخيم على أمة ساد فيها حكم الطغيان وعدالة القرصان :

ويـك أن الـظلام داج ... وانّ الـركـب فى الـليـل تـائـه حـيـران
نُـصِّـب الجـاهـلون فى أمـم الـشـرق ... فـسـاسـت شـعـوبـهـا الـنُّوبـانُ
أصـبـحـت « مخـدعـا » لـلاهٍ و« كـأسـا » ... لخـلـيـع .. ومـا ارتـوى الـسـكـرانُ !
سـلـبـوهـا ـ بـاسـمـهـا ـ كـل حـق ... وتـولى الـعـدالـةَ الـقـرصـانُ
صـدقـوا الحـربَ فى أذاهـا ولـكـن ... كـذب الضـربُ ، فى الـعـدى ، والـطـعـان !
اسـألـوا عـنـهـم الأولى غـرسـوهـم ... حـرْبـةً مُـزِّقـت بـهـا الأوطـان
ودعـوهـم إلى الـغـنـا .. فـأجـابـوا ... وأرادوهـمـو عـبـيـدا فـكـانـوا
نـصـبـوهـم .. لـكـى يـطـيـعـوا .. فـلـمـا ... طـلـبـوا مـنـهـم الخـيـانـة .. خـانـوا
وتـغـطـوا ـ وهـم عـرايـا ـ بـزيـف .. ... المـغـطـى بـسـتـره عـريـانُ

أرأيت مستورا عريان بما يستتر ؟ أولئك هم المنصّبون فى أمم الشرق الأولى يعريّهم الشاعر فى هذه الصورة الفاضحة . إنها صورة كاشفة ، وهى وان لم تكن جديدة ، فإنها فى السياق تفجؤك بأصالتها ، لأنها ترد حيث يجب أن ترد ، بالقسط الوافى من الألوان ، والقدر اللازم من الأوزان .

والوفاء بالقسط فى الأداء الشعرى والفنى هـو ، عند أكثر الدارسين لفنون البلاغة ، مسألة جوهرية . فهو بحق لُب الأسلوب الأدبى . وقد سجل العرب ، من قديم ، أن روعة الإنجاز تكمن فى دقة الإيجاز ، أى فيما « قل ودلّ » . وكذا الإنجليز ، يقول شاعرهم شكسبير إن « الإيجاز هو روح الفطنة » . وعلى مثل هذا سار الفرنسيون الذين جرت بينهم عبارة فلوبير مجرى المثل السائر . فقد كان فلوبير يحرص كل الحرص على تقصى « الكلمة » الوافية . وكلمة الوافية فى الفرنسية لها معان كثيرة مترابطة . فهى تدل على الضبط ، والعدل ، ودقة الميزان . وهى فى عبارة « فلوبير » تعنى أن يتقصى الكاتب أنسب الألفاظ للتعبير الموجز الوافى بالمعنى .

وسترى أن هذا الإيجاز الوافى هو بصمة لا تفارق شعر القاسم . غير أننى أعود فأقول إنه ، على الرغم من ثقافة الشاعر العريضة وسعة اطلاعه فإن الوفاء بالقسط فى أدائه الشعرى مرده الأول هو طبعه لا فنه . فهو يقول ، أكثر ما يعوّل ، على ما تزخر به نفسه ومخيلته من ألوان الإحساس والتصور . وهذا ما عنيت أنه ربما يكون قد فات على الأستاذ الشامى وهو يصنف أبيات القاسم إلى قديم وجديد وسابق ومسبوق . فالأسلوب ، كما يقول الناقد الأمريكى « وايت » هو ، فى المقام الأول ، « دفعة إيمانية ، وليس حيلة نحوية » ، الأسلوب هو الأديب .

وأديبنا شاعر يربأ بفنه أن يوزن بأوزان المسابقة والملاحقة فى سوق الفن ، كما يزدرى البيع والشراء فى حوانيت السياسة . بل إنك تجده يقول إن عادة الاتجار بالأدب وبالغالى والرّخيص من القيم هو مرض من الأمراض التى تنخر فى جسم أمتنا :

إنـا لـنـلـقـى عـلـى الـدّنـيـا مـآسـيـنـا ... ونحن ، فى كـل يـوم ، نصـنـع الصَّبَـا !
بِعْنـا الـدمـاء الـتـى سـالـت مـقـدسـة ... بعنا المصير .. الـذى مـازال محتجبـا !
بـعـنـا المـروءةَ .. بـعـنـا كـل غـالـيـةٍ ... من النفـوس وبعنا الحـزن والـطربـا !

إلى أن يقول :

بعنا الخيولَ على الميدان مُسْرجةً ... بعنا السيوفَ وبعنا الشعر والأدبا
ولو قدرنا لبعنا كل عابرةٍ ... من النسيمِ تضم العطرَ منتحبا
لم يبق شيء بأيدينا لمدخر ... حق الكرامة بعناها لمن طلبا

فى هذه الأبيات محاسبة . وفيها ادانة وعتاب . لكن نبرتها هى نبرة الشعر لا جعجعة الخطابة . فما أسهل على مصطنع الأدب أو محترف الشعر أن ينزلق إلى هوة الخطابة حيث يريد الشعر ، وبخاصة إذا تصدى لمسائل السياسة والاجتماع . غير أنك تتوسم هنا ما يسميه الأديب الناقد محمد مندور « فن الهمس فى الأناشيد » فالشاعر يبلغ غايته عبر مجموعة من الصور المترابطة ويصلك معناه فى سلسلة من الأفكار الموحية ، وكأنّه يهمسها لك همسا ويقترحها اقتراحا ، لا يصرخ بها صراخ من يخطب للغوغاء عبر مكبر للصوت .

وفن الهمس فى الأناشيد يبلغ ذروته فى ألوان أخرى من شعر القاسم . والمجال لا يتسع لنا هنا لتأملها ، وإن كان لا بأس علينا أن نضرب لها مثلا سريعا من قصيدة له بالشعر الحر ، وهى قصيدة « رموز على حاشية الأفق » . وفيها يرسم صورة لشاعر مقصوص الجناح ، طموحاته العليا تشدّها قيود ثقال إلى أطيان سفلى ، تتجاذبه سماء الآمال الباسمة وأرض الواقع الكئيب :

الليل حالك بهيم . .
مواكب القطعان فى أرجائه . . تهيم
قد نامت الرعاة . .
وغابت النجوم عن سماه . .
وحفلة للدود ، والفئران والوباء . .
وقصة للموت والفناء . .
فى الحالك البهيم . .
أهكذا تُفتحُ الجحيم ؟ .

ونرى هنا كيف يعرض الشاعر فى ومضات سراع سلسلة مترابطة من الصور المادية . وهكذا تتجسد لنا حالة نفسية لا نستطيع أن نلمسها ، بطبيعة الحال ، إلاّ من خلال تلك الصور . وقد كانت هذه المشكلة من أبرز المسائل الشعرية التى تصدى لها الناقد « ت اس . اليوت » . طلع « اليوت » بنظرية « المعادل الموضوعى » . وهو يقصد بذلك أن جيد الشعر يعبر عن كل إحساس ذاتى غير ملموس بصورة موضوعية ملموسة تعادله أو تكاد . هذه الصورة ينبغى على الشاعر أن يقتنصها من دنيا الواقع ويبنى بها جسرا يدخل عليه الناس إلى دنيا نفسه .

وهذه الصور الهامسة والجسور الموصلة كثيرة فى شعر القاسم . فهو إذا أراد مثلا ، فى رثائه للمسمارى ، ان يقول إن عدل الإسلام وبساطته قد عمّر فى مصر أكثر مما عمّر ظلم الأباطرة وهيلمان الفراعنة ، لجأ إلى المحراب وصوت الأذان رمزا للخالد الباقى ، واستحضر قصور فرعون وأسطول « جنبول » رمزا للغابر الفانى . ثم إن أراد مؤرخا يشهد على ذلك كله أتى بشاهد عريق هو النيل ، فجعله يهمس عبر التاريخ وقصصه همسا يملأ الشطآن :

كم جلسنا على الضّفافِ ... وللنيلِ حديثٌ مجنّحٌ فتانُ
يرسل الحكمةَ البليغةَ فى همس ... فتصغى لهمسهِ الشطئانُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتـراه وقـد تـبـاطـأ حـيـنـاً مـثـقـلَ المـوجِ .. عـقّـه الجَـريـانُ
مـغـرقـا فى الـتـفـكـيـر يـتـلو عـلـيـنـا قـصـصـا خـطـهـا عـلـيـه الـزمـانُ

إلى أن يقول :

سـاس «فـرعـونُ» أمـةَ الـنيـلِ بـالعسفِ فـأيـن الـقـصـور والـسـلطانُ ؟
وغـزاهـا مـن كـل فـج طـغـاةٌ فـانـطوى الفُـرسُ وانقضى الـرومـانُ
وأتـاهـا الـنـبـى أحـمـد بـالـعـدلِ فـبـاق « محـرابُـهُ » و« الأذانُ »
أيـن «جـنـبـول» فى الـبـحـار بـلاء مـسـتـطير وفى الـقـرى عـدوانُ ؟
أيـن أسـطولـه المـعـربـد فى الأرضِ وأنـيـابـه الحـداد الخـشـانُ ؟
ذهـب الـظالمـون .. والـنـيـل بـاقٍ وحـديـث الـنـبـىِّ والـقـرآن !

والحديث عن شعر القاسم له شجون مثل شجون النيل هذه لا مكان لاستنفادها هنا . وكم وددت لو أن ناقدا نابها كناقدنا الدكتور عبد العزيز المقالح يعرض لشعر الرّجل فيعوض ما قصرت فيه من عرض . فالتعريف بشعر القاسم مظلوم كظلم شعبنا الأمل بعيش الرّخاء وعدل الحكم والقضاء . وشاعرنا ، كما رأيت ، قد جعل الظلم رمزا لما يحاربه فى أشعاره . وما أخشاه هو أن أكون أنا قد ظلمته فى موطنين .

فأنا أخشى أولا أن أكون قد أوهمت القارىء أن الشاعر لا تتجاوز قصائده مشاكل السياسة وأمور الحكم والعدل التى تغص بها ديار المسلمين . والواقع أن القاسم ، إلى تركيزه على هذه الجوانب ، له أيضا الجيد من الشعر الغزلى العفيف . وله فى التأمل الفلسفى ومحاسبة النفس شعر يذكرك بالجيد من شعر التصوف . كما أنه طرق أبواب الشعر الحر ، وفيه أيضا يجد القارىء ذلك المزيج الفريد من الرقة والفحولة التى تمتاز بها أشعاره جميعا . وقد فاتنى أن أذكر التيه والغربة وحال المهاجر اليمنى . فله فى هذا الباب شعر تصويرى لم أر مثله الا فى شعر الدكتور محمد عبده غانم . وأنا أرغب إليك أن تقرأ قصيدة « تائه » ، فهى فى جودتها وبالغ تأثيرها أهل للمطالعة المتأملة والدراسة الفاحصة . ولما كنت أبتغى أن أقصر العرض على شعر القاسم ، فقد تجاوزت هنا عن فن المقالة والكتابة التحليلية ، وله فيها مساهمات شتى تجدها فى دوريات مختلفة ، وعلى الأخص فى مجلة الرسالة التى كان يصدرها اتحاد القوى الشعبية اليمنية .

وأنا أخشى ثانيا أن أكون قد أوقعت القارىء فى إيهام آخر . فأنا فيما عرضت كنت أسعى إلى تبيان الروابط النفسية التى تصل بين ألحان الشعر لدى القاسم وأوتار العاطفة . ولكن لعلى فيما أخذته من أمثلة قد طبعت فى ذهن القارىء بأنّ شاعرنا هو شاعر الأسى المظلم .

وفى هـذا بعض الصدق ، ولكنـه ليس الصدق كله . فـظلام الأسى فى شعـر القـاسم تبـدّده اشراقتان ، اشراقة الأسى فى بعض شعره ، وإشراقة الأمل فى بعضه الآخر . وبين الإشراقتين ارتباط .

وأنا أستميحك بأن أبدأ بالدّعابة ، لأنّ نقادنا لا يوفونها حقها من العناية . المتزمتون فى عالمنا ، ولهم جمهورهم من المغفلين يزعمونها مخلة بالوقار ، فى حين يخالها الأجلاف متنافية مع الجد . والحق غير هذا . فالدّعابة شىء والهزل الماجن شىء آخر . الدّعابة تزين الفنان كما تزين الحكيم ، وفيها يشتركان . وقد روى الناقد الانجليزى « لوكاس » أن عالما بريطانيا فى القرن الثامن عشر ، كان يتبسط يوما مع تلاميذه ويمازحهم ، إذ لمح ثقيلا يقبل عليهم . فقال الأستاذ العالم لمريديه : « انى أرى الأحمق قادم إلينا ، هلم بنا نتجهّم » ! والحق أن اصطناع الجد والتجهم لا يجوز إلا مع الحمقى ، وإن هو لازم أحدا من الناسِ فى كل المواقف فلك أن تشك فى حسن عقله أو حسن نيته . وإشراقة الدعابة فى شعر القاسم تجدها

حتى فى لجة الأسى ، وهى تذكّرنا بلمسة الدعابة لدى المرحوم الزبيرى ، أصدق شعراء اليمن طويّة وأجود من قال الشعر فى عصره . ودعابة القاسم ، كدعابة الزبيرى ليست قهقهة تنفر ، ولكنها ابتسامة من لم يفقد مع الأسى حلمه . فهو قد يسخر ، ولكنها سخرية من يرى أن تعثّر الضيق انفراج . مثل هذه الابتسامة تراها فى هجاء القاسم للأمة التى راحت تبيع وتبيع لا تلوى على شىء : باعت الدم والسيف والخيل والشعر ، وما لبثت أن تمنت لو كان بمقدورها أن تبيع النسائم المعطرة ، ثم إذا بهذه الأمة وهى تجد نفسها صفر اليدين ، لم يبق لديها ما تتاجر به لأنها قد باعت كرامتها أيضا . فى هذه السخرية صدق مؤسف . ولكنها أيضا مصحوبة بلمسة من الدعابة المقرونة بالأمل ، وكأن الشاعر يقول تعالوا نبدأ من جديد ولنتفادَ طرق التجارة الخاسرة ، وكأنه يهيب بالأمة ألاّ تمضى فى الظلام ، وأن يدرك أبناؤ ها غيّهم فينتبهوا .

وأنا ، أجد فى دعابة القاسم ريح اليمن . ففى السخرية الجاحظية التى تصور بخل البائع وحمقه ما ينقلنى نقلا إلى مجالس الأنس فى صنعاء وتعز ، حيث يجتمع القوم ساعة القيلولة يلوكون القات والسياسة ، فتشحذ النشوة أذهانهم كما تشحذ ألسنتهم ، فلا يتركون صنما للباطل ، إلاّ أزهقوه ،ولا رمزا للجهل أو البخل إلاّ سحقوه ، ولا حاكما خائنا أو قاضيا ظالما إلاّ نال من أحكامهم الغيابية ما يشاؤ ون . ولعلهم من هذه الناحية ، وهذه الناحية وحدها ، أقرب أمم الأرض شبها بأمة الإنجليز ، المغرمين بوضع الأشياء فى نسب متواضعة وتحجيمها إلى قدر معقول ، فلا يطيقون بين أبناء ملّتهم من يبغى أو يطغى ، وان رأوا للغرور أو السخف « بالونا » قد انتفخ فإنهم ا يزالون به إلى أن ينسفوه بهجاء لا يكف وسخرية لا تلين .

أما إشراقة الأمل ، فقد تجدها حتى فى أشد أشعاره تصويرا للأسى . فأنت فى أول المرثية التى كتبها عن المسمارى تسمع بكاء المصلين ونعى الأذان فى مساجد الأمة المهزومة .

الخيول المطهمات سبايا فذليل بدّلها المهرجانُ
والسيوف التى استضاء بها التاريخ أزرى بها الوريث الجبان

ثم ما يلبث شعاع الأمل أن يدخل القصيدة من نوافذ التاريخ الملىء بالواعظ والعبر الواعدة بأن الأمة لابد لها يوما ، قرب العهد أو بعد ، من أن تغير أعدائها :

قل لمصر مهما غلوا فى أذاها فى يد الله عرض مصرَ مصانُ
لن ينال العدو منها ولن يُخمد أشواقَ روحِها الطغيانُ

إلى أن يأتى بالحكم التاريخى الفاصل

ذهب الظالمون . . والنيل باق وحديث النبى والقرآن .

وكذا الأمر فى قصيدة صدى الرحيل ، إذ يطلب الشاعر من أخيه العطار أن يكفكف الدمع ويطلب أجر المصطبر ويتذاكر معه سيرة الرسول والوعد الحق بأن ينصر الله الصابرين :

شعاب مكة قد ضاقت بسيدها يوما . . وهاجر عنها سيدُ الأممِ
أيحسب المؤمنون الغُرّ أنهم سيُتْركون بلا كيد ولا نقم
عقبى الثبات انتصار لا نشك بهِ وعد من الله لا ضغث من الحلم

وهكذا ترى أن أسى الأحداث لا ينسى القاسم صبر المؤمن أو دعابة الحكيم . وتقديرنا كل هذه السمات فى شعر القاسم يزيدنا عتبا عليه ولوما له على تقصير لابد من إثباته هنا . فقد كنت أتحدث مؤخرا مع صديقنا الأديب السورى الدكتور أحمد البسام عن الدراسة التى يعدّها الآن عن المعادلة الشعرية عند المتنبى ، وساق الحديث بعضه بعضا ، ورجانى أن أعيرَهُ ديوان القاسم الوزير فلما عرف أن القاسم لم يول هذا الموضوع اهتماما بعد ، عتب واستغرب . وقال : إن العدل يقتضى جمع كل قصائده من مواطنها فى المجلات والصحف الأدبية وضمها فى ديوان يرجع إليه القارىء والدارس .

ونحن إذ نضم صوتنا إلى صوت الدكتور الباسم ، لا يمنعنا هذا العتب من أن نقرّ بأن أشعار القاسم الوزير ، أو قل صور ذهنه وألحان نفسه ، تدل على فنان مطبوع ، وحسبى أن أكون قد شوقت القارىء والناقد العربى على ملاحقته والاستزادة منه . ولعل فيما أوردناه هنا ما يطمئن شعراء العربية فى مصر والشام وغيرها أن الشعر فى الجزيرة لا يزال بخير ، وأن لهم فى اليمن إخوة وزملاء يواكبونهم ويحاورون .

جامعة اكسفورد . مطهر شهاب

ARCHIVE
http://Archive.Sakhrit.com

شعر

فى قطار الجبال

فوزى الحنتيل

قصيدة لم تنشر للشاعر الراحل . .
. . فى ذكراه السابعة ـ ١٢ مايو ١٩٨١

. . . وكانت التلال تنثنى . . .
فتفرِدُ الأشجارَ والبيوت
فى ليونةِ المروحة الصينيّة

وكانت الشمس ـ أميرةُ الصباح ـ
تعبر الأفق إلى شرفتها الشتويّه
يشعُّ وجهُها من الغيوم . . .
فتستفيق ذكرياتُ عاشقٍ قديم
مرَّ هنا ، تحت ظلال الشجر الفضيّه

وصعد القطار خطوة . . .
ودار خطوتين . . .
وانثلَّ فى طريقه
يلهثُ عند كلِّ منحدَرْ
ثم حَبَا على ذوائب الشجرْ
وصفَّ كالعُقاب فى الذُرَى
جناحَه المرهقَ من طول السفرْ
وزفر القطار زفرتين
فرفَّ فى الضلوع طَائرُ الحنينْ

. . . الليل طال يا حبيبتى
وطال بالمحبين السهرْ
والعاشقُ البعيدُ . . ما يزال
يحلم (بالرمَّان) . .
فى حِضْن بساتين الصعيدِ
المشمسه
وأَرَجِ الليمون يطفو فى ضُحى أبريل
وجدول الماء الذى راح يلوِّن الأصيل
ووجهك الطفليِّ ، وهو يملأ المساءَ
أنجُمَا

وقمر الحصاد يغزل الحرير للحقول
ويَصْفرُ القطار ،
وهو يرتقى مدارج الرُّبَى
وصوته المحموم يملأ الفضاء غضبَا
ألف جوادٍ أبلقٍ ، هيَّجها الوَغى
فاخترقَتْ حواجزَ الجبالِ . . وارتَمَتْ

فى غابةٍ من السيوف والقَنا
ودارت الحتوف تسقى الظامئين
لهبَا . . .

وحين يُقْبِلَ المساء واهِناً
مضطربَا
ويَبْرد الطعان . . يهطل المطر
دماً رمادِىَّ الظلال فى جوانبِ السهولْ . .
وتسبح الخيولْ . .
فى مِظَلَّةٍ . . من الدُّخَانِ ، والذهولْ . .

ويزفر القطار فى نهاية الطريق
زفرتين
فتنهضُ الغابات فوق قمم التلال
فى كسل
وتنفُضُ الوديان عنها ريشَها
الأخضرَ مرَّتَيْن
وتضحك البراعم البيضاء
فى خجلْ
ويتمطى طائر فوق ذراع شجرة . . .
يحلم بالربيعْ . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سَلام آخر.. مواجَهة أخرى

محمد سليمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البنتُ تُغمغمُ . . .
تَدْعكُ عينيها
تتدلّى من شُبّاك النوم ،
تَمدّ يديها لمناديل الضوءِ ،
تُغنّى . . لعصافير الصبح المتسَلِّلة وتحبو . . .
تكتشف الغرفة . . أحبو معها
أضحك لمّا أكتشف الصدأ القابع فى عينىَّ ،
لماذا . . . كنت أرى السَّجادة غارقةً فى الظلمة . . ،؟
والصحراءَ تغطى الحائطَ ،
والشبّاكَ يُطلّ على الأعداءِ ،
لماذا . . كان البابُ جداراً . . ؟
والشباكُ جداراً . .
والعصفورُ مُجرّدَ صوتٍ مُخْتنقٍ . . ،
أرجوكم
سيروا فوق أصابعِكُم
البنتُ تمدّ يديها لفراشات النوم ،
تطيرُ . . .
دعوها ــ تتقلّب فوق العرش . . تلُمّ . . يماماً
وتطارد قطط الغيم ،
تشد هلالاً من قرنيه وتبكى . . فيؤرجحُها
أو تصعد فى الإيقاعِ ،
تعانق زغباً يتلألأ فى الأمواج ،
وتصحو . . لتُعَلمَنى السَّيْرَ ،
أُريد أشاهدُ وجهى فى ألواح البحرِ ،
أُريد أُكلِّم جارى . . .
أُضحك طفلتَهُ ،
أزرع فى عينيه الودَّ ،
وقفتُ كثيراً . . . .

وعدوْتُ كثيراً
لكنى ماجرَّبتُ السّيرَ وما جربت مُلامَسَة الألوانِ ،
أريد أشاهد حَبْوَ اللغةِ على الشّفتينِ ،
أمدّ يدىّ لحرفٍ يهوى ثم يقومُ ،
يشُدّ وينْشَدّ يصير سياجاً ،
يوقف زحف النملِ ،
وماءً للعائلةِ ،

أريد أُوَسِّع بابى . . .
أمحو مادوَّنتُ وأبدأ من لؤلؤةٍ

أرجوكم . .
لُمُّوا حِكْمتَكُم ،

وقنابلكم . . .
من تحت سريرى .

القاهرة : محمد سليمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

الطريق والوجه الآخر

(١)

رأيتُها تعبرُ الطريقَ فى
ثوبها الأبيض والشارةِ المُلَوَّنَهْ . .
وشَعرُها عَقَفَتْهُ أمُّها
بقُبلَةٍ . . ثَرَّةٍ وسَوسنَهْ
عرفتُها . . كانت الفَيْضَ الذى
غاضَ فىّ
البدرُ فى ثَغْرِها
والشمسُ نامَتْ على جَبينِها
وكان نَجْمُ سَعْدهَا
يَرْقُبُ لا يَمَلُّ الانتظارْ .
لمْ أدْرِ كيف الطريقْ
لم يَلْتَقِطْ طَيْفَهَا
ولم يَقِفْ عَقربُ الساعاتِ كَىْ
يستعِيدَ خَطْوَها . .

وكيف لم تَرْتَفِعْ من حَوْلِها
ألفُ ألفُ مِئْذَنَهْ
تنشرُ بَسْمَتَها
على مدَى الأزْمِنَهْ

(٢)

قابلتُها . .
والليلُ فوقَ ظَهْرِها يُعابث الرياحْ
وتَسْتكينُ فوقَهُ الأنْجُمُ والأقاحْ .
وكانَ تحتَ جِيدِها
عُصفورتانِ تكْمُنانِ ذُعْرا
مُذْ قُيِّدَ الجَنَاحْ . . .
عرفتُها . .
بخطوِها الوَجِلْ
ولَفْتَةِ الخَجَلْ
وعقْلِها الطموحِ لا يَمَلْ
ورُوحِها الوثَّابَةِ الأمَلْ .

كانت تَضُمُّ فوقَ صَدْرِها كِتابا
أحْرُفُهُ تَفِيضُ حِكمةً وتَزْدَهى شبابا . .

كانتْ تُجِيلُ ناظِرَيْنِ
فيهما يُعَشِّشُ القَلَقْ . .
ويَبْزُغُ الأَلَقْ . .
يفتحُ للظنون بابا . .
كانتْ قويَّةَ الفُؤادِ ضَعْفَا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رقيقَةَ الشُعورِ عُنْفَا
رأيتُها . .
والحُبُّ يَرْشُقُ السهامَ صَوْبَ قلْبِها . .
يَتْركهُ مُسَرْبَلاً بالحُزنِ والجِراحْ . .
لكنَّ كِبْرياءَ رُوحِها
كانتْ طَليقَةَ السَّراحْ
كانَ الذى يَرْبِطُنَا
وَشِجَةٌ من حَبْلِنَا السُرِّىْ
قَطَعْتُهُ ـ منذ اقْتَرفتُ رحلتى بدُونِهَا ـ
بِشَفْرَةِ السِلاحْ .

(٣)

شاهدتُهَا . .
كانتْ تُحاكِمُ المَرَايَا حينما رأتْ
بَشَائِرَ الصَّبَاحِ بَيْنَ شَعْرِها تَسَلَّلَتْ . .
فما عرفتُها .
فمنذ أنْ كانت وَرَاءَ جُرْحِها
شاهِرَةً سُيوفَ كبريائها
لم نَلْتَقِ . .
لكنَّها تَشْبِهُ من عَرَفْتُها
فى لَوْنِ عينيها الحَزِينتَيْنْ
لكنَّها تَزْدَادُ عُمْقاً . .
كأنَّ صَوْتَها يَجِيءُ من
أعماقِ بئرِها السحيقهْ . .
كانت تَدُورُ حول نفسِها

تبحث عن حقيقَهْ . .
كانَ الجميعُ يَعْرِفونَهَا
ويركعون عند بابها . .
ويحلمونَ أنْ تَمُرَّ فى خيالهم دَقيقَهْ . .
لكنَّها كانتْ تُحاكِمُ المرايَا
منذ أنْ تَرَبَّصَتْ بِعرْشِها
فى بَغْتَة صَفِيقَهْ .
هل هذه المرأةُ من عرفتُها
حالمةً رقيقَهْ ؟!
لو أنَّها بالفِعْلِ مَنْ عَرفْتُها
فكيفَ ضاعَ حُلْمُها ؟
وكيفَ حينما لَقِيتُها
كانتْ تَبِينُ مِنْ وراءِ بابْ . . ؟
تحملُ كلَّ ذلك العذابْ . . ؟
يَصُدُّنى عن قُرْبِها حِجابْ ؟!
فهلْ تُرَى تعرِفنى ؟
أمْ أنَّنا إلى نهايَةِ الطَرِيقْ
نَظَلُّ هكذا . .
لا نحنُ أغْرَابٌ . .
ولا صِحَابْ ؟!

القاهرة : وفاء وجدى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

شاعرٌ من قديم

كشَّفَ لى عن وجهه الجميل
قلت له : من أنتَ ؟
قال : صَوْتُكَ النبيل .
أنا وأنت قطرتانِ
من محيطه المضيءِ ، من وجوده الجليل
أنا الذى ترنَّمت قيثاره بالعدلِ . .
قلتُ : مستحيل !
أنت امتشقت السيف ،
خُضْتَ فى بحيرةٍ . . من جثث القتلى
وَأَحْرَقْتْ يداك غابةَ النَّخيل
أمسكتُ ، كادت دمعة تَفِرُّ ،
مَرَّت غيمة من حزنه المرير ،
قال : قبْلَ أن تُغَبِّرَ الطريقُ
صوتَ الطهور
كنتُ طائرا مغرِّدا
فى الليل إن سجى
أُشَارِفُ المدى
وفى تنفُّس الصَّباحِ
يستبينُ لُؤْلُؤُ النَّدَى
وفى الضُّحى أعانق الضحى
وألثم الأطفال والزهور
حين سقطْتُ من سماء الشعرْ
حملتُ سيف القَهرِ ،
صرْتُ حاكما وسيِّدا
قلتُ له : بَعُدْتَ ألفَ ميلْ
ثم انثنيتُ . . داعبت يدى
تراثَ شعره الجميلْ

الرياض : أنس داود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

قصيدة للصغار والكبار

نصار عبد الله

حكايه .١ حدث للغزالين الثاكلين مع ملك الغابة

هذان غزالان عليلانِ ،
وهذا ملك الغابة أسدٌ ،
فى قوّة صخر صلبٍ ،
لكن فى حكمة إنسانِ
وهذان أليفان ضعيفانِ
سجدا وهما يرتجفان ويرتجفانِ
واشتكيا للأسد القادرِ ،
من غدر الذئب الغادرِ
قالا :ـ يا مولانا
ما كان لنا فى دنيانا
إلاّ ولدانا
ما كان لنا إلاّ ظبيان صغيرانِ
ما كان لنا إلاّ . .
وتهدج فى « إلاّ » صوتان
وانتكأ الجرحان
وتلوّى ألماً هذان المنبطحان المنذبحانِ
يا مولانا افتكْ بالذئبِ ،
وخذ بالثار ـ لتهدأ بعض النارِ ،
ليسكن فى صدرينا جرحانِ ،
ويرقأ فى جفنينا قرحان ،
يا مولانا ياذا الصدر الصخرِ
وياذا القلب الحانى
فلتقتص لنا من ذاك الجانى
إنا نتمرغ فى أعتابكَ ،
لا نملك إلاّ أن نتضرعَ ،
أو نتمرغ فى الأعتاب !
إنا لا نملك إلاّ . .
وارتعشت فى « إلا » عينا ملك الغاب
وتمايل غضبا وهو يزمجر :ـ
قلبى يتمزّق من حزنكما
قلبى من مأساتكما ذابْ
لكن يا أحبابى
يا مُنْذَبحين لفقد الأحباب
إنّى إن أقتل ذاك الذئبَ فهل سيقوم الموتى ؟،
من موتهمو ؟ أم هل يرجع من غاب ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يا لغزالين جميلين حزينين
حزنكما زادكما حسنا فى عينى
وأنا لا أملك كى أنأى بكما عن كل ذئاب الدنيا
بل عن كل عذاب الدنيا
إلا أن أدنو بكما منّى

ستصيران بأحشائى أقربَ لى من كل الكون

بل أقرب لى منى
إنى حَكَمٌ عَدْل فامْتَنِىٌ . . .

أيّتها الغابة للعدل امتنى !

أسيوط : نصار عبد الله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

قصائد قصيرة

عزت الطيرى

النشرة الجوية

ستهبّ الريحْ
من غرب الأحلامِ
ومن شرق الدمعْ
الطقس بديع
إلاّ من بعض وريقاتٍ ،
تتساقط من سوسنةِ العمر
فاحذرْأن تتخففَ
من قمصانكَ
أو من أوهامكَ
أو من أحزانكَ
أو منْ .....
.....
درجات الجو :
أربع درجات
فوق الحزنْ !

(أغنيتان)

أغنيتان
واحدةٌ لعيونك
لكنَّ الأخرى ....
لعيونِكِ
أيضاً !

اجتماع

كُلُّهمْ فى المكانْ
الزهور التى ذبلتْ
والمهرّجُ
والببَّغاء الكسيح
وبائعة الحبِ ،
بعض الجنودِ ، وقد فقدوا
بعض أعضائِهمْ
فى احتدام الطعانْ

الحبيبُ ، الحبيبةُ
بعد فواتِ الأوانْ
كلهم فى المكانْ
يبحثونَ عن الـ ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ضاعَ منهمْ
وكنتُ أنا
فى الطريق إليهمْ
لأسمعَ أغنية المهرجانْ !

(أنثى)
تهبط من حافلةٍ .
تتمشّى .....
وتطالع فتنتَها
فى الناسِ ،
وتمضى ...
تُكملُ نزهتَها
فى قلبى .....

(سهرة)
كُنّا أربعة فى الليل
قلبى .....
وعيونى .....
وشجونى .....
وقصيدة شعر
كنّا أربعة فى الليل
نتحدث عنكِ .....

(سيدتان)
سيدتانْ
الأولى تتوعّدُنى
بأخيها ....
أو بالشرطةِ
فالويل ... الويلْ
والأخرى
تتوسلُ أنْ ألمسَ كفيّها
أن أرسم وردةَ خديها
أن أكتبَ فيها
أغنيةً لتُربِها
لصديقات النادى
وتغنّيها
فى حجرتها
فى منتصفِ الليلْ
سيدتانْ
وأنا بين السيدتين
حصانٌ ، تغبطه الخيلْ
بندولٌ
يتأرجحُ
بين السيلِ
وبين السيلْ

(القصيدة)
وكنتُ عائداً لتوّى
من كتابةِ القصيده
مرتعشاً
ومرهقاً
وحالتى سعيده !
قابلنى بيتان شاردان
وصادفتنى صورة طريده
وانطلَقتْ فى داخلى :
مفاعلنْ
مستفعلنْ
فى رقصة فريدة
فعدت مرة أخرى
لأدخل التجربة الجديدة !

(سيريالية)
ــ هل تبكى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من حزنٍ فى القلبْ
أم من خيبةِ آمالكَ
أم من غيبة أحبابكَ
أم مِن ....؟
ـ أبكى
من ألم فى القولونْ
وحموضاتٍ فى المعده
وزيادة ضرباتِ القلبْ
وإلَخْ ....

إلَخْ ....
ـ من أورثكَ الأمراض جميعاً ؟
ـ أورثنى الأمراض جميعا :
حزنٌ فى القلبِ ،
وخيبة آمالى ،
وغياب الأحبابْ !!
وإلخْ
إلخْ
الخْ ..... !!

نجع حمادى : عزت الطيرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

مقاطع من قصيدة أبى

مصطفى عبد المجيد سليم

تسيرُ فى دمى . . تَسْكُننى . .
مُلَفّعٌ أنا بِرِقّتِكْ . .
مسافرٌ خلال ما عَرفْتُ . . ما أُشرِبْتُ
من بَشَاشَتِكْ . .
مُلَوّنَ الرُّؤى بسرِّ الابتسامِ والدُّموع
. أمرِّغُ الفؤادَ فى أديمِ غيبتِكْ . . .
وأتّكى على وِسادٍ رَقَّ من حديثنا المَقْطوع . .

●

تُديمُ وَجْهاً مُتْرعاً بالشَّوْقِ
غاضَتْ فيه بَسْمتُك . .
تكادُ تستنطِقُنى . .

عن لُغة الذّهابِ والإيابِ فى دُروبِ رحلتى . .
. . لِمَ إرتيادُ ما أرتادُ من عَصِىِّ الشِّعْرِ

أو طيِّعِهِ . ؟
فمرّةً يشيلُنى عُبابُ بَحْرِهِ الحفِىّ . .
. . ومرّةً أكِلُّ من مقطعهِ . .

●

شَبَبْتُ أخْضَرَ الفؤادِ . مُولعاً بالشِّعْرِ
تطرُقُ بابَ غُرفتى تسألُنى . .
تقرأ فى سُطورِىَ العِطاشِ بعض صَبْوتِكْ
يُدنيك منها ــ رُبَّما ــ عِطْرُ هَوىً قَديمْ
ويرتمى عَلَىَّ . . يحتوينى . . ثَوْبُ فرحَتِكْ

●

أدْرَكْتُ عُودَكَ القَوِىّ . . .
أيامَ لا كانَتْ عصاً تعين . .
فالقَوامُ مُشْهَرٌ فتِىّ . . .

. . . . . .
أذكُرُ أىّ كَوْنٍ كانَ لَوْن ثَوْبِك الصّيفىّ . . .
فى مِشْيةِ العصارى . . .
وأذْكرُ الوُجُوهَ . . كُلَّها . . أُحِبُّها . . .
لأنّنى أراكَ فى وُجوهِ رُفقتِكْ . . . .

شبين الكوم : مصطفى عبد المجيد سليم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبد الحميد محمود

شعر | صَدَق الفنارْ

صَدَقَ الفنارْ
الأرضُ تبزغُ للعيونِ المجهدهْ
لشراعيَ المغروزِ فى تيهِ المدى
من بين أحضانِ البحارْ

مَنْ أخبرَ القلبَ العشيقْ ؟
فرأى قبابَ مدينةِ المحبوبِ . . .
. . . فى ثوبِ المغيبِ . . .
. . وتختفى بين المياهْ
فامتدَّ فى الموجِ المسافرِ نحوها
لكنَّها ردَّت له طوقَ النجاهْ

صدق الفنارْ
وسكرتِ بالغازى الجديدِ . . .
. . كما سكرتِ بقائدٍ
ماتت خطاه على تخومِ عشيقةٍ خرجت له
بصفاءِ عينيها
وشفيفِ ساقيها
مجلوَّةً كالنور . . .
. . . من بين الصخورِ . . .
. . . ودغدغت كِبْرَ الحسامِ بسحرها
حتى إذا اشتعلَ الغرامُ بصدره
ماتت خطاهْ

وتعيدُ دورتَها الحياهْ
وإذا بعاشقكِ الجديدْ
يأتى إليكِ مهلّلاً
فتمنّعت عنه حصونُكِ من بعيدْ
فأتاكِ من بين الصخورِ . . .
. . أتاكِ من فوق الجسورِ . . .
. . أتاكِ . .
. . فانكسرت على زنديه أحجيةُ النساءْ
وجثوتِ من عمقِ المشاعر تضرعينَ إلى السماءْ
حتى إذا اشتعلت بصدركِ جذوة
ماتت خطاكِ . . .
. . ولم تزلْ تحيا خطاهْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صدق الفنارْ

هذى الموانى كلها لا تختلفْ
تستقبلُ الأغرابَ حتى تأتلفْ
لا أنتَ فاتِحُها الذى
لقدومه ستدورُ زينَتُها على كلّ الدروبِ . . .
. . وفوق جدرانِ الغرفْ
أو أنتَ عاشقُها الذى
برحيله ستموتُ عاشقةٌ على جسرِ الرجاءِ . . .
. . . وفوق أسوارِ الشغفْ
البحرُ عشقُكَ والسفرْ
وعنادُ أمواجِ البحارِ على عنادكَ . . .
. . ينكسرْ
فاغرزْ شراعكَ فى المدى
واستقبلِ الشطَّ الجديدَ المُنْتَظَرْ

القاهرة : د. عبد الحميد محمود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطفل الخالد

نور الدين صمّود

إلى الشاعر : م ـ ف

لأنكَ كنتَ ومازلتَ طِفْلاَ
سَتَبْقَى مَدَى الدَّهْرِ شاعِرْ
وتبقَى مَدَى العُمْرِ ثائِرْ
وتَبْقَى مُغَامِرْ
وتبقَى فَراشاً شَرُود
يَمُصُّ الشَّذَى مِنْ شِفاهِ الوُرُودْ
وَيَحسَبُ أنّ الوُجُود ،
مَدَى العُمْرِ ، حقلاً يزاحِمُ حَقْلاَ
لِأَنَّكَ كنتَ ومازِلْتَ طِفْلاَ

*

وتزرعُ يُمناكَ ، فوقَ بياضِ الصحائفِ ، حقلَ حروفْ
فترقصُ مثلَ الزنوجْ
على نَقَراتِ الدُّفُوفْ
ويَعلُو النّشيجْ
كما يتمزّقُ موجُ البِحارْ
بأنيابِ صخرِ الخَليجْ
وتَفتحُ أفواهَها فى صُراخٍ عنيفْ
فحرفٌ كطلْقِ البنادقْ
يطاردُ حرفاً لئيماً مُنافقْ
وحرفٌ يَثُورْ
كَحَرِّ اللَّظَى والسّعيرْ
وحرفٌ يَدُور
كراقصةِ القصر بينَ الخُدُورْ

وحرفٌ يقبِّلُ ثغرَ الحبيبْ
شهياً لذيذاً كأحْلَى المناهِلْ
وحرفٌ كرحَّالةٍ شَرَّدَتْه الدّروبْ
يسافرُ فى الشّرقِ والغرْبِ عبْرَ المجاهِلْ
فهذَا جَرِيءٌ . . . رئيسُ عصابَهْ
وذلك أجوفُ أجبَنُ مِنْ أنْ يَصيدَ ذُبَابَه
وَذَاكَ كَلَوْنِ التّرابِ . . . . وطبْعِ التُّرابْ
بِهِ ذِلَّةٌ واسْتِكَانَهْ
كعبْدٍ ذليلٍ كَسَتْهُ المَهَانَه
فَحَرْفٌ كَثَغْرِ ضَحُوكٍ شَبِيهِ اللُّجَيْنْ
وَحَرْفٌ كَعَيْنٍ تَلوحُ بِدَمْعٍ سَخِينٍ يَسِيلُ مِنَ الْمُقْلَتَيْنْ

وللحركاتِ على كل حرفٍ رَفيفْ
كأوراقِ أشجَارِ غَابٍ كَثيفْ
تَدَفّقَ منها الْخفيفْ .
وتسكبُ يُمناكَ ألوانَ قَوْسِ قُزَحْ
فآناً تلوحُ على اللّوْح مَقبَرَةً للشّقاءْ
وآناً تَهلُّ عَلَى الطِرْسِ مَزرعةً لِلْفَرَحْ
فَتَغْرَقُ فى عطرِ زهْرِ الرّبيعْ
ويغمُرُنا بالْخَفَافِ الخريفْ .
تَظُنُّ حُرُوفُكَ أنَّ شَبابَكَ وَلَّى
وَأنَّكَ قَدْ صِرْتَ كَهْلاَ
وَتَنْفرُ مِنْكَ نفورَ الصبايا الْحِسانْ
فَتَصْرخُ فى كُلّ حرفٍ عنيد :
إذا كانَ للشمسِ عندَ الشروقْ
جَمالٌ فريدْ
فإنّى أرى الشّمْسَ عندَ الْمَغيبْ
أجلّ وأحْلَى
ولنْ أنتهى قبلَ أنْ أنتهى

لأنّى قَهرْتُ النّهايَهْ

وَلنْ أشتهى فوقَ ما أشتهى
لأنى تجاوزتُ فى رغبتى كُلَّ غَايَهْ :
سرقْتُ ضياءَ القمرْ
وشيّدْتُ فى الريحِ قصراً منيعْ
وصيّرْتُ كلَّ الحروفِ شموعْ
تُنيرُ الدُّروبَ وتَهْدى الجُمُوعْ
وأعلَمُ أنَّ رحيقَ الحياةِ سَرابْ
وزهرتَها لم تكنْ غيرَ زهرةِ دِفْلَى
ولكنّنى قد أذَبْتُ لها العُمْرَ . . قدَّمْتُ روحى
عَلَى مَذْبَحِ الحَرْفِ كَبْشَ فِدَاء
وما قلتُ للحرفِ : رفقاً بقلبى
ولا قلتُ للعمر : باللّه مَهْلاَ
لأنّى كنتُ ومازلتُ طِفلاَ
وسوفَ أظلُّ مدَى الدّهْرِ شاعِرْ
وأبقَى مَدَى العُمْرِ ثائِرْ
وأبقَى مُغَامِرْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تونس : نور الدين صمّود

القصائد التي ضاعت

بهاء جاهين

طفل منتفخُ الجَيْبَيْنِ بأوراق مطويّةْ
حافي القدمين وقد شمَّر سروالهْ
يمشي فوق رمال الأبديةْ
تبتلّ القدمان . . فتصعد همهمةُ البحرِ إلى رأسهْ
يُخرج من جيبَيْه الأوراقَ البيضاءْ
ويوشوشها بكلام منظوم مرسلْ
يدهمه الموج فيبتلْ
تخطفه الريح ويعدو الطفل الثاكل خلف الريحْ
يستحلفها أن تُرجع ما أوحاه البحر إليهْ
لكن لا يبقى إلاّ ورقةْ
ينكفئ على الرملْ
ويحاول أن يسترجع من كف الريحْ
وصخور الذاكرة المنزلقةْ
ما فتح به البحر على عاشقه المفتونْ
ويكثفه ، ويقطّرهُ
في آخر ما يملكه من ورق أبيضْ :

هلُمّي إلى البحر نخلع أسمالنا البالية
نطوحّها في الهواء ، ونخلع أجسامنا العاريةْ
وندفنها في الرمال ، ونخلع أرواحنا الداميةْ
ونغسلها في الزبَدْ .
ونغمر في البحر ما يتبقى من الروحِ
في ليلة المدِّ ، والبدر ذوَّب فضته في الرمالْ ،
وليس سوانا أحدْ .

تعالىْ إلى البحر ، إن المدينة مدَّت حوائطها
كنت أطعن ظلىّ . .
إذا ارتسم الظل فوق الجدارْ
فيهرب مني . . ويعدو . . وأعدو ورائي
لأسقط في محفل راقصٍ
لاهث الروح . . منكفئاً فوق ظلي .
ولكنه يتسلل تحت الموائدِ
والشمعُ يرسم فوق الحوائط ظلّ العناقْ
وأبصرهم يرقصونَ . .
وأبصر مائدتي خاليهْ .
أضمّ وعاء الورود وأحلمُ . .
أبصر ظلي يسير على أربعٍ نحو دائرة الرقصِ . .
أبصر أقدامها تسحق الظلّ والنورَ . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تسحقنى . .
فأشد وعاء الورود إلى بؤرة الجوع فى الصدرِ
يأخذنى الورد مرتعشاً نحو سور الحديقةْ .

أكلّم سور الحديقةِ :
يا أيها السور ، هل تسمح الآنَ ؟
ـ لستُ بلصٍ ـ أريد الدخول .
فيخبرنى الورد أن الزجاج المدبَّب يمنعنى
والكلابَ المدربةَ المخلصةْ .
ويسمعنى عابر فيقول تعالَ
ويمسكنى من يدى ، ويقول تعالَ
إذا كنت تفهم أنى أحبك فاسمع ندائى
وحاول إذا شئت أن تتخلص من ظلِّك الكلبِ ،
أو تتسلق سور الحدائق . . لكن تذكَّر
إذا خانك الوردُ ، أو عضك الكلبُ . .
أو دوّختك الجميلةُ فى حلبة الرقص ثم رَمَتْكَ
فقلبى مكانُكْ
تعال إذا شئت فى أى وقتٍ ،

وسوف أكلم كل العصافير فى بيتنا أن تحبَّكَ
والفتيات الشريدات أن يختبئن بصدركَ . .
واللهَ ـ إن شئت ـ أدعوه أن يصطفيكْ
أَمَلْتُ عذابى إلى صدرهِ . .
فرأيت غراباً يسدِّد رشّاشهُ . . وهوى الشيخُ . .
والظل عاد وفى كفه خنجرٌ . .
والحوائط جاءت . .
لتصلبنى فى الحوائطْ .

هلمِّى إلى البحر ، نخلع تلك المدينة عن روحنا
إن قلبى بلاد تموت من الجوعِ . .
والبحر قوت القلوبْ .
تعالى ، لكى يسقط الظل والنور فوق الرمال صريعينِ . .
همَّةُ أقدامِنا أن تفوت الصخورَ إلى الماءِ . .
والحجرَ المتوثبَ للقتلِ . . للشجن الرائق المترقرقِ
والمتشربِ ضوءا يذوبْ .
تعالى فقد خسر العمر من لم يذق ليلةَ العُرْى فى البحرِ . .
بين ذراعى حبيبْ .

القاهرة : بهاء جاهين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحزن.. والنهر

محمد صالح الخولانى

حينما تبرز من أقنعتى
بسمتى المرخاةُ أنساماً وظِلاّ
وتضاريسَ غناءٍ نزقٍ
وبشاراتٍ
وغيماً
وحقولا
تنزوى الأصباغ فى وجهى الذى صار أديماً يتشقّقْ
ومَدىً من حرقة الليل الذى ينبت أنداءً سخينة
وارتعاشاتٍ مدلاّةً طعينه
وبكاءً
تصرع الأحرف فيه الكلمات
يتنزّى من دمى فوق انكبابى
سَمْتَى المشنوقُ بى
والمُدَلّى من عروق الدمع مصلوباً على مرآةِ وجهى
يتلهّى
بالمباراة التى بين دموعى
وابتسامات عيونى المدّعاه
حينما أنشطر اثنين
صَدُوقاً . . وكذوبا

هذه الريح التى تنداح فى الليل صقيعا
يَتلوّى
فى تضاريس المسافات البعيدة
ثم يأوى آخر الليلة مرتاعاً إلى أوردتى
هذه الريح التى تمرق ناراً وثنيّة
أصطليها
أيها الحزن الذى ما انفكّ ثاراً فى الضلوع
ظمأً يجتاح فى الليل ارتيادى للسكينه
رُدَّ لى النهرَ الذى كنتُ إذا آتيه أُروى
غاص فىَّ النهرُ وارتدَّ لهيباً فى العروق
فأذِبْه مرةً أخرى ابتداءً بعروقى
وانتهاءً بعيونى الظامئات
جذْوَلاً يُرضع قلبى
لحظة الميلاد
فى الصمت الذى يعطى خفوت الضوءِ أسرار السكينه
رُدَّ لى لون لسانى
كى تعود الأحرف المنكورةُ الوجهِ به خلقاً سويّا
وانشطارى بين وجهين استحالا مِزَقا
بعدما أدمنتُ وجهىً ارتحالاً ومثولا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لغةً مألوفة الإيقاع لا تنحاز إلا لدمائى
أيها الحزن أجِرْنى
من عيون الصمت والليل الذى يشرب دمعى
والذى يقتات فى الهدأة إطراقى وسلوايَ السكينه
رُدّ لى منك المواعيد التى غادرننى
وتمثّلنْ لعينىَّ بروقاً مستحيلة
أيها الناسك فى أبهاء صدرى
المذيبُ الليلَ ترتيلاً وذكراً وخشوعا
مُدَّ لىَ من ساحة السلوى عزاء المبْتَلَى

وأقِم لى خلف أبهائك فى الليل صلاةً مستكنّه
ذُرّنى فى أعين الفجر دعاءً مستطارا
وتراتيلَ ونجوى
تتهادى فى انسلال الضوء ضوءاً لعيونى
عَلّ أنداءك تسّاقط فى جنبىّ برداً وسلاما
وشراعاً مبحراً فى الصمت
يمضى
يوقظ النهر الذى مات بصدرى
من سنين . .

بورسعيد : محمد صالح الخولانى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أُمِّيَّة

أحمد محمود مبارك

كانت أمى أُمِّيَّهْ
لا تقرأ غيرَ عيونى
والمسطور على صفحات جبينى
فتضمُّ إليها رأسى حينا
وتغطّينى
بظلال الهُدبِ ،
وتسقينى
من نبع اللهفةِ والحُبِّ ،
فأرجع غضاً ،
فَرِحاً ،
مَرِحاً ،
رغم سنينى
وسفينى
ذاك المُجْهَدِ من صَدِّ التيارِ ،
وطول الإبحارِ ،
وحيناً
ألمحُ فى عينيها
نجماتِ السَّعْدِ
تباشيرَ ضياءِ
ترقينى
من شرِّ الناسِ ،
وشرِّ الوسواس الخناسِ ،
و . . . كانت أمى أميَّهْ

واليومْ
صاحبتى جابت كلَّ القاراتْ
تزهو بثلاث لغاتْ
تملك تحت الشَّعْرِ المصبوغِ بلون النارْ
العاشق دوماً للهيب « السشوار »
ـ مكتبةً تحوى كلَّ فروع العلمْ
وكثيراً ما يجمعنا
كرسىٌّ واحدْ
ودثارٌ واحدْ
نجمْ
لا يسهر تحتَ ضياه سوانا
لكنْ صاحبتى
لو ضمَّتْ كفِّى
لو جالت فى صفحات جبينى
لو فحصت بالمنظار عيونى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لا تعرفُ ما يُسعدنى ،
لا تعرف ما يُشقينى
أحيانا
تسألنى عماً أُخفى
فأقولْ
أتذكّرُ أنى ما كنتُ أبوحُ لأمى
لكنى اليومَ أبوحُ
فيرتجُّ الشّعرُ النارىُّ ،
وتتركنى وتروحُ
لتبحثَ فى أبواب معاجمها
ثم تعودُ تمطُّ الشّفَةَ ،
تهزُّ الوجْهَ ،
تضيّقُ فى الأحداقِ ،
تمورُ بعينيها أشباحُ الإخفاقِ ،
تُشيْحُ بعيداً عنّى ،
تنعتنى
بالرمز الغارق فى أعماقِ
اللامعقولْ
فأقولْ :
كانت أمى أميّهْ

الاسكندرية : أحمد محمود مبارك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من حكمة الصّفصاف والبوم

عبد الحميد شاهين

● مالى . . ؟!
من عامٍ لم يقصد فرعى طيرْ
لم ينبت بين ضلوعى عُشُّ غرامْ
قصرٌ يَعْمره زوج يمامْ
فى السابق ــ أيّامَ زمانى الأخضرْ ــ
كم (قيس) صلّى بظلالى حبَّهْ
كنتُ (الميقات) الأحْلَى للعشّاقْ
كان لقاؤهما يسرى فى أعراقى . . نهراً ،
طمياً ، شمساً ، عطراً ، قُبلاً خُضراً ، ورحيق ربيعْ
كنت أباهى غيرى من أشجار الشطْ
بالوشم ــ يموّه جذعى ــ مما خَطّ العشاقْ
من سهمٍ ينزف ، أو حرفين التفّا ، ناما فى فلْقة قلبْ
أو تاريخٍ يحكى ميلادَ لقاءْ .

● والآن . .
ودوامُ الحالِ محالْ
نَسِيَتْ أسرارَ الخصب جذورى ، صوّح عودى
فغدوت كأنى من صنع النجّارْ
وأُحسّ مصيرى يرجف فى ذاكرةِ الفأسْ . .
لا بأسْ . .
خُذنى قِطَعاً يا حطّابُ ولكنْ لى شرطْ :
يبتاع حطامى كوكبةٌ من أهل العشقْ
ومنايَ لو انى لهمو أوهَبْ
يدفئهمْ جمرى فى ليلة بردْ .

● أمّا بارحة الليلْ . .
قضّاها فى صدرى زوجٌ من عشاق البومْ
ضَرَبا فى آفاق الغربهْ
والعشقُ الحقُّ غريبْ
وأطلّ البدرُ جريئاً لم يرحمْ خلوةَ ضيفىّ
فودِدْت لو أنّ بفرعى فضلاً من أغصانْ
أنثرها هُدباً . . هُدباً
وأطرّز منها ــ صداً للضوء ــ ستارهْ
فالحب خجولٌ يجرحُه ، قد يجرحه رشّة نورْ
لا . . والعشاق صبايا بومْ !
ورقيقاً راح يبث الوجدْ
شرَحَا بلغات العين ، وهمسِ القلب ،
ولمسِ جناحٍ لجناحٍ ما لم أعهدْ

ورفيقاً راح يحاورها فى ودّ قال :
هذا سابع بدرٍ يشهدُ مولِدَ حبيّ . .
وأودّ أقدّم أغلى ما فى هذا العالمْ
قربان غرامٍ لكْ
آهٍ لو أملك سبع مدائن خَرِبهْ
نصّبْتُك فيها ـ فوراً ـ ملكهْ
لكنْ . .
وهنا ضحكتْ قالت : تقصدُ . . لكنْ من أينْ ؟!
فأجاب حزيناً : حقاً . . لكنْ من أينْ ؟!

باسمةً قالت : جَدِّى ـ والحكمة كانت
من طبعه ـ . . حدّثنا يوماً قال :
بلدٌ تهجره الحكمهْ ؛
يغفل فيه ، يغفو سيفُ الرّدعِ بغمدهْ ؛
بلدٌ تتطاول فيه السُّفْلهْ
بلدٌ خرِبٌ مهما عجّ بقطعان الخلقْ !
● مال البدرُ ـ نعاساً ـ ناحية الغربْ
والظلمة عادت تُغرى بالرحلهْ
فانطلقا غير بعيدٍ لينصّبَها ـ فوراً ملكهْ .

المنصورة : عبد الحميد شاهين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العرس

راشد عيسى

سوزانُ إن كان ذاك الأمس يؤلمني
لمّا طُعنتُ بظهري ألفَ سكّين
فاليومَ أُطعَنُ في صدري علانيةً
والأهلُ في ضحكٍ ممّا يُبكّيني
أحجارُنا الحُمر تعدو في مجرَّتِهم
وشمسُنا طَلَعَتْ من أذرعِ الطين
مادام في القدسِ طفلٌ أستضيءُ به
وفي أزقّةِ بيروتٍ حَساسِيني
بغدادُ تُزهر من أشواكِ آهتِها
واللّوزُ يحبل بالعُرس الفلسطيني .

الرياض ـ راشد عيسى

بشرة

فؤاد سليمان مغنم

(١) استغراق

كانت الذكرى توارى وجْهَهَا فى روعةِ الصمت
وتستلقى على الرمل عروسا
ويدى فى شعرها تحتلبُ الأمسَ
أكفا
وقلوباً
ورؤ وسا
أسحبُ الحلم من الآذان تحت، الأغطيهْ
والمدى أرجوحتى
ما صكّت الأحلام وجهاً
ما استرابت
لا . . ولا قالت (عجوزٌ أو عقيمْ)
وأنا فى روعة الوهم مقيمٌ
عندما تنفجرُ الفرحةُ فى صدرى
تغشّينى الوجوهُ
الذكرياتْ
أستدين اللحن من قوس المدى
فيضيعُ
وأضيع
تضحك الجدران منّى
وتهزُّ الأرض كتفيْها
تعزّينى الكراسى الصامتهْ

(٢) شرود

استظلّ بدهشته . . . واستحالْ
قاب قوسين من كبْوتِهْ
واستردَّ من الليل قمصانَه
عانقَ الريحَ
واندسَّ فى الصمت منتظراً للمصيرْ
قلبه الخشبىّ يبدّلُ نِسْوتهُ
ويُغيّرُ قِبلتَهُ
ويهاجرُ فى المستحيلْ

. . . . . .

بدَّ لى الآن ما شئتِ لن ينحنى
بدّ لى الآن ما شئت لن يستقيمْ

. . . . . .

إنَّ جوهره الفرْد حين تمطّى
وأرخص من ذهب الصمت

صار البكاءَ
وصار الضّحِكْ
امْنَحِى شملة الحب ــ أو حرِّقيها
فلن يشكوَ البرد
لن تستخفّ بهيكله العاصفهْ
إنّه الآن ينهش لحم الشتاء
ويبْقُر بطنَ الهجير
أخرجتْه القواميس من قلبها
أدخلته القواميس فى رأسها
هذه الفُلْك تجرى بساحتهِ
صار مرتعشاً كالدموع على صفحتى
[صرت أعرفه مثلما يعرفُ الحزنُ بابى]
كان يبحث عن وطنٍ
وهو كل الوطن
يسحبُ الأرض من أذنيْها
ولكنّه ينبشُ الوقت يبحث عن خرقةٍ تحتويه
وعن نغْمةٍ تصطفيه
يقلّبُ أيّامه
والفتارين لا تنحنى
بينما ينحنى للطريق
يسائله عن لُفافهْ

(٣) مرهقٌ حتى الحياة

بيننا يا جارة الوسادهْ
بيننا بحرٌ تغشّيه ابتهالاتُ الرعود الصامتهْ
وانطفاءات الهنيهات المعادهْ
. . . . .
كنتِ فى عينىَّ وردهْ
كنتُ فى عينيك غصنا
لفّعتْنا شملة الحلم زماناً
فانطرحْنا فى ضمير الوهم أقواساً وأوتاراً
يقوم الليلُ
يندسُّ بقيعان التلاشى
ما استرحنا لا . . . . . .
. . . ولا أمطرنا اللّيل نهارا
هل يظلّ الشوك فى رمل السنين ؟
حطّمى مبخرة الوهم
تعالىْ
نُقرئ النشوةَ فى الركن التحيّهْ
فأنا الآن على صدر الأمَدْ
حاملاً صمتى على ظهرى
وفى كفىّ أوراق الجلَدْ
أستدين الموتَ والريحُ عصيّهْ
بادلينى روعةَ العزفِ على قيثارة الأفخاذ
علّى أذبح الوقت بسكين الجسدْ
بادلينى . . . .
مرهقٌ حتى الرّدى
بادليتى . . . مرهقٌ حتى الحياهْ
. . . . . .

(٤) هروب

كان يبسط أرجوحة القلب للحبّ
كان يخالس أعضاءهُ
ويمدُّ إلى نغْمةِ الحلم ساعده
ويعبّئ فى الليل جعْبَتَهُ
ثم يعقرها فى النهار
كنَس اليأسَ من عزمه ــ ذات يومٍ ــ
وجاءك
مستقرئاً لحنه . . رافعاً سيفه الخشبىَّ
ولكنّه كان مستدفئاً بالعراءْ
حزّ ذاكرةَ الصمتِ
فانفرط اللّحنُ
شدّ على حزنه ــ واستبدَّ
(وجارته بدّلتْه بأقراطها ــ لم يجد وجهها)
ضاجعَ الخوفَ
واندسّ منتجعاً بالوسادهْ
. . . . . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٥) إدراك

عندما دقَّ على بابى تلكَّأْتُ قليلاً
عاود الطَّرْقَ
تعثَّرْتُ بظلِّى
خادِعٌ وجهُ المساء
إنّه قلبى طريحٌ .. نازفٌ
من فُرجةِ الباب تنشقْتُ دماه
ـ أنت مبتلٌ
(وهذا الصيف لم تبْرأ من الأرض خُطاه)
ـ كنتُ أصطاد القمرْ
عندما أمسكته كان رمادا
صرتُ أبكيه طويلاً
ثم أدركتُ الشتاءَ
.....
.....

(٦) الشاعر

إنّه الآن فى روعة الطَّلْقِ
يكتب جذوتهُ
يُفلتُ الحرفُ من رئتيْهِ
القذائف من دمه
يستقيلُ من الأرض
يصرخ
يصرخ
يا أنت يا .....
وتصير البلادُ
البلادُ التى سكنتْهُ
البلادُ التى سكبتْهُ
رماداً بقعر الفناجين
أغنيةً
وقصاصات حزنٍ تبادله فرحةٌ وانشطارا
والمسافةُ بين الذى كان
والرغبة الكائنهْ
المسافةُ مسكونةٌ بالنزيفْ

حين يغرقُ فى لغط الصمت
يخرجُ من شرفةِ القلب وجْهُ القصيدهْ
.....

منيا القمح ـ شرقية : فؤاد سليمان مغنم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

لزهرة الشوك

ناصر فرغلى

(سغب)

قال لى :
أنتَ لن تستطيعَ معي حبّا .
ورأيتُه يجرحنى ، وصمتّ
فانتشى طَرَبا
ورأيتُه يذبحنى ، وسكتّ
فانثنى عَجَبا
ورأيتهُ يُنكرنى ،
وضحكتْ
فارتمى تَعِبا
قلتُ : هذا الفراقُ الذى بيننا كُتِبا .
ومضى سَغِبا .

(الغمام)

رجلٌ واقفٌ فى انتظارِ الغمامْ
حملَ البذرَ والأمنياتِ وإرثَ الخليقةِ فى قلبهِ ،
وعلى يده أزهرتْ جمرتانْ
لم يَملْ مثلما يفعلونَ ،
ولم يعتذرْ عن نبوءَتِه حين لم تكنِ النارُ برداً له وسلامْ
ظلَّ منتصباً كالنخيلِ ، حميماً كأبراجِ هذا الحمامْ
ويجيدُ الرؤى والقصائدَ والأصدقاءَ
ويبكى إذا أخطأته السهامْ
رجلٌ واقفٌ فى انتظارِ الغمامْ
حينما أعلنَ العقربانِ اللذانِ على يده ألفَ عامْ
كان غامْ .

(غزل)

خيمةٌ ، وفتاةٌ ستُدْعَى بأسماءِ كلِّ نساءِ العربْ
ناقةٌ ، وفتىً راح فى الفلواتِ وحيداً يخبّ
لنْ نسمِّيهِ ، لكننا سنشبهُهُ بالمواويلِ ــ تلك الشجيةِ ــ
أو بارتطامِ السُّحبْ
حينما واجه الدارَ ، دارَ
ولم ينتبهْ للفؤادِ علاه اخضرارُ الزُّغبْ
جاوزَ الحىَّ حياً ،
ولكنّه لم يرَ القلبَ فى صدرِهِ
فتتبّعَ خيطَ دم قاده لخباءٍ خَرِبْ
وهناكَ رأى القلبَ طيراً ينوحُ على الراحلينَ ،،، بكى،،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قالَ : لم أبكِ مَنْ قد مضى ،
بل بكيتُ لأنى أحبُّكِ أكثرَ مما أَحَبّ !

(العشاء الأخير)

للقصائدِ ــ تلك العصافيرِ والشجنِ ــ
للفتاةِ التى تجعلُ الباقياتِ بقايا ،
وإليك أيا وطنى

هو ذاكَ دمى فاشربوا ،
وخذوا خبزَكم بدَنى

أخبرونى
أحبائىَ
الخائنينْ :

أيُّكم سيسلِّمنى ؟

الاسكندرية : ناصر فرغلى عبد الرحمن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المتنبى ومَشاغله الآن

محمد مهدى مصطفى

(١)

كَأنَ يحْتَدُّ قَليلاً ،
فى مَسَاءَاتِ المَدِينَهْ
فَيَغُوصُ الحُزْنُ حَتَّى يَتَلاَشَى
فى قَصِيْدَة .
حِينَها هيَّأتُ قلبى كى ينامْ
قال لى : إن وداعاً من قميصى
يرتدى خوفى ، وأنت الآن

خيط من مغاراتى ، ونهرى قادمٌ
من آخر الصمت ، ونيلى لم يعُدْ نهرى
فنقِّبْ عن دماءٍ فى وريد الليلِ
واسحب من مواويلى جميع الناسِ
فالسِّفْر الذى كنتَ ، تَدلّى من عناقيد الرحيلْ . .
تستوى كل المنافى ،
إن موتاً قابعاً فى جسدى ،
كلَّ مساءْ

(٢)

نبدأ الصمتَ حين الكلامْ
ثمَّ نمْضى وحيدين فى قرية ظالمة .
كان لصْقى ـ يدخن تبغاً ،
ويمضغ أحزانه
ـ أنت لا تشبه النيلَ ،
فالنيل لا ينحنى . . . .
قالها ثم عاتبنى فى قصيدةِ هذا المساءْ
من سماء بلادى النجوم انْسرَبْن إلى غيبةٍ
ليس ندرى إياباً لها . . . .

. . . .

مرت امرأةٌ بيننا ،
فابتعدنا قليلاً ، ضحكنا . .
وكان الطريق يضيعْ . .
ـ أنت لا تشبه النيلَ ،
فالنيلُ لا ينحنى ـ
قالها ومضى . .

القاهرة : مهدى محمد مصطفى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إسماعيل محمد محمود السبع

شعر

مناظر داخلية للموت

المنظر الأول :

الحزن منصوبٌ على عتبات دارى . .
والمواعيد الجميلة تبدأ الآن التنفّس فى الحقولْ
أإذا مررْتُ . . رأيتُ وجه حبيبتى ينساب بين زفير سنبلةٍ . .
وبين شهيق عصفورٍ صغيرْ ؟
أم أنها اكتسبت تجاعيد الذبولْ ؟
أإذا مررتُ . . سقطت ما بين الدوائرْ ؟
أم أننى لا أستطيع بأن أغامرْ ؟
لكننى حين الْتفت لشرفتى كان الرماد يغوص فى جسدى النحيلْ .

المنظر الثانى :

طفلنا ينخره الجرح ومازلتُ عليه أتّكئ
« عانقتنى مرةً لكنها منذ سنينٍ لم تجئ . .
والعصافير على عينىّ قد غَنّب مداها
مَنْ غداً يفهمُ . .
من يدرى أساها ؟
حدّثْتنى وبكتْ . لكننى ما عدت أبكى
لم أزل متّكئاً فوق عصانْ
لا تعى عينٌ بموتى

المنظر الثالث :

ليلة الأمس تعالت ضحكاتْ
كان ظلٌّ يتحدّى أنه لن يتبع الناس غداً . .
ثم مضى فى آخر الليل يغنى ــ مرةً ــ للنور لكنْ
حينما لاحت خيوط الفجر . . . ماتْ

المنظر الرابع :

لو كان لى
حلم يمامةٍ . . ولون زهرةٍ
لعدت فى ذراع أمى من جديدْ
هناك . .
أستطيع ــ دونما عناءٍ ــ أن أموتْ

الاسكندرية : إسماعيل محمد محمود السبع

ARCHIVE
http://Archive.Sakhrit.com

زينب محمود أحمد

شعر | الليل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان الليلُ مرسوماً
على أحداقِ قريتنا
فلا يرتاح إنْ نمنا ،،،
ولا ينسلُّ . . .
إن صاحتْ
ديوكُ الفجرْ !

وكان الليلُ يطعمنا
بقايا السُّهدِ
(إن ضنَّتْ قوافلهُ
بأضغاثٍ . . .
تبعثرها على الأرواحِ
فى دَيْمُومَةِ الذكرَى . .)

يدوسُ ضُرُوعَ سنبلةٍ
فتنعسُ كلُّ أفئدةِ النخيل المرِّ
لا يسَّاقط الرُّطَبُ !

وكان الليلُ يجمعنا
يدثِّرنا . . .
بأوجاعِ رماديهْ ،
يلمُّ الشاطىءَ المْهجورَ
فوق مشاعل الرؤيا . . ،
وإنْ أمطرْ . . .
تحرِّقهُ شُجونُ صبيَةٍ
عثرتْ . .
على ألوان مهجتها الخريفيهْ ،،

يفكُّ إسارَهَا
شريانُ هدْأتِهِ . .
فيخطفُ قلبهَا النشوانَ
سَمْتُ مخالب الصرخهْ ، ،
فتجلس تحت أرجلهِ
وما تنفكّ تحْدُوه :
(بريق الشمس يا أحمرْ

بريق الشمس يا أصفر
ويا . . أخضر
وياا١ . . . . . .
أز . . . . . .
رق)
، . . . . . .
وكان الليل . .

(قوص) ـ قنا : زينب محمود أحمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لـــنـــا

مؤمن أحمد

فى الحُلم مُتَّسَعٌ . . ،
لغرسِكِ وردةً . . ،
بيْن ارتحال الروح ، والوجه المفاجىء للشَّذَى .

فى العين مُتَّسَعٌ . .
لخارطةٍ بحجم تورُّد الخدَّين ؛
إذ تتآلفُ الأيدى /
مُغنِّيةً حنين الروح والشفتين للسُّكْنَى .

لكِ أن تكونى . .
كيفما رَسَمَتْ عيونُ العشب من فرحٍ ،
على وجهين :
مُجْتَذَبَيْن ،
مُحْتَدِمين ،
منسيَّيْنِ فى قَطْرَهْ

. . لكِ أن تكونى . . مثلما أرْتأت القصيدةُ :
رقصةً /
بَدْءاً لسيمفونية الأمواج والذوب الحميمْ
لى أن أسمِّيَكِ السماواتِ الرحيبةَ ،
والجنونَ المُستديمْ .

لى أن أُغنِّى مِلْءَ حُلمى . . ،
أستعيد نداوةَ الصوت البعيدْ
أتُراكِ أيْقَظْتِ المدائنَ طِفْلةً ،
وجهى المُغَبَّرَ بالصفير ، وبالتَّمَزُّقِ واحةً !!
أم أن عصفوراً من الحُمَّى يرفرِفُ فى امتداد الحُلم !!

هل وجع على وجعٍ أصابَ ،
أم ارتخاءةٌ مُتعبٍ !!
أو أنَّ أطرافاً من الحُلم استعادتْ روحها !

لى أن أُسَائلَ كُلَّ حرفٍ ، فى القصيدةِ :
. . كيفَ جِئْتِ !
وكيف أسْلَمَت الحروفُ نقاطها للدِّفءِ !!
كيف تجىءُ هاءً ،
غير هاءٍ ،
غير هاءْ !!

. . . . . .
لى . . أن أمُدَّ يداً
من الشوق/الحنون إليكِ ؛

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إذ يعلو صهيلُ الحرفِ
بين المَدِّ ، فى المُدنِ/الزُّجاجِ ، وجَذْرِ أُمنيَةٍ عصيبهْ

أنتِ استطعتِ دخول أو ردتى كسهمٍ من ضياءْ
وأنا دخلتُ الوقْتَ ، أوّلَهُ ،
(أُعيذُكِ رجرجاتِ الأوردةْ)

فَلْتَدْخُلى فى الحُلمِ
أَوْرِدَةً . . ،
ووَرْداً . . ،
مُهْرَةً خضراءَ . .
كالحُلْمِ الطَّرِىّ .

القاهرة : مؤمن أحمد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فاروق خورشيد

قصة: الكابوس

أكتب ، وأكتب ، وأكتب . . السؤال واضح ، ولكنى أعرف الإجابة . . بل لعلّى الوحيد وسط كل الممتحنين الذى يعرف الإجابة الكاملة والصحيحة والوافية . .

فالسؤال يقع ضمن تخصصى . . ضمن أبحاثى العديدة . . الإجابة لن تكون إلا تلخيصا للكثير من الأبحاث التى سبق أن كتبتها فى هذا الموضوع بالذات ، فى جوانبه المختلفة ، فى زواياه المتعددة .

ولكنى أكتب على قماش يتقلص ، فتنثنى الحروف ، وتضيع معالم الكلمات ، ويقفز سطر على سطر ، وكلمة على كلمة ، وحرف على حرف . . ولست أستطيع أن أتصور أن المصحح سيعرف كيف يقرأ هذا الكلام .

ولكن لابد أن أكتب ولابد أن أنهى إجابتى عن هذا السؤال ، فهناك سؤال آخر لا أعرف الإجابة عنه ، بل لاأعرفه على الإطلاق .

أعطونى حين حرروا ورق الأسئلة ، قطعتين معدنيتين ، واحدة على شكل نجمة صغيرة ، والأخرى على شكل مكعب غريب ، وكل واحدة ملفوفة فى ورق رقيق ، أو لعله فى كيس نايلون أبيض شفاف رقيق . . ولكن من لحظة لامست أصابعى ما أعطوه لى ، عرفت أننى لا أعرف عنه شيئا . . ليس فى كل خبرتى ، ولا معلوماتى ، ولا قراءاتى ، ما يحدد أى شىء ، أو يدرك أى شىء ، فى هاتين القطعتين . . ونحّيتهما جانبا — لا يهم — حتى لو ضاع السؤال حولهما ، فهذا لا قيمة له ، إجابتى عن السؤال الأول كفيلة بأن تغطى الدرجة المطلوبة للنجاح ، حتى لو أخذت صفرا فى هذا السؤال الغريب الذى لا أفهمه .

ومرت الدكتورة نادية من أمامى ، بوجهها الجميل الجاد الملامح ، وجسدها الصغير الفائر ، هى المراقبة ، ما ذنبها أن جعلوها المراقبة ؟ وقالت :

— الوقت يمر . . وأنت لم تكتب شيئا . .

ونظرت إلى ما كتبت ، لم أستطع أن أميز شيئا ، لا حرفا ، ولا سطرا ، ولا كلمة . . القماش الذى أكتب عليه يتداخل ، وقلمى لا يستطيع أن يخط عليه الكلمات بوضوح ، وقلت فى مرح :

— نغير الورق . .

قالت :

— ليس هناك ورق ، ابحث أنت عن ورق غير هذا الذى تكتب عليه .

وابتسمت لنفسى فى ثقة ، ثم قمت من مجلسى ، فوقع مقعدى على الأرض فى دوى وانكسر ، ولم أهتم — وأسرعت إلى باقى الممتحنين مثلى أسأل عن ورق . .

كانوا جميعا يجلسون فى صفوف منتظمة ، فوق مناضد منسقة وواضحة ، والكل منهمك فى الكتابة . . ونظرت إلى وجوههم ، وخشيت أن أزعجهم فى انغماسهم الكامل فى الإجابة . . وكدت أضحك . السؤال الرئيسى أنا أعرف إجابته ، بل لعلى الوحيد الذى يعرف كل الإجابة عنه ، وكلهم يعرفون هذا تماما ، وينظرون إلىّ فى ابتهال صامت ، علىّ أملى

عليهم الإجابة . . وكنت أريد هذا . . ولكن الوقت يمضى ، وينبغى أولاً أن أكتب إجابتى ، ثم أعود إليهم ، إن أرادوا معونتى . . هم فعلا منظمون فى جلستهم ، كأنهم فى بنوار سينما ، بل هم فى بنوار سينما بالفعل . . الأضواء مطفأة إلا من أنوار خافتة تسلط على شاشة بعيدة وراء ظهرى ، وأصوات ترتفع ضاحكة وصاخبة ، وموسيقى تصويرية . . ولكن صوتا ما وسط كل هذه الأصوات يملى عليهم الإجابة ، وهم يكتبون الإجابة المملاة فى اهتمام ودقة . .

وأحسست أن وقفتى أمامهم تحجب جزءا من الصورة على الشاشة . . تضايقهم وقفتى ، يضايقهم وقوفى نفسه .

وقال الدكتور محمود :

ــ خذ هذا الورق . .

ورمى إلى بغرارة كبيرة ، وعاد يكتب فى ورق إجابته من جديد .

وعجبت حين نظرت إليه وهو يتحدث ، كان شاربه شديد البياض ، شديد الكثافة ، ومن هنا كان وجهه متغيرا بعض الشىء عن الوجه الذى أعرفه . . من أين أتى كل هذا البياض إلى شاربه ؟ إن حاجبيه أيضا أصبحا كثيفى الشعر والبياض معا ــ ماذا جرى له ليصبح هكذا ؟ وضحكت . . إنه السن . . أنت تنسى السن ، أنسى أنه يكبر ، وأننا جميعا تظهر علينا علامات الكبر على مر السنين ترى ما شكلك أنت ؟ وكيف تبدو أمامه ؟

هو لم يظهر أى دهشة حين نظر إليك ، وحين تأملك فى سكون ، ثم حين دفع إليك الغرارة المليئة بالقماش ، وقال :

ــ وهذا ورق كثير ، أكتب فيه براحتك . .

ثم جلس يكتب فى انهماك ، وهو يتطلع إلى الصورة على الشاشة خلفك ، وهو يستمع بصعوبة إلى الصوت الآتى من الشاشة ، أنت مزعج ، فوجودك يجعل وصول الصوت إليه صعبا إلى حد ما . .

وانحنيت . . حتى لا أقف حائلا دون أشعة الضوء المنبعثة من مكان أمامى ، لتعكس على مكان ما خلفى ، وقلت فى صوت هامس :

ــ شكرا يامحمود . .

ولكن الدكتور محمود كان قد نسينى تماما ، كان يجلس على مائدته ، فى الصف الأمامى من البنوار يكتب فى إصرار وصمت . .

وسحبت الغرارة ، فهنا إنقاذى . . الورق . . حتى أكتب من جديد ما أضاعته القماشة السخيفة التى أكتب عليها . . أنا أعرف الإجابة تماما ، بل أعرفها كلها ، وأعرفها كما لا يعرفها أحد من كل هؤلاء الجالسين . . السؤال عن الحضارة الاسلامية ، والحضارة العربية ، والعلاقة بين الاصطلاحين ، وقد تعبت فى كثير من المقالات فى إثبات المعنى الذى يربط بينهما ، ولى رأى واضح ومحدد فى هذا الموضوع . . صحيح ، فى السؤال منحنيات كثيرة ، ومتعددة وغريبة ، كأنها تضع كل العقبات أمام الممتحنين . . ولكنى أعرف تماما كيف أجيب على كل التساؤلات ، وأنهى كل المشاكل ، والقضية الآن ، هى أن أسرع بالورق إلى مكانى ، لأكتب الإجابة ، قبل أن يضيع الوقت . . فالوقت يمر بسرعة .

وكنت أعرف فى داخلى أن الدكتور محمود سيرسل إلىّ الإجابة عن السؤال الثانى ، فهو يعلم أننى لا أعرفه ، وهو بالنسبة لى ليس شيئا مهما ، فلا هو فى اختصاصى ولا أنا سأتابع المعرفة فى هذا الفرع على الإطلاق . . المسألة أنه سؤال فى امتحان مفروض ، ستأتينى بالقطع الإجابة فى كلمات . . وربما فى جمل ، ولكنها ستأتينى أنا فى هذا الموضوع فى جهل مطبق ، ولن أعرف شيئا يفيد فى الإجابة عنه . . وكلهم يعرفون هذا ، وستأتينى الإجابة فى ورقة صغيرة ، وربما فى همسة ، هذا كله لا يهم الآن . . المهم أن أعود إلى مكانى ومنضدتى وأجلس لأكتب الإجابة عن السؤال الأول .

وجررت الغرارة وأنا أنحنى ، بعيدا عن البنوار ، بعيدا عن مقاعدهم ومناضدهم المتلاصقة ، ثم بدأت أفتحها . ينبغى أن أسرع ، فلا وقت هناك ، كلهم يكتبون ، وأنا علىّ وحدى أن أفتح هذه الغرارة لأخرج بالورق وأبدأ فى الكتابة ، فلابد من البدء فى الكتابة من جديد .

ومددت يدى أسحب الغرارة وأنا أنحنى ، وكأنت مغلقة ، يلفها حبل عند فمها ، وحاولت أن أفتح الحبل ، والحبل لا يريد أن ينفتح ، والدقائق تجرى ، وزمن الامتحان يمضى فى سرعة . . ومددت أسنانى لأمزق فتحة الغرارة ، ولكن أسنانى كانت غائبة ، كل الفك الأسفل لا أسنان فيه ، وأسنان الفك العلوى تنطبق على فراغ ، وكل ضغط يوجعنى فى ضروسى الخلفية ، فعندى ضرس أوشك أن يتخاذل وحده أو يقلع فى عنف ــ ولم أكن قد فرغت تماما من قرار حوله ، هل أحاول أن أبقيه أطول وقت ممكن ، فكل ضرس الآن يخلع لن يعود ــ أم أذهب إلى الطبيب لأنزعه وأستريح . . فى كل مرة آكل أغسله بعناية بالماء الساخن والصابون ثم بالماء الساخن ومحلول خاص يطهر اللثة والأسنان . . ولكننى دائما مهزوم ، فهو يسبب لى من الأوجاع ما يجعلنى أخافه ، وأرقبه فى حذر واحتراس . . ولم تنفتح الغرارة . . ومرت الدكتورة نادية ، وسألت :

ــ أين أنت ؟ لماذا لست فى مكانك ؟ أرجع إلى مكانك حتى لا تكون هناك شبهة غش . . أرجوك . . وكنت أضع لها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دائما مكانا مميزا فى ذكرياتى . . نعم هى مجرد ذكريات ، ولكنها ذكريات ثرية جميلة رائعة . . هذا نوع من الذكريات لا يمر ولا يعبر ، أبدا لا يمر ولا يعبر لأن كل شىء فيه حى ، كان حيا وظل حيا ، يثقل عليك بالكلمات ، والروائح ، ونبض القلب الراجف بمعان حلوة لا تموت . . وقالت فى عنف ، وهى تلف جسدها كله ، وتمضى من أمامك :

ـ الزمن يمر ، وموعد نهاية الامتحان يقترب . .

ونسيتها ، وانقضضت على الغرارة بأسنانى وأصابعى فى جنون . . وأنا أنحنى حتى لا يفوت أحد ما فى الفيلم ، وحتى يكتب المتراصون فى اللوج ، أعنى البنوار ، أعنى هذه الكتل المتراصة ، مكاتب امتحانات ووراءها مقاعد ، وفوق الكل وجوه ووجوه ، لم أعرف منها غير وجه الدكتور محمود الذى نسينى تماما ، وانهمك فى الإجابة ، والكتابة والإصغاء . .

وأخيرا ، أخيرا جدا ، انفتحت الغرارة ، وانفرط عقدها ، وتمزقت الورقة السميكة حولها ، وخرج القماش ، طويلا وسميكا ، ورائحته غريبة . . وأخذت أجره بيدى ، لونه داكن ، فى لون المانجو ، لن يكتب عليه قلم ، لن يخط عليه قلمى حرفا بين ـ لن يصلح ـ هو لا يصلح ، ورميت القماش من أمامى ، وأخذت أجرى . .

لن ينفع هذا القماش فى الكتابة ، والوقت يمضى ، ولابد أن أكتب على شىء ما إجابة السؤال ، لابد أن أجوز الامتحان ، لابد أن أكتب ، نعم ، لابد أن أكتب .

وعدت إلى مكانى بسرعة وجلست إلى المنضدة ، وانحنى ظهرى على الكرسى ووقع . . وذعرت . . كيف يمكن أن أعيد الكرسى إلى مكانه ؟ لابد أن يعود الكرسى إلى مكانه ، لأجلس عليه ، وأكتب فوق المنضدة وحاولت من جديد ، ولكن الكرسى يقع . . كلما عدلته لم يعتدل وكلما حاولت الجلوس عليه وقع .

ومرت الدكتورة نادية ، وقالت :

ـ الوقت يمضى ، وليستعد كل طالب ليسلم ورقة إجابته . .

وذعرت . . أى ورقة اجابة هذه التى أسلمها لها ؟ لملمت القماش الذى كنت أكتب عليه ورميته بسرعة ، لم أكتب على كل حال إلا عدة سطور ، ولم أقل فيها رأيى ، بل رأيى فيها حين كتبته جاء مضطربا وسخيفا وغير منطقى ، لن ينفع أبدا كإجابة شافية على السؤال ، ولا حتى كمقدمة واضحة للإجابة على السؤال . لابد إذن من البدء من جديد ، ولكن أكتب على ماذا . . ؟ لا شىء أمامى . . لا قماش ، لابد من ورق ، نعم . ورق . . ورق . . وقلت لها :

ـ الورق . . ؟

هزت كتفيها ، وقالت فى حزم :

ـ ابحث عن الورق عند زملائك . .

واهتزّ وسطها ، ومضت . .

أنا أعرف العطر الذى يفوح منها ، يملؤنى ويغمرنى ، ويثير فى كيانى أشياء دفينة ، ومجهولة،يارقة العطر ويارقة الجسد ، ويا عنفه وعرامته ! . هس . . أنت فى امتحان ، ولا معنى لكل هذا . . ولتعد إلى الواقع الآنى السخيف ، المطلوب منك هو الورق . . الورق تكتب عليه الإجابة وبسرعة فالوقت يجرى ، بل لعل الأمر أنه لا وقت هناك . . أجلس وأفرد المائدة أمامى ، وأفرد الورق ، هو قماش لست أدرى من أين جاء ، أحاول الكتابة عليه من جديد ، أستأنف ما كتبت ، ولكنه يلتوى ، والقلم لا يستطيع أن يخط عليه . . لا . . هذا لا ينفع ، سيمر الوقت وأنت لا تكتب شيئا فى إجابة هذا السؤال . .

كل الإجابة أعرفها .

المسألة أننى أعرف الإجابة كلها ، فقط أعطونى وقتا وورقا وقلما . .

والورق لا يصلح ، القماش لا ينفرد ، والكلمات فوقه تتشابك ، والجمل يركب بعضها بعضا ، لابد من البحث عن ورق جديد .

ووقفت ، فسقط الكرسى ، وانضمت المائدة بعضها إلى بعض . . ولم أهتم ، فقط أسرعت إلى الآخرين الجالسين للامتحان ، وكانوا كتلة مصمتة كما تركتهم من قبل . .

الضوء معتم ، وثمة أصوات من الخلف ، وهم جالسون ، صفوفا صفوفا ، يكتبون ، مقدمات مناضد الامتحان واضحة ، وهم يجلسون وراءها .

وقلت :

ـ أريد ورقا .

ولم يسمعنى أحد .

وعدت أقول بصوت أكثر علوا :

ـ ورقا ، ورقا . . ياجماعة أريد ورقا . .

ولم يتحرك أحد إلا الدكتور محمود ، وكان مبتسما ، وهادئا ، كان يجيب على الأسئلة ، وكان راضيا عن إجابته ، وابتسم ، ثم قال :

ـ الورق كثير ـ مكوّم ، مكوّم ـ خذ . .

ودفع إلى بأظرف صفراء عديدة ، تلوح من فتحاتها أوراق بيضاء . . وسعدت ، وأسرعت أملم الأظرف ، بينما عاد هو إلى مجلسه وراء منضدة الامتحان ، ونسينى تماما ، كيف أظن أنه سيرسل إلى الإجابة عن السؤال الثانى ؟ هو يعرف أننى لا أستطيع الإجابه عليه ، وهو يعرف الإجابة الصحيحة ، كلمة أو عدة كلمات ـ سيرسلها فى وقتها ـ لاشك عندى فى أنه يعرف أننى جاهل بالنسبة لهذا السؤال الثانى . .

وعدت أتحسس القطعتين المعدنيتين فى أكياسهما الورقية ، وأنا على اطمئنان إلى النتيجة ، فليس هذا هو المشكل ، المشكل أن أجيب على السؤال الأول ــ والمشكل أن أقول كل ما أريد فى هذه الإجابة . . فما كتبته حتى الآن متعثر وقلق ، ولا يقنع أحدا ، ولا يشفى غليلا . .

المهم أن أكون مقنعا ، هذا شىء هام جدا ، ولست أعرف أهناك وقت لأبدأ من جديد ، أم أننى أستطيع أن أكمل الإجابة من حيث وقفت .

ووقف الدكتور محمود ، ودسَّ إلىَّ بمجموعة من الأظرف الصفراء وهو يقول :

ــ لم ينفع ما أعطيته لك ، لا . . إذن خذ ، هذا ورق آخر جديد ، خذ . . خذ . .

والأظرف كثيرة جدا ــ ولم يعد عليه أى حرج ، فى مرتين دفع إلىَّ بأظرف كثيرة صفراء . . وفتحت الأظرف فى سرعة ، فالوقت عنصر هام جدا ، لابد أن آخذ الورق ، وأعود إلى مكانى ، وأكتب منذ البداية وأكمل الإجابة قبل أن ينتهى وقت الامتحان .

ومضيت فى عصبية أفتح الأظرف ، لأخرج الورق . ولكن الورق مملوء كله ، بإجابات امتحانات هندسية ورياضية كل الأوراق ملآنة ، كل ورقة بها مثلثات ومربعات ، وأرقام كثيرة ، وجداول ــ لا شىء ينفع ، لا شىء أكتب عليه . . ظرفا وراء ظرف ، أفتح ، وأراجع وأعرف أنه لا جدوى هنا ــ كل الأظرف امتحانات سابقة ، إجابات تحتاج إلى تصحيح ، أوراق وأوراق ، وأنا أمزق الاظرف ، وهذه جريمة . . وأنا أعبث بمستقبل من كتبوا هذه الإجابات ، إن لم أعدها إلى أظرفها ، وبسرعة . .

ومضيت أجمع الأوراق ، أللمها فى أظرفها الصفراء ، وألقى بها عند القاعدة التى جلس عليها الممتحون ، عند أطراف البنوار . . ولم يكن هناك وقت ، فلأسرع . . وبعجلة شديدة جعلت أرمى الأظرف الصفراء ، أللم ما بها من ورق ، وأجمعها فى حرص ، ثم ألقى بها ، ظرفا وراء ظرف عند أقدام البنوار ، فى عجلة ولهفة ، فلابد أن أعود إلى مكانى لأكتب الاجابة على السؤال .

لا ورق ــ ولا شىء . . وأعود مسرعا إلى مكانى . .

وقالت الدكتورة نادية :

ــ مضى معظم الوقت ولم يبق إلا أقله .

واهتزت وربت . ونظرت إلى عينى من وراء نظارتيها السميكتين ، ثم ابتسمت وقالت :

ــ أسرع ، ما زال أمامك وقت .

وأسرعت ، هرولت ، جريت ، وقعت ، واصطكت جبهتى بحاجز سميك ، وأفقت . . صرت عند حافة البنوار الحديدى ، وفى يدى لفافة أخرى ، قال واحدٌ ما إنها تصلح للكتابة ، وأسرعت أجرى إلى منضدتى ، أكتب الاجابة عن السؤال الذى أعرف الاجابة عنه .

كان الشارع ضيقا ، ثم أخذ يتسع ، ويتسع ، ودخلت السيارة فى مسار سليم طبيعى ، وانحنينا لنتجنب نتوءا بارزا فى الجدار ، وقال صديقى :

ــ أتعرف أين نحن ؟

قلت :

ــ نحن فى الحسين . .

وضحك ، ودار بسيارته ، فاذا نحن بين عمارتين عظيمتين ، ثم منحنى ، ثم باحة ، ثم سرنا فى طريق طويل ، وعاد يقول :

ــ أين نحن الآن ؟

قلت :

ــ لاأعرف

ضحك وهو يقول :

ــ أنظر أمامك ، فستعرف أين نحن .

ونظرت . . المسجد الحسينى تماما كما أعرفه ، ثم انحنى المسجد وطال ، وانحرفنا . . فاختفى . . وحارة إثر حارة ، ثم نحن فى مكان غريب لم أعرفه من قبل ، لا علاقة له أبدا بما أعرف من معالم الحسين ، وضحك صديقى وهو يقول ، والسيارة تجرى فى سرعة :

ــ نخرج الآن من باب النصر .

ولم أحس أننا نمرق من باب الفتوح ، فجأة ظهرت حوائط وراءها القبور ، حتى الجبانات أصبحت تلبس القفازات ، ودار ، ودرت ، ودارت العربة وقال :

ــ أتعرف هذا الطريق ؟

وعادت جبهتى إلى رأسى ، واستقرت عينى ، وانتظمت أنفاسى من جديد وقلت :

ــ البغالة ؟

وضحك ، وضحكت فى بلاهة ــ فلا بغالة هناك ــ فقط الخوف أن نصطدم فى كل منحنى خطر ، ثم انفرج كل شىء إلى طريق واسع ، وهمس :

ــ شارع الحسينية . .

ثم انطلق . . لا . . هذا بالفعل شىء خارق !

واندفع الموتوسيكل يدور فى الدائرة الخشبية العالية ، يرتفع ويرتفع ، ثم يعود ليهبط من جديد ، بنفس السرعة ، حتى يصل إلى القاعدة ، وأنفاسنا معلقة ، محبوسة ، لاهثة ، حتى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يصل الراكب إلى القاعدة الثانية ونتنفس الصعداء ، ويصيح واحد :

ـ انتهت الفرجة ، الكل يخرج ، وليدفع من يريد الرؤية من جديد .

وأنزل لاهث الأنفاس محمر الوجة أتحسس جسدى ، وأعد أنفاسى وأطمئن أن كل شىء فى مكانه . . ويقول صاحبى :

ـ طالت سهرتنا الليلة ، سأنزلك عند البيت .

وتمضى السيارة مارقة فى سرعة ، وأنا أجرى وألهث ، أبحث عن منضدة الامتحان التى أجلس عليها لأكتب الإجابة على السؤال الأول . . ما هو بالضبط السؤال الأول ؟

لا أعرف ، إنه حول شىء ما أعرفه كل المعرفة ، أين الورق ؟ أين القلم ، أجلس وأكتب . .

ولكن المائدة تتقعر ، لا تنفرج لأضع عليها الورق ، كلما عدلتها من ناحية ، انبعجت من ناحية ، لابد أن تستقر المائدة لكى أكتب . .

أتركها وأعدل المقعد . . والمقعد ينزلق ، أهو مقعد من مقاعد البحر القماشية ؟ ربما . . ولكن الجزء الخشبى فيه مكسور ، كلما عدلته وقع ، والجزء النسيجى منه لا ينفرد . .

أترك المقعد بسرعة ، فموعد انتهاء الامتحان يقترب ، ولابد أن أكتب الاجابة . متأكد أنى لو جلست على المقعد ووضعت الأوراق على المنضدة فاننى سأكتب الإجابة ، والإجابة الصحيحة على السؤال . . ولكن المنضدة منبعجة ، خشبها يتقوس فى داخلها ، ولا مكان لوضع الورق ، لابد من وضع الورق ، لابد من الكتابة ، الزمن يمضى ، ولا شىء باق فى الزمن . .

وأمد القلم إلى ورق معوج فوق مائدة معوجة ، وأجلس فوق كرسى معوج ، ولكن ، لابد من الجلوس ، لابد من الكتابة ، لابد من الإجابة ، أما السؤال الذى لا أعرفه ، فستأتينى الإجابة عنه مع الصديق ، أو مع غيره . . فقط أجلس ، وأضع الورق على المائدة وأمد القلم إلى الورق وأكتب .

وأقع فوق كرسى هناك . . وأقف فى إصرار أمام المائدة ، وأمد يدى فتنزلق فلا مائدة هناك ، وأصر . . أصر . . أصر . . وأمد يدى إلى الورق ، وينزلق القماش المتعرج ، فلا ورق هناك . . وأكتب فى عنف ، فأنا أعرف الإجابة ، ولابد أن أكتب ما عندى ، آرائى ، المعنى الذى أحبه . . والورق ينزلق ، والقلم لا يكتب فلا حبر هناك . ثم إن سن القلم ينزلق ويتدلى فى هموم .

ولا أكتب .

ولا أجلس ، ولا منضدة ، ولا ورق .

ولا أحد أحضر لى الإجابة عن السؤال الذى لا أعرفه .

وأحاول أن أكتب ما أعرفه .

والورق قماش متداخل لا ينضبط

والقلم لا يخط شيئا ، فهو لا يستقر على شىء .

والمائدة تنفتح ولا مائدة .

والكرسى وقع .

وأنا أختنق . .

والوقت يسرع ، والامتحان أوشك أن ينتهى موعده ، وأنا أكتب كلاما فى فراغ ، لا أجيب عن شىء ، ولا أكتب على شىء ، والوقت انتهى . .

وقال صاحبى :

ـ وصلنا ، هذا هو بيتك ، أتحب أن أوصلك إلى مسكنك ؟

قلت :

ـ لا ، أعرف مكانى إلى مرقدى .

وأنا لم أكتب حرفا بعد ، كل الذى كتبته لابد أن أمزقه ، فأنا أعرف الموضوع جيدا ، ولابد أن أجيب إجابة كاملة ، السؤال واضح ، وإجابتى واضحة ، أجلس من جديد لأكتب الإجابة ، والمقعد ـ منهار . . والمنضدة منهارة ، والقماش مهترىء ، والقلم لا يكتب ، وأنا أكتب وأكتب وأكتب ، وسأظل أكتب وأكتب وأكتب . . علىّ أجيب على السؤال الأول الذى أعرفه . .

كيف ياإلهى يتقوس القلم ؟!

أتماسك ، أمسك أصابعى حول حافة القلم ، وأكتب . .

كيف ياإلهى ؟ ينفرج الثوب ، وهو قائم لن تبين عليه كلماتى ، هو مظلم معتم لا يبقى على سطحه شىء ـ مهما كتب القلم .

أجلس لأكتب . . فأقع .

المكتب مقوس منهار . . أللم نفسى ـ وأجلس ـ فأقع .

المقعد منهار ، لا قاعدة له ـ لا شىء فوق قوائمه . . وأجلس فأقع .

ياحمود ، أين إجابة السؤال الثانى ؟

وأنا أنهك نفسى فى الإجابة على السؤال الأول ـ لا ـ ليس هناك أحد ـ لن يجيبك محمود على السؤال الثانى أساسا . .

ووقف صديقى ، وقال :

ـ تعبت من طول التجوال ، انزل هنا الآن .

وتحسست مكانى إلى حيث أكون . .

وقال الدكتور محمود :

ـ هذا كل الورق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقالت الدكتور نادية :

ـ انتهى الوقت . . كل أوراق الإجابة تسلم هنا .

والورقة لا تصلح لشيء ، وأنا . لا لست أنا . .

لا ، لا إجابة هناك . . لا . . ضعت . . وسقطت فى الامتحان .

وقال صاحبى :

ـ ادخل منزلك ، أطمئن عليك .

والنور ، ثم الممر الطويل ، ثم النور ، ثم الباب ، ثم أننى تعبت وأريد أن أنام ، ثم كل شيء لا معنى له ، بل كله معنى . . والامتحان انتهى قبل أن أجيب ، والوقت يمر . . الأظرفُ . . والأظرف مليئة بالورق المكتوب ، والاظرف كثيفة وكثيرة ، وأنا أحاول أن أفتح الأظرف ، والأظرف كثيرة ، كثيرة . . وهى تلفنى ، وتحوطنى ، تحتوينى .

وأفتح اللفافة هذا ورق . . ورق . . بل هو قماش عريض ، داكن اللون ، يلتف حولى ويلتف . . وكلما حاولت أن أكتب يترنح القلم . . ويترنح القماش . . وأترنح أنا . . ثم أترنح . .

وأحس أن وقت الامتحان يتعقبنى . . وأنتى أتعثر . . ولا أحد أعطانى السؤال الثانى ، فأنا لا أعرف شيئا عنه . .

الاجابة المفصلة الواضحة عن السؤال ، كل شيء واضح ومرتب ومنطقى ، ولكنه لا ينتهى . .

وأحاول أن أرفع القلم ، والقلم لا يرتفع فى يدى

وأحاول أن أستيقظ .

فأنا أختنق . ولا أكتب ، فقط أختنق . .

ولابد أن أخرج من كل هذا ، لابد أن أستيقظ لابد أن أكتب ، لابد . . نعم لابد .

القاهرة : فاروق خورشيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جمال زكى مقار

قصة: أغنية الولد

تراقصت ذبالة ضوء « لمبة » الجاز الموضوعة أسفل دماسة الفول ، إذ شح الجاز فى قارورتها لحظة أن صاح ديك اغترّ بضوء الفجر الكاذب . تقلبت فوزية فى فراشها ، جاءها زعيق قطار فنفض النوم عنها ، قامت من فراشها ، ملأت قارورة اللمبة وألقمت الفوالة جرعة ماء وانصرفت لقضاء حاجتها . . . وفى طريقها إلى الفراش سمعت هريدى يكلم نفسه وهو نائم فقالت وهى تضع كفها على فمها ضاحكة :

ـ يفضحك راجل .

جذبت الغطاء عنه ودثرت نفسها ، سمعت ـ والنوم يغبش أجفانها بأطيافه ـ دقا متواصلا على باب الدار ، نهضت من رقدتها وصاحت :

ـ طيب . . طيب . . يووه !

كف صغيرة تشبثت بمطرقة الباب تدق . . تدق . . كانت طفلة صغيرة شعثاء الشعر نصف نائمة ساقاها تتشبثان بالأرض الندية كى تطول المطرقة . فتحت فوزية الباب ، قالت الطفلة متثائبة :

ـ أمى جاها الوجع .

ـ وجع فى بطنك هتكسرى الباب ! طيّب خشّى .

فى فسحة الدار ، جلست الطفلة فوق الكليم المنسوج من مزق الملابس القديمة تعبث بأطرافه البالية ، وترنو إلى الجمرات الخابية فى قصعة النار ، وفوزية تجمع حاجاتها ، فوزية التى عاشت تحلم بطفل صغير حتى تلاشت أيامها فى الفراغ دون أن تنجب ، صارت قابلة ، وصارت مجمعا لخبرات الطب البائدة ، ما خابت قط وصفتها إلا مع نفسها .

تدور فوزية كنحلة . . . بحثت عن شالها الصوف الأسود وجدته أسفل زوجها النائم ، فأزاحت الرجل بجماع كفيها ، وجاهدت فى سحب الشال ، دفعت هريدى مرة أخرى فانقلب على وجهه ، جرت شالها وتلحفت به ، سمعت الطفلة تقول :

ـ تقولك أمى هاتى معاكى جلابية قديمة تلف فيها الولد .

غمغمت وهى تبحث عن جلباب قديم وتحس بوطأة الدقائق فى دمائها :

ـ أمك عارفه أنه ولد ؟

ومصمصت بشفتيها .

أنجبت بدرية خمس بطون كلهن إناث ، فجلبت على نفسها لعنة أهل زوجها ، وبرغم شحوبها وانهدام بطنها ، جاءت تسعى إلى فوزية ، وفى غل وإصرار حملت ، إذ يجب أن يجىء الولد ، فالرجال مثل الماء فى الغربال ينزلقون تاركينه إلى غربال جديد . . . ورضوان ، رضوان يكظم غيظه مرة ومرات ، تخرج فوزية إليه من طقس الولادة تبصره واقفا متوسلا ، وحين تقول له :

ـ مبروك عروسة .

تبدأ أمه المحطوطة على اللباد الصوف فى الغناء الحزين والعديد .

يتناهى الصوت المتعرج إلى بدرية الملقاة فوق السرير

النحاسى بأعمدته المتسخة وناموسيته الممزقة ، فتقرب قطعة اللحم الصغيرة وتضمها تلقمها ثدى هوانها ، تنحدر دمعتها سارحة عبر وجنتها المتهضمة ، تنزلق على رقبتها إلى صدرها حتى تبلل وجه الوليدة النائمة المعلقة بحلمة ثديها ، ترقب جارتها دموعها فتربت على كتفها :

ـ جرى إيه أمّال ؟ ربك للمنكسرين جابر ، الصبر ياأختى . أما رضوان ، فبعد أن ينقد فوزية لاعنا جدودها فى سره ، يبحث عن بشته ليتدثر به وينام وهو قاعد مكوم ، وفوزية تنسحب أمامه تقلب ملاليمها ساخطة .

* * *

التقطت فوزية جلباب هريدى الجديد من على الدكة ودسّته فى خرجها ، ستعرف كيف يدفع رضوان ثمنه عدا ونقدا . خرجت إلى « الفسحة » ، وجذبت الصغيرة الغافية من يدها وجرجرتها مهرولة ، وحين حاذتا حد السور لجنينة المانجو انطلقت عدة أعيرة نارية شقت سكون الفجر ، صرخت فوزية فى الخفير :

ـ عايش ياود المحروق . . آنى فوزية .

أطل عايش بوجهه النائم وشاربه المفتول ، رآها وضحك من فعلته .

ـ شايله خرجك ورايحه تسحبى رجل مين ياداهيه ؟

ـ وأنت مالك ياقليل الحيا .

جذبت يد الصغيرة ، وأفسحت خطوها تشق الفجر لاهية عن غبشه وعن البرد العالق بشالها الأسود والطفلة تهرول بين قدميها . . . تسألها فوزية :

ـ ستك جات ؟

ـ أيوه جات .

تذكرت فوزية العجوز الشامته ، لسعتها نسمة باردة هبت ففركت كفها وغنت :

اللى ضربك قوللى عليه
بالعصا أنزل فوقيه
ان كان سعيد اسمح ليه
وان كان فقير أشكيه للبيه

انقطع سور الجنينة ، عبرت فوزية جذع النخلة المطروح فوق مجرى الماء فبللت أقدامها قطرات الندى المعلقة بالحشائش والنجيل ، وسمعتا صرير جنادب الحقول ونقيق الضفادع ، غابتا فى غاية النخيل حتى انفسح المجال ، جاءهما خوار البقر وثغاء الغنم وصياح الديكة ، عرفت أنه نفس المكان وإن امتدت به الأيام ، ففى مثل هذا السحر وحين كانت تكمل الأيام دورتها وتتم بدرية عدة أيام حملها كانت هناك يد تدق الباب فى إصرار ، تفتح فوزية ، تجلس القادم وتلملم حاجاتها وتلقم دماسة الفول جرعة ماء ، وتسحب شالها ، وتنطلق صوب بيت رضوان ، ينبحها الكلب فيزجرونه ويبعدونه ، تدخل تبصر أجساد أطفال نائمة ممددة على الأرض ووجوها تعلقت بها ، ينهض جسد أو جسدان أنثويان يدلفان معها إلى الغرفة ، ينغلق الباب خلفها ، لا تبقى لمن خارجه سوى غمغمات مبهمة متعجلة تقطعها صرخات امرأة ينسحب صوتها ينقلب إلى عواء يمزقه الألم ، تدفع بكفها أسفل الغطاء ، تتلوى المرأة ، وتهز فوزية رأسها هزة وتدير عينيها فى الواقفات ، تقول :

ـ وّلادة وبنت وّلادة ؟

تشيح بوجها إلى امرأة من الواقفات :

ـ طشى لها بيضة بفص توم .

تقلب فى حاجاتها ، تخرج برطمان القرفة بسرعة وتقول :

ـ بعدها اعملى لها كوباية قرفة .

ثم تجلس على حافة السرير العالى ، وتروح تثرثر والنساء الجالسات على الأرض :

ـ هنية جابت ولد .

وتستدير إلى بدرية الأملة :

ـ عقبالك يا اختى . مالك مصعّباها قوى ؟

ـ شدى حيلك خلى ساعتك تبقى زينة

ربنا يعطيك ساعة فرج من عنده

وللحظات يسودهن صمت مشوب بالتوتر ، بعدها تزعق المرأة فى قلب الفجر ، يتحرك القابعون خارج الغرفة ويقتربون من الباب الموصد ، تنهنه طفلة صغيرة وتفتح عينيها ، تسكتها الجدة بنظرة آمرة قاسية فتنكمش الصغيرة مستعذبة برودة الفجر ودفء الغطاء ، تبدأ فوزية العمل . .

توسع بيديها ساقى المرأة وبكفها توسع لرأس الصغير تدس أطراف أصابعها تعدل الكتف فالكتف ، ينزلق الصغير فإذا به أنثى ، تخرج على رضوان ـ تقول :

ـ مبروك عروسة .

خمس مرات فعلت ذلك حتى كرهها رضوان وما جاء بها إلا مكرها . سادسة المرات هذه استقبلها بسحنة مقلوبة فاقشعر بدنها ، وفكرت فى جلباب هريدى . ولجت الحجرة ، جاءوها ببيضة تفوح منها رائحة الثوم ، لعقتها بدرية وأسندت رأسها إلى وسادة السرير حتى تحتسى كوب القرفة ، عضها المخاض فتلوت من الألم ، أخذت فوزية الكوب من يدها وقربته من فمها :

ـ طيب بلعة واحدة .

جرعت المرأة بلعة من السائل البرتقالى وهزت رأسها فى عنف ، والصغير يطرق فى إصرار بوابتها وهى تئن أنينا مكتوما وتتلوى ، تمسك بكفيها أسياخ ظهر السرير وتعض بأسنانها المنديل . . . مدت فوزية يديها أسفل الغطاء ، لكن بدرية فاجأتها بزعقة هائلة ارتجت لها الجدران ، جمدت فوزية وهرب الدم من عروقها حين رأت عينى بدرية جاحظتين من روعة الألم . تلقت يداها الجامدتان جسدا طريا ساخنا مبلولا ، فهاهات لا تدرى أتبكى أم تضحك ، لم تفعل شيئا ، أخرجت الجسد من تحت الغطاء ، فرأته ، رأته ولدا أحمر أسود كأنه رغيف خبز شمسى من دقيق السن خارج من جوف الفرن يصرخ من هول المفاجأة ، والضياء القليل يعشى عينيه تمالكت أعصابها وقصت بالمقص حبله السرى وعقدته بشاشة سويسى عقدة جيدة ، ثم عقدت طرف المشيمة عقدة أكبر ، ووضعت المقص خلفها متقاطعا مع شق المرأة حتى تنال خلاصها ، عشر دقائق مرت ، التقطت المشيمة وألقتها فى الطبق البلاستيك الكبير ، فألقوها بدورهم إلى القطط ، غسلت جسد الصغير بالماء الدافىء ولفته فى جلباب هريدى ، وخرجت تغنى لرضوان يتهز رأسها ، ثم انفجرت فى الضحك :

ـ ياولد من بعد حيل
ياشواشى ع النخيل

قالت وهى تحرك أطراف كفها :

ـ الحلاوة يازين الرجال !

ورضوان يختلس النظر إلى أمه ويخفى لهفته ، ويسأل :

ـ ولد ؟

لكزته القابلة بكفها المضمومة الجافة القاسية فى كتفه :

ـ ولد وزين الولاد !

ضرب يده فى صداره ، وأخرج حافظته الكبيرة ، برز طرفا ورقتى بنكنوت حمراوين ، تردد ، فانقض مخلبها وطار بهما قبل أن يفيق . . . . قالت :

ـ عشت ياسيد الرجال !

انحسرت أم رضوان صغرت صغرت حتى تلاشت . . . وانسحبت فوزية ، كانت الحياة قد سرت فى أوصالها الباردة النائمة دماء النهار الساخنة ، فسمعت أصوات الخلق الساعين لأرزاقهم ونداءاتهم وسخريتهم وتحية الصباح :

ـ صباح الخير .

غابت فى غابة النخيل ، عبرت الجسر ، وحاذت سور جنينة المانجو وراحت تغنى

ـ ياولد والولد جولك ينظروا عرضك وطولك
ينظروا كشمير حزامك ياترى مين فصّلولك .

القاهرة : جمال زكى مقار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يوسف أبو ريه

قصة

الجدار القديم

الأستاذ ساكن المدينة وصل بلدهم آخر النهار ، بعد انْ سلم على أخواته ، وأكل لقمة ترد جوع السفر ، شرب الشاى ، ثم زهق فجأة ، وتمنى لو يعود فيخرج إلى المقهى يشرب « كرسى الدخان » . تردد ، وقال لنفسه : أشربه مع خالى . . وبالمرة أزوره . (قبل أن يضموا الكنبتين للجد ، تحت النافذة المفتوحة على الشارع ، وقبل أن يرفعوه من حصير الأرض الذى يوجع العظام ، ويحيطوا جذعه بالمساند ، كان يشترى باكو المعسل كل ليلة ، ويدخل عليه ، وكان الجد يحفظ مواعيده ، فحين يدخل يلتفت إليه ـ وهو لا يراه ـ ويهتف باسمه كطفل ، وتكون الخالة ـ التى رفضت الزواج وظلت فى بيت أبيها لتخدمه ـ مفترشة الأرض تحت قدميه ، تزود شعلة المصباح المعلق على الجدار وتهم بسحب الموقد من تحت الكنب ومعه الصينية عليها عدة الشاى ، تدلق الجاز على « الكوالح » وتشعل نارا صغيرة تسوى بها الشاى ، وتدفن الباقى تحت الرماد ، لتستخدم جذواته فى رص الجوزة التى يقوم الأستاذ بتغيير مائها من الصنبور القريب من الباب الكبير .

ويمسِّى عليه الخال الذى يكون قد عاد من حقله ، وشطف وجهه ، وارتدى الجلباب النظيف خارجا إلى المقهى على أول الشارع ، فهو لا يجرؤ أبدا على شرب الدخان أمام أبيه . انحرف إلى الدكان الموجود على الناصية ، وجد صاحب الدكان على الكرسى ، فوق الرصيف ، لما رآه ، وقف ليسلم عليه ، ثم دخل من تلقاء نفسه ، ومد يده إلى الرف ، وسحب ورقة الدخان ، أخذها الأستاذ وسأله : كيف الأحوال ؟ قال : نحمده . قال فى نفسه : ضمنًا درج واحد ، ها قد ترك تعليمه ، بعد أن مات أبوه ، ليفتح الدكان ، ولو جلست معه الليلة سيحدثنى عن أحلامه التى لم تتحقق وسيلعن البلد الضيق الذى لا تروج فيه تجارة .

تركه لينزل إلى الشارع ، رأى النور يخرج من « المضيفة » عرف أنهم يكملون العزاء لميت من الحى فأقرباء المتوفى يصطفون عند المدخل ، ونحنحات الشيخ تهيىء الميكرفون للتلاوة .

قال فى نفسه : لن أمر عليهم .

دخل الشارع الصغير ، الذى عن يمينه ، وكانت النسوة على عتبات الدور يتبادلن الحديث . تجاهلهن وسار فى طريقه المظلمة ، ثم تجاهل أصحاب المأتم المصطفين فى مستطيل النور . دفع باب الدار المواجهة للمضيفة ، عبر بقعة الماء بالقرب من حوض الحنفية ، ونادى بصوت عال ، وكان قد سمع الأصوات تأتى من حجرة الخال ، والدخان كان خارجا من أعلى الباب إلى فضاء ما بين الحجرتين المبنيتين بالطوب الأحمر والزريبة المبنية بالطوب النى .

برزت رأس البنت الصغيرة من فتحة الباب ، وصاحت : الأستاذ . .

وسمع صوت خاله يقول : أهلا وسهلا .

عند عتبة الباب رآه وزوجه يقفان بانتظاره ، والغريب الجالس معهما على الحصير ركن الجوزة ، ووقف يبتسم له :

أهلا . . أهلا .

ولمح خالته جالسة فى حجرتها وحيدة فوق الكنبتين المضمومتين أسفل النافذة التى يتسرب منها صوت المقرىء .

قال لهم : أسلم على خالتى . قال الخال : واجب .

عبر العتبة العالية ، ومد يده اليها ؛ ازيك ياخالة ؟

رفعت يدها من تحت الغطاء الملموم على خصرها : ازيك أنت ؟

سألها : مالك ؟ قالت : أبدا .

كانوا يقفون فوق الحصيرة بانتظاره ، قبل أن يسلم عليهم شم رائحة طبيخ مختلطة برائحة المعسل قال الغريب : يامرحبا .

ولم يستطع أن يمد يده إلى أولاد الخال الراقدين على السرير يطالعون كتبهم فأشار إليهم بيده من بعيد ، فردوا على تحيته بحياء .

قال الخال : تفضل ، ومسح بكفه المشمع المنشور على الكنبة ، فقعد على الطرف ، قال الخال : اقلع الجزمة وربّع . قال : خلينى فى الهواء .

قالت زوجة الخال : « السُّقسيقة » عدت على دارنا ، عرفت إنك حتزورنا الليلة . حين سقط الشال عن وجه الغريب ، تأمل ملامحه ، فتذكره ، قال فى نفسه : لقد صار رجلا ، له شارب ، ويلبس الجلباب النظيف ، هو ابن ذلك الرجل الذى أمسك لنا العصا ، وقادنا فى خطوط القطن ، نجمع الدودة ، كان أبوه يحبنى ، ويقربنى اليه ، ويجعلنى أقف وراء ظهور الأولاد المحنية لأشرف عليهم ، وكان يأخذنى ـ آخر كل شهر ـ إلى داره ، يضع أمامى « الطبلية » الصغيرة ، عليها لمبة الجاز ويجمع الأولاد بالردهة ، وينادى عليهم اسما اسما ، وأنظر أنا إلى الدفتر ، وأعمل علامة « صح » أمام الاسم ، وأعد له القروش المكتوبة بخانة « الأجر » .

ابتسم الغريب بخجل وقال : أظن متخدش بالك منى ياأستاذ ؟

قال : أنت « العربى »

بدت السعادة على وجهه ، وقال : الله ينور عليك .

طلب الخال أن يواصل الرص ، فسأل « العربى » : والأستاذ له فى . . ؟

قال : طبعا . وأخرج ورقة الدخان من جيبه ، وألقاها فى حجر الخال ، فانتفض فجأة ، وقال : الدخان كثير . قال « العربى » : أرص لك كرسى قص ؟

قال : أدخن الآن باكو . قال « العربى » : جوزة خالك عليلة . . أجيب لك جوزتى ؟ قال : لسه حتروح ؟ رد « العربى » : بانطّ من الحيطة على دارنا ، ضحك الخال ، وقال : زى الجن ! ركن « العربى » الجوزة على الدولاب الذى برزت من فتحته صورة قديمة للجد ، وقبض على ذيل جلبابه بأسنانه ، ونزل من المرتفع الذى تقام عليه الحجرتان ، أخرج رأسه ليتابعه ، فاستراح للنسمة الخفيفة التى لمست وجهه ، راه يتسلق ظهر الفرن ، ليخرج من العشة إلى حائط داره المجاورة ، لمح الخالة على وضعها بين الغطاء ساندة رأسها على كفها ، وزوجة الخال سحبت الوابور من تحت الدولاب ، وراحت تكبسه ، فخرج خيط رفيع من الجاز ، بلل رأس الوابور ثم حكت عود الثقاب فى جانب العلبة وألقته فوق الرأس المبلل ، وأعطت البراد للبنت الصغيرة لتملأه ، والخال سحب « الكوالح » من تحت الكنبه ، وكدسها فوق الوابور ، فازداد وهج النار ، وفكر فى الخالة التى كانت ـ بعد وفاة الجد تتلهف لرؤيته ، فتترك حجرتها لتقوم هى بإعداد الشاى والدخان ، وتحكى عن أيام أبيها التى لن تعود ، ويلاحقها الخال كمن يردد مقاطع الأذان عقب المؤذن : الله يرحمه . . الله يرحمه . .

أمال رأسه إلى الخال ، وهمس إليه : خالتى زعلانة ؟

عدلت زوجة الخال الشاش على رأسها ، فشخللت أساورها ، قالت لا . . أبدا .

سألها : ماجيتش تقعدى معنا ؟ قالت بتسمع القرآن .

قال الخال : الواد « العربى » عفريت

قال له : لم يكن صاحبك . قال الخال : طول عمرنا أصحاب .

وكانت زوجة الخال تتابع الحوار بأذنها وهى منكفئة على الوابور ، عاد « العربى »

يلهث ومعه جوزة صفيح ، قال : شوف ياأستاذ . قال : زى الثانية .

قال : « العربى » : لا . . شوف الغابة . قال : غيّر ميتها .

وأشار لواحد من أبناء خاله : افتح الشباك يهوى .

قال الخال : قفلناه علشان الميكرفون .

لما عاد « العربى » بالجوزة يقطر الماء من أسفلها ، وبقعة من الماء انتشرت على جلبابه ، قال للخال : الحنفية خربانة . قال الخال : بكرة أصلحها .

جلس مكانه بين السرير والدولاب ، جمع طرف جلبابه ، فظهر سرواله على سيقان نحيلة ؛ غلق ضلفة الدولاب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المفتوحة ، فاختفت صورة الجد الخالية من الإطار خبطت زوجة الخال يده ، وسحبتها بنعومة وبطء وقالت : سيبها . . ما بتتقفلش . ابتسمت له ، فقال « العربى » وهو يخبطها على كفها : حاجتكم كلها خربانة . ونظر إلى الأستاذ منتبها بعد فوات الأوان إلى أنه قام بحركة مكشوفة .

قال الخال : عايزة مسمارين .

قال العربى : اديها مسمارين .

وأراد أن يغمز بعينه ناحية زوجة الخال ، فانتبه لوجود الأستاذ .

وقف ابن الخال على السرير وقال : أروح أشوف المسلسل .

سأله أبوه : خلصت الواجب ؟

قال الولد : خلّصت .

فقام أخوه وراءه ، وبكت البنت الصغيرة ، فدفعتها أمها غاضبة : فى داهية .

سأل الأستاذ : اشتريت تليفزيون ياخال ؟

رد « العربى » بيتفرجوا فى تليفزيون .

قال الخال : عنده كل حاجة .

قال « العربى » : البركة فى الجرى .

سأله الأستاذ : جرى ؟

قال « العربى » ما خليتش بلد .

ضحك الخال وأمسكه من فخذه ، ثم أدار وجهه : بقول لك عفريت .

ولما قالت زوجة الخال : هو قعيدة زى ناس ؟

ومدت يدها بكوب الشاى ، رفعه إلى فمه ؛ فتحركت بطنه لرائحة الجاز التى تصعد مع دخانه الخفيف ، ركنه على المشمع ، وأسنده بعلبة الدخان الفارغة ، وشعر أنه لن يقدر على شرب الدخان معها ، وتمنى لو يعود إلى المقهى ، ليقعد على كرسى الرصيف فى نسمة الليل .

القاهرة : يوسف أبو ريه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة

الكابوس

سيأتى سمير فى الغد ، لقد قال لها هذا اليوم .

أول مرة يزورها فى بيتها .

جدتها العجوز تجلس فوق درجة السلم الكبيرة ، غير مدركة لشىء حولها .

ترفعها « دولت » كل ليلة عن الأرض ، تضع ذراعها حول رقبتها وتسير بها حتى السرير .

اختلف أبوها مع أمها وانفصلا . ذهب كل منهما إلى طريق ، تزوج ـ هو ـ ولم تعد تراه ، لا يزورها ولا يسأل عنها ، وانشغلت أمها بزوجها وأطفالها منه .

ولم يتبق لدولت سوى جدتها . لم تكن عجوزاً هكذا وقتها . كانت أكثر طولا وعرضا ، أجل ، انحنى جسدها الآن وضمر . عندما تنام لا تشغل سوى جزء صغير جدا من السرير .

تأتى دولت من المدرسة الابتدائية ، تحمل حقيبتها الممتلئة بالكتب . تجد جدتها تجلس أمام باب بيتها ، ومعها بعض النسوة .

ـ سكان البيوت المجاورة ـ تضع دولت الحقيبة أمامهن ، تنحنى ، تقبلها جدتها وتربت فوق ظهرها ، ثم تجلسها فوق فخذها ، رغم جسد دولت الممتلىء .

تردد امرأة من الجالسات :

ـ صارت دولت ابنتك !

ـ نعم . أحس أنها آخر العنقود .

الكل انصرف عن الجدة العجوز الآن ، ابنها الذى يكسب كثيرا لا يزورها إلا فى الأعياد ، جاءها منذ شهور طويلة بعد أن اتصلوا به فى العمل ، قالوا له « أمك مريضة جدا » .

اشترى لها الدواء ، ولم يأت حتى فى اليوم التالى للاطمئنان .

اكتفى بالاتصال تليفونيا ، وأوصى دولت بأن تعطيها الدواء فى المعياد . وابنتها تسكن الدور الأرضى من نفس البيت ، لكن لا تصعد إليها إلا نادراً . فهى مشغولة بزوجها وأطفالها الكثيرين .

وأم دولت تسكن بعيدا ، زوجها أصغر منها ، لهذا تدلله ، وتتمنى رضاه ، ولا تستطيع أن تتركه أبدا .

كلما زارتها دولت ، قبلتها قائلة :

ـ عندما تموت جدتك ، ستكون حجرتها لك ، تتزوجين فيها .

أول مرة قالت لها هذا ، حزنت ، غضبت من أمها .

هى لا تصدق أن العجوز ستموت وتتركها وحدها .

لقد دللتها ، اشترت لها كل ماتتمناه ، أنفقت عليها كل ما تملك ، إيجار البيت الذى تملكه ، والمبلغ الشهرى الذى يرسله لها ابنها الذى يكسب كثيرا ، تشترى لها الفاكهة مهما ارتفع ثمنها ، والملابس تشتريها لها دون أن تطلبها .

بل هناك أشياء أخرى تخجل دولت من ذكرها . فالعجوز خافت أن تجرى لها عملية الختان ـ مثل سائر فتيات الحارة ـ خشية أن تتألم . وعندما لامتها بعض النسوة ، وحذرتها من عواقب هذا ، قالت :

ـ لا أستطيع أن أراها تتألم .

فكيف تتمنى أمها موتها لتحصل ـ هى ـ على الحجرة لتتزوج فيها . لكن سمير سيأتى فى الغد ، أجل ، هكذا قال لها وهما يتناولان الطعام فى حجرة التليفون .

العمر مر سريعا ، ولم تحس به ، كل فتيات الحارة ـ اللاتى فى نفس عمرها ـ تزوجن ، وهى كما هى .

قامت دولت ، الظلام يبدأ فى الدخول من خلال فتحات النافذة المواربة ، والعجوز مازالت تجلس فوق درجة السلم الكبيرة تعودت تلك الجلسة ، فهى كانت تتناول طعامها أمام باب بيتها صيفا وفوق تلك الدرجة الواسعة شتاء ، كانت دولت تجلس قريبا منها يتحدثان معا .

أدخلتها مدرسة أجنبية ، ودفعت من أجل هذا مبلغا كبيرا من المال ، لكن بعد سنوات لم تستطع أن تسدد مصروفاتها الغالية ، أجرة البيت كما هى ، والأسعار فى ازدياد . وخالها الذى يكسب كثيرا ، لم يزد المبلغ الذى يرسله لأمه منذ سنوات طوال .

اكتفت دولت بالثانوية ، وعملت فى مصلحة التليفونات ، ترد على المكالمات زميلاتها تزوجن ، واللاتى آتين بعد ذلك تزوجن أيضا . وهى كما هى .

أرادت أن ترى وجهها فى المرآة . لم ترجيدا ، لأن الظلام ازدادت حدته ، أضاءت المصباح ، رأته ، ليس دميما ، شعرها مجعد ـ حقا ـ لكنها تكويه من وقت لآخر . لم يحس أحد ـ فى العمل ـ أنه مجعد . لكن وزنها زائد ، تلك مشكلتها . عودتها جدتها على الإكثار من الطعام . كانت تلح عليها .

ـ كلى يادولت .

وتأكل دولت .

العجوز مازالت فوق درجة السلم الواسعة .

عادت دولت ـ منذ شهور ـ وجدتها فى مكانها ، لم يدخلها أحد . ثارت على خالتها ـ التى تسكن الدور الأرضى ـ قالت لها « حرام عليك ـ لم يكن الوقت متأخرا كما هو الآن .

تعرف هى سمير منذ أن عملت فى التليفونات ، عندما استعرضت الرجال الذين لم يتزوجوا فى « المصلحة » رفضت بشدة أن تفترضه زوجا . قالت لنفسها : « لو بقيت العمر كله بلا زواج فلن أتزوجه . . شديد النحافة ، ملابسه « مكرمشة » دائما ، وحذاؤه باهت متسخ . يقولون إنه يلعب بمرتبه القمار »

لكنه يضحك دائما ، كل النسوة والبنات يضحكن معه . ينادينه باسمات « سمير ، سمير » ، يعطونه الحلوى والسندوتشات أحيانا . . يطلبن منه أن يشترى لهن « خيوط التريكو » وملابس الأطفال ، وعلب الصلصة . ويشتريها فى المساء ، ويأتى بها لهن فى الغد

والرجال يعطونه السجائر ساخرين من بقائه هكذا بلا زواج ، ساخرين من ضياع ماله فى القمار .

لكن العمر يمر وهى كما هى ، تتزوج فتيات الحارة الأقل منها سنا . واحدة وراء الأخرى . وهى لم يسأل عنها أحد .

تسمع فى كل يوم عن فتاة تخطب فى المصلحة ، وهى مازالت « الآنسة » دولت قالت زميلة لها :

ـ لا تصلح لسمير سوى دولت .

كانت تسخر وقتذاك . ولم تكن تعلم أنها تسمعها من حجرة التليفونات المغلقة .

أرادت دولت أن تبكى ، لكنها تماسكت . زميلتها محقة فيما تقول . . لا يصلح لها سوى سمير . هو ليس دميما . كما أنه موظف قديم وراتبه كبير . القمار ؟ تستطيع أن تثنيه عنه . لو تزوجته ستحبسه فى البيت ، ستشترى ملابسه بنفسها . ستجعله أكثر أناقة من كل رجال المصلحة .

لو ظلت العجوز فوق تلك الدرجة حتى الصباح ، لن تئن ، ولن تصيح تستطيع أن تقضى حاجتها فى مكانها . لابد أن تسرع إليها ، تحملها وتضعها فوق السرير .

اقتربت من سمير . أعطته حلوى كما تعطيه النسوة اللاتى يُردْن أن يشترى لهن خيوط التريكو وملابس أطفالهن . دعته لكى يجالسها .

لأول مرة تطيل النظر إلى وجهه ، لم تكن تدرك ـ من قبل ـ أن عينيه بهذا الجمال . وأن فمه صغير وشفتيه شديدتا الاحمرار .

ضحك كعادته ، ظنها تريد شراء بعض الأشياء مثل زميلاتها .

سألته عن حاله ، قال إنه يسكن مع شقيقه المتزوج ، بعد أن طرد من الحجرة التى كان يسكنها لأنه لم يدفع إيجارها لمدة طويلة . وإن شقيقه يضيق به الآن .

فى كل يوم تسأله عن حال شقيقه . وفى كل يوم يحكى لها عن التطورات بينهما ، لقد ضاق به ، وهدده بأنه سيطرده .

سألته :

ـ وماذا ستفعل ؟

ضحك أيضا وقال :

ـ سأسكن فى فندق رخيص إلى أن أجد حلا .

سمعت صوت خالتها تنادى أطفالها من الحارة ، قالت لهم :

ـ كفى لعبا ، الساعة تقترب الآن من العاشرة .

العاشرة الآن ؟! الوقت مر سريعا . والعجوز مازالت تجلس فوق الدرجة الواسعة . الجو ازداد برودة . وهى عجوز ضعيفة .

آه ، لو أحسَّت خالتها بأن أمها مازالت فوق درجة السلم للآن . أو رآها أى ساكن هكذا . ماذا سيقولون عنها ؟

لقد أحس سمير بها بعد ذلك . مد يده فى حجرة التليفون ، لمس يدها ، ودت لو ضمته إلى صدرها الممتلىء وقبلته . لكنها خشيت الزميلات الكثيرات حول الحجرة ، وخشيت التحقيق والجزاء والفضيحة لو رآها أحد . كما أنها لا يجب أن تبدو أمامه متلهفة عليه .

عندما سألته « لماذا لم تتزوج ؟ » ضحك بصوت مرتفع ، كأنها قالت نكته .

ـ أنا أتزوج ؟!

خشيت أن يخرج من حجرة التليفونات ويفضحها . ستفهم النسوة الخبيثات مقصدها ، لكنه لم يفعل . قال :

ـ لا تنسَىْ أننى أسكن فى فندق الآن

ليس مهما ، كل شىء يمكن تدبيره ، المهم أن يوافق على الزواج منها .

ـ المشكلة مشكلة السكن فقط ؟

ـ إنها مشكلة الدولة كلها ..

قالها وخرج . شردت هى ،

منذ أيام ، زارت جارة لها ، تسكن فى البيت المقابل لبيت جدتها . قالت لها إنها ستخطب الخميس القادم . تلك الجارة اصغر منها بكثير . لقد كانت دولت صديقة لأختها الكبرى . أختها تزوجت ، وتأتى لزيارة أمها ـ الآن ـ ومعها أطفالها الثلاثة .

لم تحس بنفسها ، بكت . التفت الأسرة كلها حولها . أحست هى بالخجل . قالت :

إننى أبكى من الفرحة .

قالوا :

ـ أجل . نعلم هذا .

لكنهم . كانوا يحسون أنها تبكى من الغيظ ، ومن الحسرة على نفسها . حاولت أن تنقص وزنها شيئا ، دون طائل ، أتعبتها التمرينات الرياضية والرجيم أفسد معدتها ، ووزنها كما هو .

لكن سمير وافق على أن يتزوجها .

زارت أمها ، فجدتها التى ربتها وتحبها كثيرا . ما عادت تحس بشىء حولها . وخالتها مشغولة بأطفالها الكثيرين الذين يملأون الشارع قالت لأمها ما حدث .

ـ ألف مبروك ياابنتى . ومتى سيأتى ليخطبك ؟

ـ لكن ياأمى ، هو لا يملك سكنا . ولا يستطيع أن يوفر مقدم الشقة . ربتت على ظهرها قائلة :

ـ يخطبك . وجدتك لو عاشت اليوم لن تعيش غدا . حجرتها واسعة ، تتزوجين فيها .

لم تضايقها كلمات أمها هذه المرة . فالموت أمر محتم . وكل الناس تموت .

مرت شهور ، والجدة كما هى . تصحو فى الصباح ، تجلسها دولت تضع صينية الشاى فوق الفراش . تضع الخبز « المغموس بالشاى فى فمها . تلوك العجوز بفمها الخالى من الأسنان . لكنها لا تموت . قبل أن تذهب دولت إلى العمل تجلسها فى مكانها فوق درجة السلم الكبيرة . وتوصى خالتها ، وأطفالها ليعتنوا بها .

وتعود بعد الثانية ، تجدها كما هى لا يتحرك فيها سوى العينين . سمير ارتدى قميصا جديدا ، قال لها :

ـ لقد وفرت ثمنه .

ـ كسبت فى القمار كثيرا ؟

ـ لا . لم ألعب منذ أيام .

لكن متى سيتزوجها ؟ العجوز عاشت كثيرا . تزوجت وأنجبت . وموتها الآن ليس غريبا . ولن يكون مفاجأة لأحد .

أحست دولت بارتعاش جسدها ، أسرعت إلى النافذة المواربة . أغلقتها ، الأطفال دخلوا بيوتهم لينامو ا ، وجدتها فى مكانها .

سياتى سمير فى الغد . قالت له :

ـ لا تخش شيئا ، الحجرة موجودة ، لكن العجوز تموت . ضحك كعادته ، ظنها تمزح . أكدت بأن ما تقوله حق .

إنها تخشى أن يضيع سمير منها ، أن يتزوج ، إنه يبتعد الآن شيئا فشيئا عن القمار ، ولم يعد يرتدى ملابس مكرمشة .

قد يحلو فى أعين الفتيات اللاتى لم يتزوجن . وقد يفضل واحدة منهن عليها .

سمعت دقات عنيفة فوق باب خالتها ، إنه زوجها قد عاد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من عمله تعرف هى دقاته العنيفة . الساعة تقترب من منتصف الليل . والعجوز فى مكانها .

فتحت دولت النافذة فى حذر ، نظرت إلى الحارة ، وجدتها ملفوفة تماما بالظلام . الأطفال الأشقياء كسروا « المصباح » الوحيد الذى كان يضيئها ـ

أمها ستأتى فى الغد لمقابلة سمير ، سيتفقان على كل شىء . قالت لأمها أن يأتى لبيتها ، تتفق معه هناك ، لكنها رفضت ، خافت من أن تغضب زوجها .

لو جاء سمير كما اتفق ، ستقترض أدوات مطبخ خالتها . لا شك سيأتى مع أقاربه .

أطفأت المصباح وسارت إلى درجة السلم الكبيرة ، كانت العجوز مستلقية على جنبها وتخرج غطيطا منتظما ، والحشية التى تجلس فوقها ـ دائما ـ بعيدة عن جسدها .

خالتها نامت ، والحارة ساكنة ، امتدت يدا دولت ، لامست جسد العجوز . وجهها كان يستند على الحائط ، لم تره دولت . ارتعشت يداها ، لكنها أسرعت بلمس الجسد الضامر . ثم دفعته فى عنف .

تدحرج الجسد كصرة سوداء فوق الدرجات . لم ترَ دولت شيئا .

أسرعت إلى الحجرة فى الظلام ، أغلقت الباب ، وصعدت فوق السرير نامت ، أحسّت بارتعاش جسدها .

لم تقو على لمس الغطاء ، ظلت هكذا حتى الصباح .

الاسكندرية . مصطفى نصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حجاج حسن أدول

قصة

ليالى المسك العتيقة

زمان ، زمان . جنوب الجندل . كانت لياليا تنفث البخور وتزفر المسك . ترتوى من كوثر النيل . تطعم من شريط الخضرة . سماؤها صفاء . هواؤها شفاء . تولد الأجيال فيها بعد الأجيال . . سُمْر . . سُمْر . فنقول : نحن سُمْر سُمْر ، لأن شمسنا فى وجوهنا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وييك . . . وييك . . . وييك

زوجتى تصرخ ألما فى الداخل . حوش البيت واسع ، تحت السقيفة أجلس وحولى الأهل . القلق نصل مثلج فى القلب . الرجال المجربون يشجعوننى بكلام معاد . . لا تقلق . . تلك آلام أول ولادة . . حالاً ستكون أباً يا ابن زبيدة . يقول لى عمى بلال . . خذ هذه السيجارة ، دخنها وتعلم الصبر . يميل على أذنى . . إنها محشوة بأحلى بانجو مخدر .

صرخات وأنّات (صالحة) من الحجرة البعيدة تأتينى وتكوينى . تولول تسير فى الحجرة مستندة على كتفى أمها وأختى حتى يهبط الجنين ويستريح البطن المنتفخ . الماء يغلى على الحطب . لن تستلقى صالحة ، إلا حين يحين الحين . وأنا أنتظر لأسمع نغمة أحلى من رنّات الطنبور . .

واااء . . . واااء . . . واااء

تووم ــ تك . . . توم ــ تاك . . . تووم ــ تك . . . توم ــ تاك

فى بيت عريس تلك الليلة ، كان الشباب يسخنون الدفوف ، يجربونها . . تووم ــ تك . . توم ــ تاك . غازلت صالحة بالاثنين ، بأدب . . وبقلة أدب . حتى من قبل أن نكتمل . طاردتها كثيرا ، تعاجبتُ أمامها فى كل عرس ورقصت لها غنيت لها موال (نهدك برتجان مُدَرْدَمْ ــ ١ ــ) فصدرها عجيب مريب . يخبلنى بالرجرجة . يسهدنى ليلا ولا يريحنى نهارا .

شفق الغروب سطَّر الأفق بالحمرة السائلة . تجرى صبية على رمال الخور صاعدة إلى النجع . تفاجأ بى خلف جدار . تقع علىَّ فأفرح وتفزع هى صارخة بسم الله . عرقها سايل على الوجه والعنق فروع نيلية . أزاحتنى لاعنة :

ــ داهية ، مشتعل دائما يا ابن زبيدة

أجيب كما أجيب فى كل مرة

ــ لا تلومينى ، لومى الشمس التى لا تتركنا نبرد . لومى الرجراج المدردم

تخفى بسمتها وتواصل العدو بعيدا وصوت الدف الساخن يدوى مع قلبى . .

تووم ـ تك . . . تووم ـ تاك . . . تووم ـ تك . . . تـوم ـ تاك

ويبيك . . . ويبيك . . . ويبيك

فى الحجرة تصرخ ويبك ويبك . تستند على الكتفين . . تسير مجهدة ذهاباً وايابا . أنا فى الفناء انتظر بزوغ المنتظر . ابن أختى (حبُّوب) يسير بالكاد . يقع . تشلّح فانكشف جسده الأبنوسى . ضحك لى . ذكورته ضئيلة لينه . سفّت الرمال .

ذهبت إليه . . أنت يا ولد تكبر ابنتى التى ستولد حالا بثلاث سنوات . ترى . . هل ستكون من نصيبك ؟ هل ستطاردها فى الكثبان الرملية وخلف سيقان النخيل ؟ ترى . . ستغازلها بأدب وبقلة أدب ؟ حبُّوب . . سيكون نهدها مثل أمها . .

ثقيلا . فهل ستغنى لها (نهدك برتجان مُدَرْدَمْ ؟) . حملته وهو مازال يضحك لى ويحاول أخذ السيجارة من فمى . يا ابن الكلبة . احذر أن تعاكس ابنتى بقلة أدب . صفعته على فخذه بحب . أفقت على موجة ساخنة من الصريخ . .

ويبيك . . . ويبيك . . . ويبيك

هووى . . . هووى . . . هووى

فووزية هووى ، بنيامين هووى ، صالحة هووى ، ابن زبيدة هووى . ننادى بعضنا أطفالاً ، بنين وبنات . نعدو على رمال ناعمة لامعة . نسحب الهواء النقى فى صدورنا . نحصى ألوان النيل الساحر . من فوق الجبل يمتد ملتفاً فى زرقة السماء . أجزاء منه صفائح فضة تعكس شعاع الشمس . نقترب منه هابطين ، يغمق لونه إلى درجات من الرصاصى المتداخل . نجرى إليه فى شريط الخضرة ، ينقلب إلى غرين بنى . نسبح فيه عرايا . نجده شفافا نقياً . الله عليك يا نيل ! يا بحر النيل ! نتعب فنتمدد على الضفتين . تتلقفنا شمسنا فى حضن ساخن . يتفاعل فينا شعاعها الملهب الملتهب . ننمو سراعاً . الصبايا مبكرات يبلغن فى سنين معدودة . يتخاطفهن الجيل السابق لهن فى أعراس أسطورية لا يعلم لذة مذاقها إلا من سبح فيها . يا الله يا بديع . . حلوة حارة هى أعراس الجنوب !

وعلى ، السرير الجريدى . تلتف الساق بالساق . ويتوالى العناق بعد العناق . تنتفخ البطون . تنزلق الأجيال داكنة البشرة . يحملون شموسهم فى وجوههم صارخين . .

واااء . . . واااء . . . واااء

ي ي ش ش ش . . . ي ي ش ش ش . . . ي ي ش ش ش

وشوشة شواشى الذرة وأغصان الشجر وسعف النخيل المبارك . وشوشة موجات النيل ، أسئلة لا تنتظر أجوبة

مرت الفيضانات سريعة سعيدة . زغردت النساء لسباطات البلح المنيرة . مواسم مواسم . كبرنا فى لمحة يا صالحة . تقدم الكثير إلى أبيك . ومن كل الشباب المهووس بالمدردم . لم تبتسمى خجلاً الا عندما عرضوا عليك اسمى . . ابن زبيدة . فكنت لى وكنت لك . واقترب البعيد فى الزفاف السعيد . .

الأيام تأتى من حيث لا ندرى
الأيام تذهب الى حيث لا ندرى

ي ي ش ش ش . . . **ي ي ش ش ش . . .**
ي ي ش ش ش

يا سلـ اااام . . . يا سلـ اااام . . . يا سلـ اااام

وفى العشيات المقمرة . أكون وسط أترابى . صبيان مفتونون باخضرار شواربهم . تحت شجرتى الدوم نجلس . نغنى مواويل (أسمر اللون) نتغزل فى سماحة وجة الحبيبة السمراء التى لا نسميها . وأنت وسطهن على قرب تحت الجميزة الباسقة . عذارى متشوقات هائمات مع دقات الدف الحانى . كل منكن تفهم أن الموال لها . . وحدها . الوجد فى بحة صوت مغنينا الذى يبدأ كما يبدأ كل موال جنوبى الجندل :

يا سلـ اااام . ينتشى كل سامع . ولم لا ؟ والسلام اسم من اسماء إلاهنا ؟ الحرارة المنسابة منا ونحن بعد كل مقطع نردد :

يا سلـ اااام ، فى حرفنة . حرف النداء يأخذ جذوعنا للأمام بميل ناحيتكن . السين من السلسبيل . واللام مشبعة من الأفواة الرطبة . الألف الممدودة صاعدة موازية لصعود أياد حتى الأصداغ بجوار العيون المسدلة الجفون . تتهدل أكمال جلابيبنا مع ارتخاء حرف المد المنغم وقد حمل معه الكثير من سخونة الحشى فيخفف عنا . ومع الميم القاطعة ،

الأيادى سريعا لتبين كمْ . . كم طربنا . نأسر قلوبكن فتفيض بينابيع العطاء المكنون . تهتز أجسادكن يمنة ويسرة . تصفقة بالكفوف المخضبة بالحناء مع ايقاع نداء دُفنا . تتجاوبن معنا ورغم مساحة الرمال الفاصلة بين الدوم والجميز ، نكون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واحدا سابحا فى بحر الليل الجياش ، نذوب ، نترقرق صبابة ، نتشوق إلى الحلال فى يوم علّه قريب المنال .

جداتنا على بعد قريب . يرون أشباحنا واضحة . يبتسمن ، يهمسن لبعضهن عن أيامهن التى ولّت كحلم لذيذ رحل قمره وتبخر إثر نهار مشمس واحد . ينظرون إلى الأجيال النامية الزاهية . وبتجاربهن القديمة وحنكتهن يتوقعن ما سيكون بيننا يوماً قائلات : فوزية لبنيامين . نبرة ــ تارى لحسين ابن العمدة . هواً لسليمتو . صالحة لابن زبيدة . .

يا سلـ اااام . . . يا سلـ اااام . . . يا سلـ اااام

واااء . . . واااء . . . واااء

يا بشرى . ألقيت سيجارة البانجو وقفزت صارخاً . . العاطى هو . الرازق هو . والحميد هو . ضحك عمى بلال أبو صالحة قال : ألم أقل لك اصبر ؟ عانقنى باكياً . خرجت أختى (مسكا) من الحجرة مبللة بالعرق . ارتمت على تقبلنى . . مبروك علينا ابنتك زبيدة

واااء . . . واااء . . . واااء

سُمْر . . . سُمْر . . . سُمْر

سمر الوجوه . صافو العيون . بيض السن . والضمائر . ألواننا أحادية محددة . لا نعلم شغل « الملاوعة والبين بين » . تاج العمامة ناصع البياض كفلق النهار . الجلباب كوب جليب يغلفنا . المركوب أحمر صريح . الصبايا كحلهن أسود أسود . الوشم داكن داكن . الذهب كهرمان يتدلى من الأذنين أقراطا ومن الأنف . معلق على الجبهة حلية على حلية . ومن العنق يلمع وسيسقط مداعبا الصدور البرية . أصفر محظوظ ، يغوص ويتواثب بين تلال الكاعب والمدردم . ومن جانبى أعلى الرأس ، حلية (الشاو ــ شاو) معلقة . حزمتان من خيوط الذهب المحبَّب . وتبعا لحركة الرأس تتراقص متصادمة مع بعضها وتشوشو . .

شاو . . . شاو . . . شاو

تراااك . . . تراك تراك . . . تراااك

كفوف ناس البلد ، ناس الجنوب ، ناسنا يا صالحة . فى رقصة الكف يصفقون بقوة وحماس . التراااك منغمة تطرقع فى الساحة الرملية المنارة بشفق الكلوبات ولجين القمر . تراااك . . . تراك تراك . . . تراااك . كل ناس البلد هنا . رجال ، نساء ، أطفال ، شيوخ ، مرضى . فلا تفوت ليلة العرس من جنوبى أبدا . أرواح الأجداد تطل علينا راضية من تل الجبانة . تهبط الينا مع اشتعال الرقص . يخالطوننا فى شوق . ليلة العرس تجذب ناس البلد ؛ وحتى ناس النهر ساكنو القاع اللدن يخرجون من الماء مبللين زرافات ووحدانا . نحس بهم تحتنا على الضفتين يركبون الغصون والسعف . صغارهم على الشواشى فترقص بهم نشوى وهى تنثر قطرات الندى لآلىء . . ي ي ش ش ش . . . ي ي ش ش ش . . . نصيح بهم . . (مرحبا آمون نتو) مرحبا يا ناس النهر . يشتد الرقص اشتعالا فننجذب فى حالة وجد منظوم نشط غارق فى دوىّ وهدير الدفوف تووم ــ تك . . . توم ــ تاك . وفرقعة الكفوف تراااك . . . تراك تراك . . . تراااك . . . نربك أهل التيار ، أهل العالم السفلى يا حفيظ يارب ! ينفلتون من أسفل قاع الجبل حيث القاع منطلقين كالقذائف الشيطانية من فوهات القمم العالية . يدورون فى الأركان النجومية ، ثم ينتظمون على دائرة الأفق راقصين مغنين فى شعوذة . يغطنا محيط صداهم المرتد من الآفاق اللانهائية . ونحن فى رهبة ووجل نغنى أغنية الدعاء . . يا الله يا ساتر . اجعل بيننا وبينهم ساتراً .

فى ليلة كهذه ، كانت ليلتنا يا صالحة . أمك العجوز وأختى وسط النساء تنثران الملح وماء كولونيا بنت السودان أصيل . يرقصن رقصة البلطى فى جمع النساء المغطى بالحلى . الذهب أشكال وأنواع . يبرق ويشوشو . . شاو . . . شاو . . . شاو . والخلاخيل الفضية فى الأقدام رنينها صاف . . كلين كلين . . . كلين كلين . . .

لا يوجد جسد هامد ، لا يوجد قلب خامد ، لا يوجد بدن لا يشارك ، لا يوجد لسان لا يبارك . لا توجد روح ثقيلة . رقص الجميع مع الجميع . . للجميع .

زفُونا يا صالحة الصدر . عريس وعروسة . زغاريد النساء اغاريد نحاسية تجلجل . .

للى للى للى للى للى للى

دِرْجِدْ دِرْجِدْ . . . دِرْجِدْ دِرْجِدْ

أتانا العفيَّة تجرى بها على الفاصل الصخرى . أرسلتها أمها إلى النجع المجاور . وهى عائدة ، كنت أتربص فى ثنية الجبل . تخطتنى . تتبعتها فسمعت وقع حوافر حمارى . رأتنى ، ضربت أتانها بعنف فبرطعت على الأرض الصخرية

أربعة أزواج من الحوافز تطبل . . درجد درجد . . . درجد درجد . . . درجد درجد . انحرفت غربا وحمارى متحمس للمطاردة . بداية الكثيب الرملى . الأتان أبطأت صاعدة . وثبت أرضا . طرف جلبابى بين أسنانى . فى خطوتين كنت اضع كفىْ على مؤخرة أتانها وأقفز فاتحا ساقى . سقطت على ظهر المطية ملاصقا لظهر صالحة فصرخت

ـ يا مفضوح يا ابن زبيدة !

تحاول فك يدى من خصرها وهى تلعننى . الأتان تدور بنا حول نفسها . تعبت صالحة

ـ يا ابن زبيدة ، يرانا ناس البلد وفضيحة

ـ لا يرانا الا الله

ـ اذن سيحرقك الله

ـ سيسامحنى عندما أتزوجك على سنته وسنة طه الرسول

ـ هِا هِا

ـ نهدك برتجان مدردم

وما كدت احتوى المدردم فى راحتىَّ حتى مزقتهما بأنيابها العاجية وناولتنى لكزة جانبية . ارتخت يدای . وبدفعة من ظهرها سقطت أرضاً منحدراً لأسفل الكثيب والرمال تدخل فى عبى . ضحكت صالحة

ـ هِا هِا . لتتعلم الأدب يا ابن زبيدة

هِا . . . هِا هِا . . . هِاهِا

كوم ـ بان ـ كاش . . . كوم ـ بان ـ كاش

الأطفال شاركونا الفرحة . على صفائح قديمة يطبلون ويغنون ويرقصون فى الفناء . الرقص والغناء فى دمائنا وراثة يا أطفال القبيلة . تزيدوننا فرحة على فرحة ميلاد زبيدة . دخل الفناء طفلان جديدان . أحدهما يحمل بيديه زجاجة من طرفيها . والثانى بملعقتين يضرب عليها فى براعة . .

كين كلين لين . . . كين كلين لين . . . كين كلين لين

إم م م م . . . إم م م م . . . إم م م م

تزوم العروس رافضة حتى الحديث مع عريسها المتوهج . تريده أن يدفع لها (فتح الكلام) جنيه « مجيدى » صحيح .

على السرير ملمسك مخمل ليلى . جسدك دلكوه من البكور بزيت (الدُلكة) الحلفاوى الذى يحوى خلاصة الزيوت والأعشاب الزكية . فتتخلل الخلايا وتشبع البدن . تشع منه . تصبح الدلكة فيه لا عليه . المس الكتف بالاصابع المتوترة فتنزلق إلى المدردم ثم البطن السليم . تضحكين كانى أدغدغك فتتراقص ضفائرك الأفريقية التى تلمع بالدهن . آه ، آآآآه يا بنت الناس . الله عليك وعلى أمك ذات الخبرة ! علمتك أصول الأدب بين الناس ، وأصول الملاعبة على العنجريب . تفاجئيننى يا صالحة . أنت دوامة تهدر فى موسم الفيضان . موجة عطيَّة معطاءة . فرسة دهماء ثقيلة . ترمين بفخذك بعيدا فيشهق قلبى من رؤية الخلف . حلاوة جسدنا لا تحتاج إلى ثناء . حلاوة جونا لا تحتاج الى غطاء . البيت واسع واسع . دافىء دافىء . والسكوت فى السكون متعب من بعد عرس أطرب الكون .

صالحة . . كنت شقية عفريتة فى طفولتك وصباك . ثم تحولت للطيبة السمحاء حين استويت . وافق أبوك بلال فأخذتك بالحلال . وإذا بك معى تعودين عروساً شقية . عدت يا صالحة للشقاوة المباحة . عدت والعود أحمد . .

آآآآ . . . آآآآه . . . آآآآه

تودي ي ش ش ش . . . تودووش ش ش

فى الظلام نقفز فى نيلنا الكوثرى . نتطهر بأطيب طهور ، سلسبيل نهرنا النابع من الجنة . الماء الرقراق له حكاية معنا . يمر على جسدينا فتمتص غرينه وطينه المخصب . مسامى تجذبه لعظامى . . لنخاعى . . فيقبِّل ماء الحياة ويعطيه دكنته . أما عودك الحلو فيحضنه فى تمهل وترو . يتشربه حتى يرتاح فى الأرحام . يعانق البدء ويصبغه . ينمو به ويتكور معه فى البطن ككثيب لطيف خفيف . ويوم يشاء الله ، يخرج الينا حبنا طفلا مباركاً ، الشمس فى وجهه يصيح . .

واااه . . . واااه . . . واااه

كوم ـ بان كاش . . . كين كلين لين . . . كوم ـ بان كاش

أقف بجوار السرير . صالحة ترقد عليه منهوكة تبتسم بالرضا تحتضن طفلتنا زبيدة . أبوها بلال بجوار أمها فى حبور . حبُّوب على كتف امه يصيح فرحا ويفرفص راغبا فى الهبوط إلى ابنتى ليداعبها . سميت باسم الله وحملت ابنتى على يد وحبوب على يد . همست فى أذنه

ـ حبوب ، ابنتى ان وهبها الوهاب لك . خذها بالحلال . غن لها . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نهدك برتجان مدردم . سيعجبها ذلك . وعندما تصرخ الوبيك ويك .

وتـأتى لك بـالوااااء واااء . سمـراء . . سمراء . شمسهـا فى وجهها . . سمُها باسم أمك . . مسكا الطيب .

الاسكندرية : حجاج حسن أدول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصتان

قصة ١- شقاوة ٢- يوم العيد

(١) شقاوة .

تهيأ الصبى لدى رؤيته الأوتوبيس يبطيء ، فخلع «مداسه» ، وشمر إلى فمه جلبابه ، و . . تعلقه قافزاً بمؤخرته . انزلقت مؤخرته . أعاد المحاولة وهو يحجل ويقفز ممسكاً بيديه حتى تمكّن فألصق جانبه بظهر العربة ودلّى رجليه زادت السرعة فارتبك الولد وتزحزح . زدت من سرعة عربتى فلا أفقد متابعته . توترت قسماته ، دس الشبشب بين فخذيه وجهد فى أن يعدل جلسته . تزايدت السرعة فراحت العربة تنشال فوق المطبات بكاملها وتنحط . اضطرب الصبى وسقط ذيل الجلباب من بين أسنانه . قبض بقوة ، دفع كتفه ورأسه مقاوماً فعل الهواء . انزلق الشبشب فهوت لا إرادياً وراءه إحدى يديه ، لم تدرك غير فردة واحدة أعاد دسها فى موضعها . بانت عند التقاطع صفوف عربات متراصة طولياً . . قلتُ ها هى الإشارة مغلقة ، سيتمكن الصغير من النزول بيسر . فعلاً أبطأ الأوتوبيس غير أن الولد نهزها فرصة لإحكام تشبثه بقرفصة ساقيه . وراح مع اندفاع العربة يتلقى الرعشات المعدنية فى بدنه الهزيل الذى جاوبها كما لو كان يتشنج . . لا . . لا يتشنج ، بل ينفصل ويرتطم بطريقة معذّبة . سقطت قدماه وتجرجرتا فوق نتوءات البازلت والحفر . ضغط جسمه كله فى ظهر الأوتوبيس كازاً نمروسه ، والدم يتقاطر من كعبيه وأصابع القدمين . حاول رفعهما لكن حالت الرجرجة والسرعة دون ذلك . حاول . . انزلقت فردة الشبشب الباقية فشيعها بنظرة يائسة . أفاقته رجة عظيمة كادت تقذف به لأعلى ، وخلّت بدنه سائباً إلا من ذراعين مشدودتين . عاد يضغط بمؤخرته وقرفصائه وهو يرتجف . أرعبتنى فكرة سقوطه الوشيك . . سيجرجره الأوتوبيس إذن و . . يا اللا !! ه ! جففت عرقى ، أما هو فكان يستعيد توازنه بكل ما فى أطرافه من توتر عنيف ، مقرفصاً مشدوداً فى قوة . يملأ الهواء جلبابه وينثر قطرات دمه رذاذاً أحمر . لاح مطلع الكوبرى العلوى فتنفستُ . . سينزل هذا التعس . . سينزل ويستريح ، لكن قذف الأوتوبيس بصاروخ من دخان أبيض كثيف وزمجر محركه طالعاً كطائرة تغادر ممرها الأرضى . وهذا المجازف بلا حول ، كنقطة مياه تبدو معلقة بحافة صنبور . تستطيل . . تستطيل ولا تسقط . متراعشٌ عوده النحيل مع خفقات صاج ظهر العربة المندفعة كالرمح فى فضاء الكوبرى الرحيب .

***

(٢) يوم العيد .

غبشة الفجر ، وموكب الرجال موصول بطابور عربات كارو تئن عجلاتها وتصرّ فوق الأسفلت فى توالٍ رتيب . مثقلة هى بنساء قرفصن فوقها ، لبسن الأسود وجلسن محتضنات أسبتة ملأنها لموتاهن بزاد الرحمة . رُحْن يثرثرن ويستحثن الحوذى ليسرع قبل أن تطلع الشمس ، فيروح بدوره يضرب على برذعة الحمار ويعدو . بمحاذاته . أول أيام العيد ، وضباب الفجر

المعقود على البيوت والشوارع سيتفجر حال عودتهم ألواناً وبهجة وأطفالاً ونغماً من كل نوع .

على هذه العربة توسد الصغار أفخاذ أمهاتهم ليكملوا نومهم . الولد الأسمر يقظ يرقب مبتسماً فتاة صغيرة قبالته تفرك عينيها باسمة ، وعليها ما عليه من وسخ وشحوب وإعياء . رمق الولد أمه فأيقن بانشغالها . تسللت من تحت غطاء السبت يده فخرجت بقرصة أخفاها تحت جلبابه حتى أمن ثم نصفها مع البنت وازدرداها خلسة . قليلاً ومدّ يده فرجعت بعنقود بلح أصفر «وقُرْصة» . مكث قليلاً ثم التهماها . راحت يد البنت تجوس فى سبتهم وناولته كعكة أخذا يلقفان بهمةٍ مسحوق السكر من سطحها وخلياها عارية إلا من نقوش جافة منمنمة . أعادتها البنت إلى السبت . ودفعت يدها عميقاً ، فكعكة ثانية . وثانية . . وثانية .

بانت المقابر وشواهدها من بين خلل الأشجار فانفجرت النسوة فى صوت واحد فى الصراخ والتباكى معلنات الموق بقدومهن . زحف الولد والبنت إلى مؤخرة عريش العربة . دلّيا أرجلاً حافية ، وظلا يلعقان السكر ويؤرجحان أرجلهما ، بعيون صافية مبتسمة .

ويرنو كلاهما إلى الآخر

المنصورة : رضا عطيه البهات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إحسان كمال

قصة: دين لم نستدنه

قمت من نومى فزعا ، يالـه من حلم ! . أقف على شفا حفرة . . وتكاد قدمى تنزلق إليها ، دوت قهقهة عالية ، عجزت عن رصد مصدرها . . ربما كان الشيطان . . أو كنت أنا . . أو أى شىء آخر . هل كان حلما أم استشفافا ؟ ، أم أنها رغبة تستعرفى أعماقى . . وكأن أعماقى هى الجحيم بعينه ! إننى فعلا على شفا حفرة ، فى الحلم كنت أجاهد كى لا أسقط . . فى الحقيقة أنا بنفسى الذى أرغب فى السقوط . . أرغب ولا أرغب . . قوتان تتنازعانى حتى أكاد بينهما أنشطر إلى نصفين ، أو ربما انشطرت فعلا من زمن بعيد ، المشكلة أيهما أنا وأيهما الذى يفكر الآن ؟

لماذا يكره الناس الناس إلى هذا الحد ؟ يقول شخص عن شخص آخر كلاما حسنا . . بيد أن هذا القول لايجد من ينقله . . حتى ولا حمار أعرج يتعثر فى سيره . . لكنه بعد زمن طويل يمكن أن يصل ، ويقول شخص عن آخر كلاما سيئا . . للحال يجد مليون فرس أشهب تتطوع لنقل القول فى سرعة البرق ! ، ويتلقفه الناس فى بهجة ويرددونه فى سعادة ونشوة . ما الذى يسعدهم وليس بينهم وبين المتقوّل عليه أى عداء ؟ ، على العكس . . كان والدى طيبا مسالما يحب الجميع والجميع ـ اعتقدت ذلك ـ كانوا يحبونه ، لكن كل هذا الحب لم يمنعهم أن يصدقوا أنه اختلس حقا هذا المبلغ الذى اتهم باختلاسه ! . .

حققوا معه . . فتشوا منزله . . أكثر من مرة ، لم يجدوا شيئا . . ولم يجدوا دليلا قاطعا على أنه الفاعل . . مجرد قرائن ، مع ذلك طلبوا منه أن يستقيل ، القرائن كثيرة ، لا يصح أن يبقى طالما تحوم حوله الشكوك ، تميعت القضية . . فلا هو وجد دليلا على براءته . . ولا هم استطاعوا تقديم دليل إدانة ضده ، لذلك لم يصدروا عليه حكما بشىء ، رئيسه قال ذلك . . كذاب . . بل صدر ضده حكم . . إنه رجل تحيط به الشبهات !

كأى خبر يتسكع بين الأفواه والآذان . . لابد أن يحذف منه ويضاف إليه ، بل حتى ما يتبقى بعد الحذف والإضافة غالبا ما يحوّر ويحرّف ، عندما وصل النبأ لجيراننا الكرام كان شيئا آخر . . « فصل شاكر افندى من عمله لأنه اختلس ! » ، ولأنهم ـ الجيران ـ جميعا . . جميعا جميعا . . طاهرون شرفاء أنقياء . . عليهم أن يتجنبوه . . خشية أن يلوثهم لو صافحوه ! ، مجرد وجوده أمامهم يشكل قذى فى عيونهم ، النساء أيضا قاطعن زوجته ، وحتى الأولاد . . قاطعوا أولاده !! ، لم يعد أحد منهم يلعب معى أو مع شقيقتى كريمة ، مرة حاول صديقى الأثير عزت أن يتفرج على لعبة كنت أحملها ـ عندما تقابلنا على السلم ـ فإذا بيد تمتد من فتحة صغيرة لبابهم الموارب . . كى تجذبه داخلا ثم تغلق الباب بسرعة !

ما كان أظلمه من جزاء تلقيته ! . عندما دققت جرس شقتهم لأطمئن عليه ، أغلقوا الباب فى وجهى بعنف . . دون كلمة واحدة ! ، ذهبت إلى أمى باكيا . . لكنها بدلا من أن تكفكف دموعى كما اعتادت دائما . . شاركتنى إياها ، لأكتشف بعدها أنها أيضا أصبحت مثلى . . منبوذة . . لاأحد يأخذ منها أو يعطيها . .

ترى فيم كان يتكلم الجيران قبل أن يحدث هذا لوالدى ؟، بدأت أيامها أشك أنهم كانوا يفتحون أفواههم . . حتى للتثاؤب ! ، لم تعد هناك من سيرة ـ لأى اثنين منهم يلتقيان ـ إلا هذه القضية ، جعلوا من أبى المسكين « لبانة » راحوا يلوكونها بين أشداقهم غير آبهين لآلامه ، على العكس . . كان استمتاعهم يزداد كلما سمعوا عظامه تطرقع تحت أضراسهم ! ، من وقتها وكأننا عقدنا معاهدة تحالف مع الحزن ، كانت تجربة قاسية أصابت أعماق والدى وتركت بصماتها داخله وحتى خارجه . . وجهه أصبح متغضنا كورقة مهملة كوّرتها يد عصبية ! .

لا . . لم يمت والدى بنزلة شعبية كما قال الأطباء . . مات مقتولا ! ، اشترك الجميع فى قتله . . رئيسه وزملاؤه . . ثم البوليس والنيابة ـ الذين لم يستطيعوا ضبط الفاعل الحقيقى ـ ، وأيضا الجيران والأصدقاء والأقرباء . . سقط المسكين فتكاثرت عليه السكاكين !

فى نفس الجزيرة المعزولة كبرنا أنا وأختى حتى التحقنا بالجامعة . . وبدأنا نختلط بالزملاء قليلا ، ومن بينهم تقدم لأختى عريس . . حضر إلى منزلنا مع أسرته ، تم الإتفاق تقريبا على كل شىء ، عقب عدة زيارات ذهب ولم يعد ! ، انسحب بعد تقديم أعذار واهية ، فى العام التالى تقدم عريس آخر . . ليبتلعه بدوره بحر الظلمات . . بعد زيارته لنا عدة مرات ! ، وبالطبع لم يكن الأمر بحاجة إلى ذكاء كثير حتى نعرف السبب .

لم نعد نستطيع تحمل حلقات النار التى كانت تضيق حولنا أكثر وأكثر كل يوم ، بعد أن فقدنا الأمل فى أن تخضرّ يوما صحارى النفوس ، لذلك لم يكن هناك حل سواه . . رغم صعوبة العثور على شقة فى هذا الزمان ، لكن أصحاب منزلنا كانوا كرماء جدا . . دفعوا لنا أكثر مما طلبنا بمثابة « خلو رجل » . . لندفعها بدورنا للشقة الجديدة . . فى حى بعيد . . وإن ظهر بعدها أنه لم يكن بعيدا بما فيه الكفاية . . لنسقط مرة أخرى فى قاع الحقيقة ، خلال شهور قلائل كان جميع جيراننا الجدد قد علموا بالحكاية . . شاملة كل الإضافات ! . .

بداية لم يهمنا الموضوع كثيرا . . لأننا من أول الأمر لم تكن لدينا نية الاختلاط بأى جيران ، ولكن . . تجددت لعبة العرسان لكريمة فى المنزل الجديد مرتين ، بعدها تقدم العريس الخامس . . وتعددت زياراته ، ونحن نتساءل « ترى متى يصيبه الوباء الفتاك ؟ لكن الشهور تمر وهو لا يتغير . . وأسعد ذلك أمى ، لكن كريمة كان لها رأى آخر . . وافقتها عليه . .

حقا ما يدرينا أن الخطر قد زال تماما . . أليس محتملا أن يعود فيقع بعد أن نكون قد قطعنا شوطا فى إعداد الجهاز ؟، وقوع البلاء خير من انتظاره ، رد العريس على أختى بابتسامة متسامحة :

ـ أووه . . لقد سمعت هذا الموضوع لكنى لم أصدقه . .

كادت أمى تبكى من التأثر :

ـ الحمد لله أنك لم تصدق هذه الافتراءات . .

ـ يقولون فى الأمثال سيماهم على وجوههم ، فهل يعقل أن تكونوا أنتم أهلاً كذلك ؟!

غلب التاثر أمى فبكت وهى تربّت على يده :

ـ بارك الله فيك ! .

اطمأننا فبدأنا نعد لشراء جهاز العرس . . عندما فاجأنا العريس بطلب غريب ، إنه يريد أثاثا لخمس غرف مجهزة بكل أدوات الحياة العصرية .

واعترضت أمى قائلة إن ذلك من واجبه هو

فعاد يبتسم . . بنفس السماحة . وهو ينظر نحوى :

ـ عندما يكون هناك تفاهم فلا يهم ماذا على العريس أو ما على العروس ! .

بدأت تساورنى الظنون . . مع ذلك حاولت أن أتخذ من ابتسامتى ستارا يخفى ما بداخلى . . همهمت :

ـ هذا صحيح ولكن . . من أين نأتى بكل هذا ؟، إننا كما ترى أسرة متوسطة . .

ـ كل ما طلبته لن يزيد على خمسين ألفا ، وهى ليست كثيرة على كريمة بالنسبة لـ . . لـ . .

قالت أمى ببراءة :

ـ أقسم لك يابنى أننا لا نملك أكثر من . .

قاطعتها كريمة التى كانت تنظر إلى خطيبها بنظرات غريبة :

ـ لماذا لم تتركيه يكمل ياأمى ؟ . . بالنسبة لماذا يافتحى ؟

عادت عيناها تحاولان اصطياد عينيه . . وأفحلت أخيرا رغم محاولاته الإفلات . . من ثم راح يثأثى ويفافىء

ـ أقصد . . يعنى . . أريد أن أقول . . .

ـ انطقها يافتحى ولا تتردد . . بالنسبة للمبلغ الذى اختلسه والدى . . أليس كذلك ؟

ـ لا . . لا . . أبدا . . لم أقصد ذلك لكن . . لكن . .

صرخت كريمة :

ـ أخرج من هنا فورا ولا تدعنى أراك ثانية . . أبدا . .

ـ اسمعينى فقط . . لماذا احتفظ والدك بالنقود ؟، أليس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من أجل مجابهة الظروف الهامه لك أنت وشقيقك ؟، وهذا طبعا أهم ظرف !

بكت كريمة وهى تخلع الدبلة من إصبعها وتلقيها فى وجهه :

ـ كان والدى أشرف الناس . . ياحقير ! . .

رغم أن فتحى كان كذلك فعلا . . إلا أنه ـ وياللعجب ـ غضب بشدة ! ، وأظهره الغضب على حقيقته . . راحت شفتاه تبعثران الكلمات :

ـ لا تصرخى هكذا وكأن الوالد كان شريفا فعلا . . الكل يعرف أنه اختلس المبلغ ، فهل تظنينى أبله ؟، إلا إذا كان شقيقك رؤوف قد لعب لعبته فأخفى عنك النقود ليستحوذ عليها وحده ، وفى هذه الحالة يجب أن تشكرينى عندما أنبهك . . كى تفيقى من غفلتك وتنتزعى منه نصيبك !!

بعد أن أفاقت كريمة من نوبتها الهستيرية أراحت رأسها على كتفى . . فى حين كانت والدتى لا تزال تردد وهى تخبط كفا بكف :

ـ كان الأربعة الذين انسحبوا أكرم منه ، ياإلهى ! . طيلة الوقت كان يعتقد أن المرحوم قد أختلس . . ورغم ذلك تمسك بك

ردت كريمة ورائحة حريق الكلمات تفوح من شفتيها :

ـ ما أطيبك ياأمى . . إنه « بسبب ذلك » تمسك بى !!

أعمل الآن بعد تخرجى فى عمل يجعل مئات الآلاف من الجنيهات تحت يدى ، فى كل مرة أمسك مبلغا كبيرا من النقود أتذكر ما حدث لأبى . . إنه محفور وشما على جبين الذاكرة ، وأيضا ما حدث لنا جميعا من بعده . . أنا وأمى . . وأختى على وجه الخصوص ، الأسى أخذ البريق من عينيها وتركهما قطعتين من زجاج ! ، لقد دفعنا الثمن غاليا . . ثمن خطأ لم نرتكبه ، ثم شىء لم نحصل عليه أليس من حق شخص دفع الثمن مقدما أن ينال ما دفع ثمنه ولو مؤخرا ؟، ألم نسدد دينا لم نستدنه ؟، إصلاح الوضع يكون بأن أصنع فعلا ما اتهمونا به . . حتى لا أظل طيلة حياتى أشعر بمرارة الاتهام الظالم . . ويالها من مرارة ! .

لكننى فى أحيان أخرى أعود إلى نفسى وأطرد عنها ذلك الهاجس الفظيع ، أحس أننى على شفا حفرة عميقة عميقة . . ترى إلام سينتهى بى الأمر ؟، هل أخطو بنفسى منزلقا داخل الهوة ؟، أم سأبتعد عنها قدر ما أستطيع وأسير فى طريقى السوى ، أم أظل طويلا فوق شفا هذه الحفرة ممزقا بين الإقدام والإحجام . . بين السقوط والنجاة ؟

القاهرة : إحسان كمال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فوزى دسوقى خليفة

قصة | لا تبلغوا عن موتى

توقفت يده التى كانت قد ارتفعت فى رعشة كرعشة القلب حين اضطرابه لخطب طارىء . توقفت اليد وتلكأ الذهن وهو يشرع فى نزع الورقة الأخيرة من الشهر الأخير فى العام الذى ينصرم تواً أمامه . بلا ضوضاء ينصرم ، بلا احتفال أو توديع يرحل . سقوط آخر ورقة من « الروزنامة » يعلن سقوط عام آخر من أعوامه التى لم يعد يذكر عددها ولا يعنى بحصرها . والعام الجديد يدخل بعد قليل فعليه أن يعلن عن قدومه بروزنامة جديدة ازدادت يده ارتعاشا وكأنها تذكره بدخوله لى أرذل العمر .

. . . . . .

رطبة كالعهد دوما رغم حلول الصيف مبكرا ، رطبة لا مبالية . الدفء لا يأتى أبدا فى موعده . الصقيع دائما ملازم . الصمت فى المسكن يطن طنينا يصم أسماعه . الهاتف منزو فى زاوية جثة هامدة . الصمت ! هل هو مقدر على الكائنات كافة ؟ النوافذ لا تسكب الضوء . مات الفضاء فجأة همد الهواء القادم من الجهات الأربع . صفير غريب يندلق من صنابير الماء ، صفير حاد ممزق معذب نابع من أعماق نائحة خاوية .

. . . . . .

المسكن شاسع . لا صدى إلا للصفير والصمت . تسكنه أشباح جريئة ، ليست اضغاث ذاكرة منفية ولا خيالات عقل وهنان يقطن مسكنا بعزلة عن البشر . ثمة أشباح تلهو عابثة غير مبالية بإنسان تقض مضجعه وحدته . يده المرتعشة نزعت الورقة الأخيرة . لكنه قرر ألا يرفعها من مكانها حتى تحل أخرى محلها . فتح باب المسكن وخرج هابطا درجات السلم .

. . . . .

فوق درجات السلم ــ فى زمن موغل فى القدم ــ رأت عيون ذاكرته زفةعرس . كان كل شىء جديدا ، لامعا . لم يكن الدرابزين قد اهترأ . لم تكن الألوان كالحة باهتة . لم تكن الجدران قد ثقبت ولم يكن الخشب قد نخر . . خيل إليه انه يسمع أصواتا قديمة . فوق درجات السلم توقف عندما فتحت عيون الذاكرة . خطوات وضحك وبكاء وركض وهرولة . طفل يتعلق بالدرابزين فى شقاوة نادرة فيرتجف قلبه خوفا وشفقة . هبط بضع درجات وعيون ذاكرته تشده فى اتجاهات متعددة

. . . .

من حين لآخر تأتيه رسالة من ذاك الموطن البعيد النائى القابض على سويدائه . وحيدا مع أعوامه العديدة المملة والضجر . أغلقت منافذ التنفس اغتيل الفضاء من حوله . سدت المسارات التى تجتازها أشعة الشمس . من حين لآخر تأتيه رسائل وبها صور . يرى تطور البراعم والابتسامات والدفء الأسرى .

ترتعش يده وهو ممسك بالقلم ليكتب . ترتعش يده وما خط ما كان يتوق إلى خطه . يستحيل أن يدعوه للعودة والرسائل تنضح بأيام يسمعها رغم الغربة .

ـ تعال إلينا . لا تحمل إلا جوازسفرك ، فنحن وأحفادك فى توق اليك . .

يقف بين حنين لذكرى ، وتوق الى حلم .

كتب :

ـ كيف أترك ذكرى من أجل حلم ؟

تلقى ردا :

ـ تمضى الذكرى يا أبى إلى الخلف . . لكن االحلم يشدك إلى الأمام دوما

ركبه عناد السنين الطوال وامتنع عن مراسلة الموطن البارد البعيد القاصى . لكنه أخيرا أرغم يده أن تتوقف عن الارتعاش . أرسل يسأل عن صور أحفاده .

انتهى الى الباب العتيق لبناية فى ذاكرة الزمن ، وهناك توقف . فتح صندوق البريد وأدخل يده المرتعشة

. . . .

مشى فوق الرصيف متمهلا يرمى عصاه أمامه بحركات أنيقة . التصق فى سيره بالجدران التصاقا حذرا . توقف أمام الواجهات وتفرس فى المعروضات نظر فى وجه الضحى . الشمس كانت ضاحكة تتوارى خلف البنايات السامقة . . تاق لرؤية وجه الشمس ولو لدقائق معدودة . عظامه لا شك كانت بحاجة الى بعض اشعتها الشافية . تطلع الى دنيا الشوارع حوله . زحام وركض وصخب . مقاه فاتحة أفواهها . شرود ونظرات تائهة . ارتشاف الشاى والقهوة ودخان متصاعد . عقله وعياه وأذناه لا يمكن أن تحيط بما يجرى حوله . خلع نظارته ونظف عدساتها . تعجب لأنه استطاع أن يرى بدونها . بالقرب منه شاهد شاباً أعمى يقوده كلبه . اليوم سوف يكتب رسالة . ثمة عتاب لتأخير الرسائل والصور ، سيحمل روزنامة جديدة إلى بيته . سوف يعلقها فى مكان بارز فى الصالة . لقد خرج من أجلها . غدا سيزور طبيب العيون للتأكد من قوة إبصاره . طرف عصاه دخل فى حفرة عميقة بالرصيف فمال جسده للأمام وكاد يقع .

مرّ به رجل كسيح يدفع نفسه فى مقعد بعجل . توقف عن سيره والتفت خلفه نحو الرجل . رفع عصاه وتطلع إلى السماء وشفتاه تتحركان بكلمات مبهمة . توقف أمام كشك لبيع الصحف ، تناول صحيفة ، سأل البائع عن عجلة معينة ، مد البائع عنقه خارج النافذة ووضع يده فوق أذنه . كان عليه أن يرفع عقيرته .

. . . .

حديقة عامة ذات أشجار وأزهار ومقاعد متفرقة . الشمس تطل بوجه نضر . كيف لم تقع عيناه على هذه الحديقة فى الأيام السابقة ؟

ألم يكن يمر بهذا الموقع قديما بين آونة وأخرى ؟

كيف لم يخطر له أن يميل لدقائق ويتخذ له مقعدا ؟

الضحى ثوبه ناصع وفى الوقت فراغ ومتسع . مقعد منعزل لكن لا بأس به . صبية يلهون بالكرة ويصطخبون صخبا مؤنسا . فتح الصحيفة وقرأ ثم طواها بعد قراءة موجزة . رفع عينيه فى وجه الشمس . الكرة ضربت قدمه فردّها إليهم مع بسمة .

فض غلاف روزنامته وقرأ الورقة الأولى . .

الكرة مرة ثانية ضربته فى كتفه .

ـ نأسف يا جدنا !

ابتسم فى وجوههم .

سأبدأ فى كتابة رسالة اليهم . سأطلب آخر ما التقط لهم من صور . .

وقف عصفوران بغصن فوقه وأخذا يزقزقان للحظات ثم انطلقا يحومان حول الشجر .

نظر فى ساعته ونظر فى الأفق ،وفى الشمس وفى السحب والأزهار والشجر . وأنصت إلى تصايح الصبية حوله . ثقل رأسه ومال إلى الخلف فى إغفاءة . .

طارت الكرة بشدة وارتطمت برأسه . . سقطت نظارته . لم يتحرك . ركب الصبية رعب وتوجس . تناولوا النظارة الساقطة تحت قدميه ووقفوا متفرسين فى وجهه . تبودلت النظرات المتسائلة بينهم . تهامسوا : مات ؟

تقدم أحدهم وهزه برقة . . لم يستجب لهزاتهم . وضعوا النظارة فوق عينيه . وصاح أحدهم . .

ـ فلنبلّغ عن موته . .

وهم يستديرون سمعوا صوته يقول لهم :

ـ لم لا تدعوننى أنام قليلا دون أن تبلغوا عن موتى ؟ !

الإسكندرية : فوزى دسوقى خليفة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبد السلام إبراهيم

قصة: سقوط الرّداحة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ ـ الزوج :

أخذت الشمس تسحب أشعتها اللاسعة . . الأجساد المهددة بدأت تحيا مرة ثانية . يتململ فى فراشه محاولاً اتقاء كلماتها التى تنقص من رجولته . . صوتها المسموم يفتت كل جزء من جسده المتهاوى . . يستمر فى غطيطه مدعيا النوم .

٢ ـ القطة :

صوت ارتطام أشياء بالأرض قطع كلامَها . . أطلقت صوتها دهشة . . هبت واقفة ثم دلفت إلى المطبخ . . الأطباق والأدوات مقلوبة رأساً على عقب . . دارت بعينيها الجاحظتين . . توقفتا أسفل المنضدة . . قطة سوداء منكمشة فى الركن هجمت عليها ضاغطة على بطنها ، صرخت القطة مزمجرة . . دفنت أظافرها فى ذراعى المرأة . . صرخت صرخة زلزلت المطبخ . . قفزت القطة هاربة . . الدم يسيل من ذراعيها . . أتى زوجها متسكعا . . نظر إليها ضاغطاً على أنيابه .

٣ ـ الأرملة

خرجت مقطبة الجبين . . عارية الرأس . . حافية القدمين . . طرقت باب جارتها الأرملة بعنف بينما استمرت فى شتائمها وتألمها المخيف . . فتح الباب . . أمسكت يدها وشدتها للخارج . . أغرقتها بسيل من الشتائم . . الأرملة تقف مستسلمة لا تعرف شيئا . . أتى زوجها جارياً محاولاً التدخل . . تشيح بيديها . . يترنح إلى الوراء عندما تدفعه . . أخبر الأرملة بأن قطتها السوداء هى السبب . . حاولت الأرملة الاعتذار لكن لم تعطها الفرصة . . توجه لها اللعنات . . تعدد سيئاتها ، تقذفها بعلاقاتها المريبة . . الأرملة تبكى بصوت يختلط بالدفاع عن نفسها .

لفظت المنازل الكتل اللحمية التى خرجت إثر الصوت المدوى . . بينما اكتفت بعض الرؤوس بالنظر من النوافذ . . أخذت تجرى ناظرة إلى الرؤوس المطلة عليها . . تلعن أولئك الذين أصبحوا جيران السوء . . العيون تتحرك لترصد كل

حركة تأتى بها المرأة التى اشتهرت على مستوى المنطقة بأنها (الردّاحة) عادت تقف أمام منزل الأرملة التى وقفت تمسح دموعها . التفت بعض النساء حولها يهدئنها . بينما وقف بعض الرجال ذوى الأعناق الطويلة فى الخلف . . !

حاول زوجها التدخل . . يتحايل عليها وتنفلت منه . . تندفع مزمجرة ــ تعيد ما قالته . . تجوب الشارع . . صوتها يعلو أكثر انصلب النساء الأرملة ثم تسحبن إلى منازلهن ممسكات بأطفالهن الذين كانوا يضحكون ، الرجال ذوو الأعناق الطويلة يدخلون .

٤ ــ السقوط

الشمس تجر أطرافها الحمراء . . صوتان يشتركان فى الصباح ولكن بنفس الكلمات تجوب الشارع ذهابا وإيابا . .

يقف زوجها أمامها مرسلاً نظراته الحادة ، تصرخ . .

تشتم . . تجر التراب بقدميها تتقدم نحوها . . تهوى بجسدها على الأرض . . الخيوط اللعابية بدأت تسيل . . تمددت على الأرض . . يختلط اللعاب والعرق بالتراب والدم . . هجم الليل بظلامه . . اختفى زوجها من الشارع . . !

قنا ــ أرمنت الخيط : عبد السلام ابراهيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد عبد الله الهادى

قصة

ولم أتحرك

بَهَرُوا الدُّنْيَا
وما فى يدهمْ الاّ الحجارَهْ
وأضاؤُوا كالقناديلِ ، وجاؤوا كالبشارَهْ .

نزار قبانى

كانت زوجتى تحل شعرها أمام المرآة وهى تتزين . تطوحه على كتفيها العاريتين . بدت فى عينى كمُهْرة صغيرة شقية تنو إلى فارسها . ضوء « الأباجورة » الوردى يفرش ظلا خفيفا على السقف والحوائط المصقولة . كان الليل غريبا هذا المساء . يختبىء خلف النافذة . أعرف أنه بعيد الغور . موحش وحزين . أخاف ظلمته أن تلفنى فى عباءتها وتلقى بى فى غياهب جب سحيق .

زوجتى مشاكسة لكنها ودود . قفزت جانبى على الفراش . سحبت السيجارة من بين شفتى بأصابعها . سحقت رأسها المتأجج فى قاع المنفضة الخزفى ، لم أتحرك عندما مالت برأسها على صدرى برفق . شممت عطرها وأنفاسها الملتهبة لما أدارت بأصابعها وجهى ناحيتها . كان ساعداى متصالبين تحت رأسى الملتهب كاشارة تحذير غرست قبالة « مزلقان » خطر . كان رأسى محموما . المستوطنون اليهود من جماعة « جوس امونيم » يقتحمون مخيم (طولكرم) . يطلقون الرصاص فى كل اتجاه بعشوائية مقصودة . سقط شاب لم يتجاوز العشرين ، أصيب العشرات بجراح خطيرة ، ولولت أم عجوز ورفعت يديها على غطاء رأسها الأبيض . رنا رجل عجوز ببصره ، بدا ظهره المقوس مثقلا بحمولة أعوام من الاحتلال . لم أتحرك . كانت زوجتى ساخنة . تأودت ، تنهدت من جوف الصدر ، أحاطتنى بذراعيها . حدقت فى عينى بسخرية طفولية . كان أطفال المخيم قد قذفوا عربات الجنود بالحجارة فحطموا زجاجها وأشعلوا النار فى الاطارات .

سقطت ألواح من زجاج ثلجى بارد بينى وبين زوجتى . صارت حوائط من الأسمنت والصلب . خبطت كتفى بقبضة يدها بحنو وتصنعت الغضب لما زمت شفتيها وعينيها وابتعدت قليلا . بدا غضبها جميلا . رغم أنى أمقت الصلح المنفرد مع الصهاينة وأؤيد المؤتمر الدولى صرت أتحسس ملابسى وجسدى بعد أى صلح منفرد آخر . لكن لعبة الحب الغاضب والصلح المنفرد معها كان طقسا محببا لنفسى أمارسه معها فى ساعات الصفاء . ويحلو لها هذا . لكنى لم أتحرك . « جميلة » البنت الفلسطينية لما عادت لمخيم « شاتيلا » وجدت بيتها مهدما وأباها المقعد مقتولا بجوار كرسيه المتحرك ، وأمها كانت جثة هامدة . لما حاولت الرجوع أمسك بها أحد المسلحين . قادها إلى بيت قريب . كان هناك أربعة آخرون . مزقوا رداءها الأبيض .

كانت زوجتى قد أدارت ظهرها لى وقالت « هه » وكورّت جسدها . لحمها الأبيض المخنوق فى غلالة قميصها الضيق كان ينبض بحرارة الدم وشعرها الفاحم السواد سائبا بعشوائية مطلقة . ذقن الحاخام « كاهانا » غزير الشعر يمسك « التوراة » بيد ومكبرا صغيرا للصوت بيده الأخرى . كان يصيح بصوت الأفعى عند باب قرية « أم الفحم » :

« أيها العرب . اخرجوا بحياتكم قبل أن نقتلكم . اختاروا الذهاب إلى أى بلد تفضلون . سوف نساعدكم على الرحيل . هذه أرض صهيون » وكان يرفع التوراة . . كانت أجسادهم متلاحمة وصاحوا فى وجهه :

« لن تمر من هنا إلاّ على جثتنا أيها المتعصب الأمريكى . عد إلى بلدك وسوف نساعدك نحنُ على الرحيل »

كانت حوائط الزجاج الثلجى والصلب والأسمنت قد استطالت حتى رأسى . تفجرت وتبعثرت شظايا حادة مدببة . أغمضت عينى بقوة . تجمعت الحوائط مرة أخرى فى قوائم اصلب وأمتن . لم أتحرك عندما استدارت هى عند طرف الفراش وعرت ساقيها . كنت أحدق فى غلالة الضوء الوردى المرمى على السقف . القت جسدها فوقى بغيظ . لم أتحرك . بوجل تحسست جبهتى الباردة المعروقة . تسربت شحنة الدفء من جسدها المرمى فوقى إلى فراغ الغرفة بسرعة . كان ثوبى مبلولا بعرق غزير .

كان رأسى محموما وأنا أهذى . طولكرم . صبرا . شاتيلا . أم الفحم . جميلة . كاهانا . . . ولا أتحرك وهى تحدق فى وجهى بعينها ينسكب منهما الذعر .

فاقوس شرقية : محمد عبد الله الهادى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أسامة بكر هلال

قصة: قضية ضد معلوم

(١) الاعلان

. . أعلن الحاجب عن رقم القضية التالية فى صوت متثائب يغلب عليه النعاس ونادى بلا اكثرات على أسماء أطراف الخصومة . . فالأمر لا يشكل بالنسبة له أكثر من مجرد رقم وتراكيب أسماء لكنه سرعان ما انتصب واقفا ليجابه تدافع الناس للدخول إلى القاعة الكبيرة التى اكتظت فى طرفة عين بالحضور . .

وأضاعت الجلبة التى حدثت البقية الباقية من الكرى الذى كان يداعب عينيه فراح يحدق مشدوها فى ذلك الجمع الغفير ، لا يدرى السر وراء حرصه على حضور هذه القضية بالذات

. . أعاد قراءة الأسماء ـ لنفسه فى هذه المرة ـ فلم تسعفه لذاكرة فى التعرف على أحدها وطالع مختصر الدعوى فلم يجد بها أى جديد ! . .

. . عاوده التثاؤب فعاد إلى غفوته الأولى . .

(٢) بداية الجلسة :

. . فى الداخل ـ وبعد أن انتظم الحضور ـ بدأت مراسم الجلسة . .

تلا القاضى اسم المدعى عليه فأجابه بتثاقل :

ـ نعم . . أنا هو . .

ثم جال ببصره فيمن هم حوله فخالهم كما لو كانوا أسياخا حديدية لقفص اتهام يحيط به من كل جانب !

ـ من حاضر معك للدفاع عنك ؟

ـ أنا . . قالها فى عجلة وهو يجيب على استفسار القاضى ثم أكمل :

أنا حاضر عن نفسى . . أعنى . . أعنى للدفاع عن نفسى ياسيادة القاضى !

ـ ولكن الدعوى المرفوعة ضدك جد متشعبة وكان من الأفضل لك يارجل أن توكل للدفاع عنك أحد المحامين الذين يفقهون جيدا الجوانب القانونية لمثل هذا الادعاء ، على أية حال حاول أن تتفهم ما يطرح عليك من أسئلة وتَرَوَّ قبل أن تجيب على أى منها ، فبعض كلماتك قد تدينك دون أن تدرى .

. . أنهى القاضى كلماته اليه وانصرف إلى مباشرة القضية والاستماع إلى مرافعة محامى المدعى . .

(٣) المرافعة

. . طنين هائل راح يدوى فى أذنيه أفقده القدرة على متابعة ما يدور حوله . . شاغل نفسه بالنظر إلى سقف القاعة ومضى يتتبع الشقوق التى تفرعت فى أنحاء السقف وامتدت حتى طالت الجدران التى يرقد عليها سقف العدالة . .

إذن فالعدالة قديمة فى هذه المدينة قدم هذا المبنى !

أبدا لم تطأ قدماى مثل هذا المكان من قبل وليس لدى أية فكرة أو خلفية عن طريقه التقاضى ، وكيف يكون لى ذلك وأنا قد عشت ما مضى من العمر لا أعرف إلا دربا واحد لا أحيد

عنه ؟ وفكرتى عن القوانين والأحكام لا تخرج عن نطاق ذلك القول السائد الذى يردده الناس كـالببغوات « القـانون فـوق الجميع » !

وذلك القاضى المتربع خلف هذه المنصة والذى سيرفع لواء العدل فى قضيتى اليوم ، رغم أن كلماته التى وجهها إلىّ كانت تحمل بعض بوادرٍ من التعاطف معى فإنها لم تفلح فى إخفـاء علامات الاشفاق التى بدت جلية فى نبرات صـوته ونـظرات عينيه . . وعلى النقيض لما كان يأمله من أثر لهـا ، زرعت فى أعماقى الخوف من الكلمة والتخوف من النطق بها . . دوما أنا أعلم وأعلّم غيرى أن الكلمة تنال حريتها عند النطق بها ولا شىء يأسرها الا الصمت . .

ياسيادة القاضى . .

إنك تنبهنى إلى أمر لا يستطيع أن يدركه فهمى . . فكيف لى أن أتوخى الحرص عند النطق بكلماتى ولا أنطق إلا بالقدر الذى يضمن لى عدم الوقوع تحت طائلة القوانين ؟! .

وكيف ـ والأمر كذلك ـ يمكن أن تكتمل جوانب الحقيقة ؟ .

معذرة أيها السيد القاضى عندما أصارحك القول بأن هذا الأمـر غريب بـالنسبة لى ولم أعتـده من قبل ! . فـأنا صنعتى الحديث ، واعتدت على أن يصغى لى الجميع عندما أتحدث . .

إن جل الجالسين أمامك أيها السيد قد علمتهم كيفية النطق وكيف تكون مخارج الكلمات مذ كانوا صغارا . . وكما عودتهم دائما أتوا اليوم ليصغوا الىّ .

ولكَمْ تحلقوا حولى خارج غرف الدراسة طمعا فى الاستزادة من المعرفة بزيادة القول . .

الشرح يطول أيها السيد ولكنها رحلة العمر التى امتدت لما يزيد على الثلاثين عاما ولا أظن أنها قد ضاعت هباء . فها هو غرسٌ قد نمـا واشتدت سـوقه وبـدت أوراقه خضـراء يانعـة وتفتحت أزهاره فتضوع بعطرها كل مكان . .

(٤) معالم القضية :

. . لقد اتضحت لى معالم القضية تماما الآن . .

فالحكم عندكم ينطلق من هذه القوانين الجامدة الجـاحدة التى لا تعرف الاستثناء .

ولكل حالة قانون يطبق عليها فإذا تـطابقت معه لا مجـال بعدها للاحتكام إلى الضمائر وهذه هى القضية .

إنك لا تعلم أيها السيد القاضى كم كان يقض مضجعى ويؤرق ضميرى . اقتطاع جزء من علامة واحد من تلاميذى لنقص فى إجابة تخوفا من أن يكون قد ضمنها فيما بين السطور ولم ألحظها !؟

هذا هو مفهوم العدالة الذى أعرفه . .

نعم . . القانون فوق الجميع .

ولكن ذلـك ينطبق سـواء بسواء عـلى من يملكون الحجـة المكتوبة التى تؤيد الحق وكذلك على من يملكون الحجة المكتوبة التى تؤكد أن الباطل حق !

(٥) تلاوة الحكم :

. . أفاق على صوت القاضى وهو يسأله بعدما انتهى محامى المدعى من سرد دعواه وتقديم أسانيده :

ـ ما قولك فيما هو منسوب اليك ؟

ـ القول لدى كثير و . .

ـ أوجز فى القول ، ومن الأجدى لك أن تتقدم بالوثائق التى تدعم ما تقول . .

ـ لا أملك الا كلمة الحق أيها القاضى .

وليس لدى أى مستند سواها . .

ـ أذن لا جدوى مما ستقول !

حكمت عدالة المحكمة بـ؟؟

الإسكندرية: أسامة محمود محمد بكر هلال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة: العشق

وحيث أنها اغتسلت جيداً ، فإنها حدثت نفسها بإبعاد كل الهواجس . وأخذت تلمس فى رفق الكيس الكبير . حدقت فى فتحته التى تشدّ منها بعض الخيوط الرقيقة ، وتتداخل مكونة خيطا واحداً، رأسه يكاد أن يتماسك ، لكن قاعدته واضح فيها تعدد الخيوط .

حلت العقدة ، أدخلت يدها ، ثم أخرجتها حاملة القلادة . قطعة من الذهب ، منقوش عليها أياد تمتد ، فاردة أصابعها حتى النهاية . وضعتها حول عنقها وتأكدت أنها ضغطت على المشبك الصغير .

سألت نفسها لماذا هى متعجلة ؟ تخاف أن تفسد كل شىء بقلقها وظنها أن شيئا مفاجئا سيحدث .

كان ثانى ما أخرجته ، الأساور العشر . وضعت فى كل معصم النصف تماما . هل كانت ستقدر على إدخالها فى يديه ؟ بالكاد كانت ستقف عند بطن الكف المضمومة الأصابع . فكرت أنها كانت ستتركهادون أن تدفعهابقوة لمعصميه . تعرف أنها كانت ستشعر بألمه رغم صمته .

خافت أن تخرج كل ما فى الكيس دفعة واحدة حتى لا ينكسر شىء ، أو لأنها تخشى من عاقبة مخالفة رغبته .

ضيقت من حدقتى عينيها، بمجردأن انعكس عليهما لمعان الأساور التى سقطت عليها أشعة الشمس . كان يقول لها كل ما فى الكيس لا يكشف سر حقيقته إلا بمرور الزمن .

أخرجت الآن الحزام الجلدى ، نقشت عليه هذه الرسومات الدقيقة ، تضام أكثرها ، ولا تنفرد سوى هذه الطيور الصغيرة فاردة الأجنحة إلى آخر مدى . حدثها أنها لغة تسكنها الدنيا وقادرة على الخلق .

لفته حول خصرها . كان واسعا قليلا ، لكنها لم تهتم . يكفى أنه فى موضعه وبنفس الطريقة وضعه حول حول خصره . لا تنسى أبداً اليوم الذى أخذ يريها فيه مواضع ما فى الكيس على جسده . كأنها حفرته على حوائط البيت ، وسجلت كل حركة قام بها مهما صغرت شعرت يومها بأنه إنسان آخر ، يتحرك فى زمان ومكان يستحضرهما من كل قطعة يخرجها . وبعد أن اكتمل كل شىء حذرها أن تنسى . أومأت برأسها ، وهى تحدق فى جسده العارى . شعرت لحظتها أن عريه هذا ليس ما عرفه جسدها عنه لسنوات طوال . بل هو عرى تعرفه فقط حياته مع هذه الأشياء .

أخرجت الصندل ، كان نعله رفيعا للغايه ، وتداخلت سيوره فى المقدمة بحيث لا تظهر إلا أجزاء صغيرة من أصابعها .

دائما كان يحكى لها القصة . بمجرد أن نظر للمرأة المسجاةفى كفنها أيقن أنه لن يكمل الطريق مع أهله أرادوا أن يعلموه مهنتهم . أبصر أكفانا عديدة وصناديق مليئة بالكثير . لكن اليقين المفاجىء لم يسكنه إلا حينما أبصرها . تسلل فى غيبتهم وأخذ أشياءكان يريدها . لكنه عرف أنه لن يقدر أن يصل بها إلى الخارج . اكتفى بما فى يديه وتركها للأبد .

أخرجت الضفائر السوداء ، التى يصل فيما بينها خيط رفيع . ثبتته فى رأسها ، وعقدت طرفى الخيط عند جبهتها ، وتحسست بأصابعها الضفائر وكأنها تسرحها .

نظرت إلى نفسها فى المرآة . كيف كان سيراها ؟ ترى عريها الآن فتشعر به يتشكل وفق أشيائها . هل حينما كاشفها برغبته ، كان يشعر أن النهاية ستأتيه فجأة ، وأنه يريد أن تصبح رغبته رغبتها ؟

حدثها عن العشق كثيرا قبل أن يقولا لها :ــ عند موق . ضعى أشياءها على جسدى قبل أن أكفن . لن يؤنس وحشتى لحظتها غيرها . أعرف أنها ستكمل كل الأحاديث وأننى ربما أكونها فى النهاية .

حنما أخبروها . خالط حزنها على فقدانه ، الحزن على العجز عن تحقيق الرغبة . أملت أ يصدقوا . قالوا منذ أن سقطت العربة فى النهر ، وهم يبحثون عن الجثث كلها ، وربما نجحوا فى إخراجها . وتلاشى أملها بمرور السنين .

كثيرا ما أخرجت الأشياء من الكيس ، وأخذت تتأملها . لكنها سرعان ما تعيدها . هل كانت تخشاها . أم أنها كانت تتلمس الطريق إليها أم أن جسده العارى وقد امتزج بكل ما فى الكيس كان يأتيها من قرارة النهر ، فتنشغل برؤياه ؟ طوت الكيس الفارغ ، ووضعته فوق ملابسها المركونة جوار الحائط ابتعدت عن المرآة ، وتمددت على السرير ، وتوسدت ذراعها . أخذت تتسمع لصوت قطرات الماء وهى تسقط على الأرض وصار يأتيها ويمعن فى البعد ، تحتضنه فيسكنها وينزول فى الصحو . عريها يكشف الطريق ويزيد من العشق . وأكمل لها ما نقص من المناجاة .

منتصر القفّاش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نعمات البحيرى

قصة.. أمّ الغنم

حين يتفتت قرص الشمس ويستحيل إلى نتف ذهبية تذوب خلف الشجر الطالع بين الحى السادس والسابع ويشع ضوء نهارى رائق فى السماء .

حينئذ تدرك « علا » طفلة الثمانية سنوات أن « أم الغنم » آتية . من التراب تنفض « علا » كفيها الصغيرتين وثوبها القصير المتسخ دائما وتجرى . تتجاوز عثراتها وهى تردد النداء مثل أغنية جميلة « أم الغنم ! . أم الغنم ! . ها هى أم الغنم » هكذا أسمتها « علا » فهى لا تعرف لها اسما منذ وعت الدنيا والوجوه والأشياء . من بعيد تبدو المرأة مثل بقعة سوداء تتحرك وسط قطيع من الأغنام فى حراسة كلب هزيل أسود . . تتحرك البقعة السوداء ويتوه ظلها بين الأغنام تقترب ثم تتشكل فتستحيل إلى تفاصيل امرأة مخبوءة فى ثوب غجرى أسود موشى بخيوط حريرية ملونة . لم ير وجهها ولا سمع صوتها أحد قط . تترك أغنامها وكلبها ترعى فى المساحة الترابية الشاسعة أمام البلوكات ثم تقتعد حجرا حنوناً مادّةً ساقيها على التراب فلا يبدو منها الا خلاخيل من الفضة تحيط بقدميها المخضبتين بالحناء .

قبل مجىء أم الغنم تنفق « علا » نصف نهارها وهى تلعب فى التراب مع الأطفال فتناديها نسوة البلوكات « إذهبى ياعلا وتعالى ياعلا . . وخذى ثم هاتى ياعلا » هذه تعطيها طعاما باثتا غضب عليه عيالها وهذه تطلب منها شراء شىء ، وتلك تمصمص شفتيها الشاحبتين وهى تتساءل بصوت تحرص حرصا واهيا ألا تسمعه « علا . . علا . . علا ! » لو الأسامى تشترى ثم تمضغ المرأة نصف المثل مع شىء فى فمها . تضع المرأة يمناها على خاصرتها وهى تنظر إلى أبى علا الذى قبع بمقعده الخشبى القديم وجلبابه المخطط فى الشمس ! فتعيد على مسامعه المثل « لو الأسامى تشترى . . » فى كلمات المرأة ونظرتها الغزل الكثير لأبى علا » حتى ذلك الحنان الذى تسبغه المرأة على ابنته من آن لآخر فلا تستسيغه الطفلة وتظل ترقب مجىء « أم الغنم » الآتية من الحى السابع .

كانت « أم الغنم تتابع غنماتها والكلب الهزيل حارسها . هكذا تتركها كل نهار ترعى فى تراب الخلاء أمام البلوكات فهى حتما ستجد قوت يومها .

كانت أم الغنم تنبش بعصاها فى التراب حين رأت قدمين صغيرتين متسختين فى حذاء كبير قديم . تلك هى المرة الأولى التى تقترب فيها من « أم الغنم » يخالطها التشوق لرؤية وجه المرأة . . لون عينيها غريب ، يتكرر سوادهما اللامع فى شدة البياض فهى غير نساء البلوكات ، هادئة ، صامته ، كلهن يتزلفن لأبيها من خلالها ، حتى تلك المرأة جارتهم التى ودت لو تناديها « أمى » ثم تراجعت . نظرت « علا » إلى الشجر الطالع عند نهاية البلوكات وراق لها مشهد الشمس التى ذابت خلف الشجر . كانت ترغب فى الحديث إلى « أم الغنم » منذ زمان مضى ، تحديداً منذ ذهبت أمها إلى الحى السابع ولم تعد . ومنذ ذهبت زوجة أبيها إلى هناك ولم تعد . ومنذ ذهب عمها ولم يعد . سألت علا « أم الغنم » هل رأت كل هؤلاء هناك ؟ لم

ترد المرأة وقد بدا عليها أنها لم تسمع شيئا . فكرت « علا » أن تحكى لأم الغنم ما حكته يوماً لأمها فضربتها وما حكته لزوجة أبيها فزجرتها وما حكته لزوجة عمها فضربها أبوها وما حكته لكلبة أبيها فعضتها . سألت علا المرأة هل مررت بالسابع ؟ . . بدا أن المرأة لم تسمع شيئا مرة أخرى ، كانت علا تحدق فى وجه المرأة التى راحت تنزع نقابها الأسود الموشى بالترتر الذهبى والفضى . تلك هى المرة الأولى التى ترى علا وجه المرأة واستعرضت ذلك الذى ينزل عموديا من تحت شفتها السفلى حتى أسفل ذقنها وذلك القرط الذهبى المدلى من أنفها والشعر الأسود الفاحم الذى أكسبته الحناء حمرة برتقالية . قالت « علا » لأم الغنم : يقول عيال البلوكات إن السابع دنيا غير الدنيا . ضحكت المرأة بصوت خافت ثم همهمت ولم تفهم علا همهمتها . فكرت علا أن تحكى لأم الغنم ما حكته يوما لطوب الأرض المبعثر أمام البلوكات وتذكرت أن أم الغنم ستحفظ سرها وتذكرت أنها حين يعاكسها عيال البلوكات لا ترد وحين يغازلها رجال البلوكات لا تعبأ وحين تقترب نسوة البلوكات ليسألنها عن الحى السابع ونسوته ورجاله تفر منهن . فهى تأتى بصمتها وتعود به فراحت تحكى لأم الغنم أنها تخرج فى الصباح بعد أن تأتى لأبيها بإفطاره ، تجلس فى الشارع العمومى بجوار كشك ناظر المحطة ، تنظر إلى السيارات الخاصة الآتية من ناحية السابع مسرعة وكأنها تنزلق من ربوة عالية ، ترى كلابا نظيفة وجميلة فى نوافذ السيارات لا تشبه كلبة أبيها أو كلاب البلوكات .

لم تعلق « أم الغنم » وبدا عليها أنها لم تسمع حكايتها لكن علا راحت تحكى لها أنها تكره البلوكات ، فهى خانقة وضيقة وقذرة كما تكره سكانها وأباها وأمها وزوجة أبيها وزوجة عمها وكذلك كلبة أبيها وطوب الأرض وعساكر المعسكرات التى لا يفصلها عن البلوكات إلا تلك الأسلاك الشائكة التى كثيرا ما فتقت لها ثوبها حين تعبرها لتقطف العنب الأسود الصغير من شجيرات قصيرة كثيفة . يسميه عيال البلوكات « عنب الديب » . سألت أحد العساكر مرة وكان له وجه أسود مثل العنب وتخيلت أنه أيضا « عسكرى الديب . سألته » تعرف طريق السابع ؟ . . وحين أو مأ بالإيجاب نفضت غبار ثوبها وقالت له « خذنى إلى هناك » يومها قبض العسكرى الأسود على يدها وظل يسير بها حتى تجاوز الأشجار الطالعة بين الحيين فاختبأ بها خلف شجيرات « عنب الذئب » القصير وراح يقبلها وأغرق وجهها وجسمها بلعابه الأبيض . يومها عضته مثل كلبة أبيها وجرت تاركه له ثيابها لاعنة فى سرها « السابع » وما تثيره عيال البلوكات ونسوته فى خيالها عنه .

كانت علا تحكى لأم الغنم وقد بدا وجهها الصغير شاحبا . ربتت على كتفيها وقبلتها بشفتين مخضبتين . ثم أخرجت من مخلاتها السوداء المغبرة مشطا من العاج وكسرة مرآة بحجم الكف وراحت تسرح لعلا شعرها .

كانت علا تربط شعرها فتقيده ، فقد كان أبوها يصرخ فى وجهها لو أطلقته حرا فى الهواء . . وكانت أمها توبخها لو رأته حرا خلف ظهرها . . وكانت زوجة أبيها تزجرها كلما رأتها تمشطه . صار شعر « علا » طويلا منسابا على كتفيها مثل شال من الحرير له نفس لون عينيها العسليتين . بدت « علا » مثل فراشة جميلة وهى تستدير وتتمايل فرحة بشعرها .

ابتسمت علا فبانت سنتها المكسورة بين شفتيها الدقيقتين نادت المرأة بالعصا على أغنامها وكلبها مقررة الرحيل . قالت علا للمرأة :

عندما تأتين غدا سأحكى لك أشياء أخرى ، فأنا لم أقل لك كل شىء .

القاهرة : نعمات البحيرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خالد عبد المنعم

قصة: الفأر

كنا نحتسى الشاى ، حين ظهر فجأه ، صغيرا ، لطيفا ، يحرك شاربه المنمق ويرمقنا بحذر .

قلنا : فأر !

قال أبونا : يبدو جميلاً بفرائه الأبيض وشاربه الدقيق .

قلنا : يبدو جميلا .

عن قرب ظل يرقبنا ، لما لمح نظرة التآلف صريحة فى أعيننا ، تحرك ببطء صوب المقعد الخالى مرخيا أهدابه ، فعجبنا .

قال أخى : انظروا كيف يقفز رشيقا فوق المقعد !

قلنا : رشيقا

تحدثنا عن الفئران وقذارتها .

قالت أمى : إنها تمقتها ، وشاركها أبى الرأى لكننا أجمعنا أن شيئاما مختلف فى هذا الفأر . ونعته أخى باللطف والخفة وامتدح لونه .

كنا مانزال حول المائدة نتناول طعام العشاء ، حين قفز نوقها ،وظل يرقبنا، ينظر صنوف الطعام المتراصة ، ويسير طيئا بين الأطباق .

سحكت أمى ونهضت لتعدَّ له طبقا .

لنا : لعله جائع وتنادرنا بمن يحضر له الماء !

فى مساء تلك الليلة التى اختفت فيها قطعة اللحم من إناء الطهو . وجدنا أخانا الرضيع والدماء تنزف بغزارة من رسغه ، كان مشهدا مقبضا، حتى إن شهقات الاستغاثة فى حلوقنا وقفت .

لحظتها انقسمنا ، بعضنا قال : إنه الفأر ، خاصة أن حجمه كان فى ازدياد وأنه يبدى نهما غريبا للحوم . والبعض أنكر ذلك بشدة ، وأبدى تعاطفا مع الفأر ، وأرجع ازدياد الحجم الى الطعام الجيد والراحة . إلا أنهم لم ينجحوا فى إخفاء قلقهم . أوغل الليل ، فأحسست البرد فى عظامى ، نهضت لأحضر غطاء إضافيا ، دهشتى كانت هائلة حين وجدته داخل خزانة الملابس ، بين أنيابه قميص ،والملابس معظمها ممزقة .

قال أبى : السم !

قلنا : السم

أحضرنا السم زعافا ، وضعناه مغمسا بالأطعمه فى أركان الحجرات ، جليا للأعين ، وتركنا النور مضاء .

فى الصباح قمنا نبحث يحدونا يقين أنه حتما سيوجد ميتا فى غرفة ما ، وخشينا أن يموت فى ركن ، لا تصل إليه الأعين ، فتفسد رائحته المكان ، إلا أننا دهشنا حين أخبرنا أخى أنه شاهده يمرق مسرعا مختبئا داخل موقد البوتاجاز .

قلنا : وسيلة أخرى

قالت أمى : المصيدة !

أحضرنا مصيدة ، كبيرة أنيقة ، زوّدناها بقطعة من اللحم ، حرصنا أن تبدو فى مكان ظاهر ، فوضعناها فى الطرقة ، علمنا أن للفأر حاسة إبصار قوية ، فأطفأنا الأنوار ، حتى تبدو الأمور عادية .

فى الصباح قفزنا من الأسرّه مذعورين ، حيث المصيدة مقفولة على إصبع أمى ، والدماء تملأ الأرض .

وجمت الوجوه ، ودب القلق فى النفوس ، فألقت الأعين فى حيرة ،

قالت أختى : القطط !

قلنا : القطط

ملأنا البيت بالقطط ، جميلة ، لطيفة ، حرصناأن تبدو قوية ، فأطعمناها الجيد من الطعام .

قلنا إن للفئران رائحة وإن القطط تشم رائحة الفئران ، ولن يمضى وقت قصير ، إلا والفأر بين أنياب القطط .

مازلنا نتنادر بحكايات القطط والفئران حتى وهن الأمل فى تغيير الأمور ، فالقطط تأكل ما خلفه ، الفضلات ، والرائحة الكريهة . على الأرض والنوافذ وحيطان البيت ،والفأر يمرح متلفا الطعام ، والملابس والكتب ، مفسدا رائحة المكان .

واتت أبى تلك الفكرة فى مساء ذات الليلة التى عدنا فيها من الخارج متأخرين ، طرحها باستفاضة على أمى ، فأبدت ترددا ، أعادها علينا فظللنا طوال الليل نناقشها ، وأبدينا تخوفا على الأثاث والمفروشات .

قالت أختى : ربما قتلنا الدخان ؟

قال أبى : تلك الليلةنترك البيت .

قلنا :وكيف نصنع دخانا ؟

قال أبى : هذه ليست مشكلة ، الأقمشة والملابس القديمة نشعلها .

أعددنا الأقمشة، وضعناها فى أماكن مختلفة من البيت ، حرصنا على إغلاق النوافذ ، وسد عتبات الأبواب .

نزعنا أسلاك الكهرباء ، وتأكدنا أن كل شىء معد بدقة . غادرنا البيت تاركين قطع الأقمشة مشتعلة .

لما عدنا فى الصباح . وجدنا جمعا هائلا من الناس ، ملتفا حول المنزل وألسنة اللهب تندلع متدفقة من النوافذ وعبر الأبواب .

بمساعدة الآخرين أمكننا إطفاء النار . تحركنا صوب الباب المغلق يحدونا أمل أن الأمر قد انتهى تماما ، وأن علينا فقط أن نأتى بأثاث جديد ، وأن نعيد طلاء المنزل ، وربما احتجنا تجديد شبكة الكهرباء . دنونا من الباب ، لما انفتح ، وجدناه . . . ، ضخم ، خرافى الحجم ، ذو شارب منتصب دقيق ولونه أبيض ناصع ، ينتظرنا .

القاهرة : خالد عبد المنعم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مسرحية

مباراة بلا نتيجة

محمد أبو العلا السلاموني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(المنظر)

(الوقت مساء - مقهى قديم مكتوب عليه « مقهى الأفندية » - المقهى يكاد يكون خاليا - فى المقدمة رجل متوسط العمر وشاب يجلسان إلى منضدة يواصلان حديثا كان قد بدأ منذ زمن وجيز .)

* * *

الرجل : نعم نعم . . . ولكنى لم أرك اليوم فى العمل . .

الشاب : كنت فى إجازة عارضة . .

الرجل : خير إن شاء الله . . ؟

الشاب : لا شىء . . مجرد إجازة . .

الرجل : لإعداد ذلك المشروع الذى تود عرضه على المدير . . ؟

الشاب : كلا . . لقد نفضت يدى منه . .

الرجل : لكن . . لماذا . . ؟

الشاب : لا شىء . . رأيت أن أنفض يدى منه . .

الرجل : هكذا بكل بساطة ! . مثل المشاريع الأخرى . . ؟

الشاب : نعم . .

الرجل : أتنوى تصميم مشروع أضخم . . ؟

الشاب : لا مشاريع على الإطلاق . .

الرجل : تنوى إذن أن تتفرغ لمواصلة الدراسة فى الكلية .

الشاب : ولا هذه أيضا ياسيدى . .

الرجل : عجيب حقا . . ماذا هناك إذن . . ؟

الشاب : لا شىء . .

الرجل : لا شىء . . ؟ مستحيل . . لابد أن هناك ما تفكر فيه . . آه . . هى إذن تلك الاوزة . . (ضاحكا) أليس كذلك . . ؟

الشاب : (يضحك فى تصنع) الإوزة . . آه . . حقا . .

الرجل : نعم . . حينما يحب الرجل يفقد اهتمامه بكل شىء آخر . .

الشاب : حسنا . . لندع هذا الآن . . هل لك فى مباراة طاولة . . ؟

الرجل : نعم بكل سرور . . ولكن . . ماذا حدث للكون . . ؟

ألم تضرب عن لعب الطاولة منذ وقت طويل . .

الشاب : ألا ترى أن هذا مشروع يستحق الاهتمام . . ؟

الرجل : (ضاحكا) آه . . إذا كان الأمر كذلك فلا شك أنه سيكون مشروعا رائعا أتمنى أن تمضى فيه مثلى إلى الأبد . .

الشاب : أنا أرجو ذلك أيضا . .

الرجل : (ينهض ليحضر طاولة من ضمن مجموعة كبيرة على الرف) أعتقد أن أعظم مشروع بالنسبة لى منذ أن تزوجت حتى الآن هو اكتشافى لتلك اللعبة الرائعة . . فى هذة اللعبة ياعزيزى اكتشفت مواهبى الدفينة . . لست أدرى ماذا كان عساى أن أفعل لو لم توجد هذه اللعبة . .

(يضع الطاولة على المنضدة ويجلس)

الشاب : حسنا . . سوف نرى . .

(يفتح الطاولة)

الرجل : نعم بالتأكيد سترى . . هه . . خذ الزهر . . زد . .

(يلقى كل منهما زهره)

أرأيت . . سألعب أنا أولا . .

(يبدآن فى اللعب طوال المشهد دون توقف)

إننى ألقى الزهر بطريقة مبتكرة . . أترى ؟ « دبش » ! بهذه الطريقة أستطيع أن أصل إليك . . العب . . آه . . يبدو أنك نزلت عن مستواك السابق . . ولكن لا بأس . . مادمت تتمرن هكذا ستكون فى مستوى أرقى . . آه . . « دوسة » عظيم . . دعنى أغلق هذه الخانة . . أعتقد أنك تركت اللعب منذ ثلاث سنوات . . منذ ذلك اليوم المشهود الذى التحقت فيه بالعمل تلك الأوزة البيضاء . .

(يضحك)

الشاب : من تعنى ؟ . . تقصد ؟

الرجل : وهل هناك غيرها أيها العاشق الولهان ! .

الشاب : حقا . . لقد نسيت . .

الرجل : نسيت . . ؟ أتنسى خطيبتك . . ؟

الشاب : أعنى . . أوه . . « شيش دو » يالها من لعبة لعينة ! .

الرجل : آه . . ستضطر أن تخلى تلك الخانة . . حسنا . . سآخذها أنا . . ولكنك لم تقل لى . .

الشاب : ماذا ؟

الرجل : أريد « دويك » فقط . . حينئذ . . ياسلام . . إنها « دويك » بحذافيرها . . ألا ترى أننى ملهم ياعزيزى ؟

الشاب : نعم . . إنه إلهام حقا . . أوه . . ياللعنة . . لم أكن أريد هذا « الدو »

الرجل : إنه أحسن من غيره . . فلنحمد الله . . أترى لو كان هذا الذى جاءك قد جاءنى . .

(يضرب الحجر بعنف)

ومع ذلك لا أدرى كيف تخلّيت عنه .

الشاب : إنه لا يجدى على أية حال . .

الرجل : ولكنك كنت قد صممت أن تعرضه على المدير

الشاب : إننى أبغضه . .

الرجل : ومع ذلك فهو رجل طيب . .

الشاب : هذا الزهر . . كم أود تحطيمه . . يعطينى مالا أريده .

الرجل : أعتقد أنه كان سيعطيك كل الإمكانيات . .

الشاب : أتظن ذلك ؟

الرجل : أتريدنى أن أكلمه . . إنه لن يرد لى طلبا . . أترى ؟ عليك أن تختار . . إما هذه أو هذه . .

الشاب : سأرحل من هنا . .

الرجل : ولماذا ؟

الشاب : يتحتم على ذلك . . كنت أريد أن أقوم بأشياء كثيرة . . لا أدرى كيف تخلّيت عنها كلها . . أو ربما هى تخلّت عنى . .

الرجل : حاول وارْمِ الزهر جيدا . . فربما أنقذك من تلك الورطة . .

الشاب : لا أمل !

الرجل : أرأيت ؟ لقد أنقذك فعلا . . لا أريدك أن تفقد الأمل سريعا هكذا . .

الشاب : ومع ذلك لا جدوى هناك . . انظر . . لقد أغلقت الخانات كلها . .

الرجل : ما كان يجب أن تفعل هذا . . لو أنك فقط كنت قد تحركت من هنا . . ؟

الشاب : على أن أظل فى هذا الحصار . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرجل : قلت لك لا تيأس . . إلعب . . فيم تفكر . . ؟ لقد قلت لى إنك نسيت . . ما أظنك كنت تعنى أوزتك الجميلة ؟

الشاب : كلا بالطبع . . ولكنى مع ذلك نسيت . .

الرجل : مهما يكن من أمر . . فهى مدة قصيرة . . . إن المذاكرة لا تنسى لعب الطاولة بهذه السهولة . . هل أجتزت « التيرم » الأول ؟

الشاب : أظن لا . .

الرجل : هذا خير على أية حال . . لقد تحسّن لعبك . .

الشاب : إلى حد ما . . ولكنه مازال . .

الرجل : لم تكن الأسئلة صعبة على ما أعتقد ؟

الشاب : لم أحل منها سؤالا واحدا .

الرجل : لماذا . . ؟

الشاب : لم أدخل الامتحان . .

الرجل : ولماذا . . ؟

الشاب : لم أرد ذلك . .

الرجل : أوه . . ولماذا . . ؟

الشاب : كان شيئا سخيفا . . أتظن أن دخول الامتحان شىء طيب . . أنا لم أصادف فى حياتى مواقف أسخف من فترت الامتحان . .

الرجل : حقا . . أنا معك فى هذا . . إنها لعبة سخيفة . .

الشاب : وخاصة تلك الترات التى تعقبه . . كلنا ينتظر النتيجة وأيدينا على قلوبنا وكأننا يوم الحساب . . ومع ذلك . . ماذا تجدى فى النهاية ؟

الرجل : نعم . . نفس اللعبة . .

الشاب : دائما . . ولهذا . .

الرجل : عليك أن تلعب هذه . .

الشاب : لا .

الرجل : ولكنها خطيرة . .

الشاب : لا بأس . . إننى أفضلها . لك أن تمسكها . . أعرف أنك ستمسكها . .

الرجل : حسنا . . مادمت ترغب . . آه . . أرأيت . . لا أمل فى إمساكها . .

الشاب : كنت أود أن تمسكها .

الرجل : هل تتخلى عنها بتلك السهولة

الشاب : لقد تخليت بالفعل . . لم يعد هناك ما يربطنى بها . .

الرجل : أنصحك ألا تفعل . .

الشاب : لم أعد أميل إليها

الرجل : كيف . . ؟

الشاب : لا أدرى . .

الرجل : لا تدرى . . ولكنك تستطيع . .

الشاب : لا أستطيع . . رغم أنها مازالت تحبنى . . أنا لا أدرى ماذا أقول . . إننى لا أكرهها بالطبع . . ولكنى لم أعد أحبها . . هذا هو كل شىء . .

الرجل : هل مللتها . . ؟

الشاب : ربما . . لا أدرى . .

الرجل : لم أسمع فى يوم ما عن ملل فى حب كهذا . . ولكن ما موقفها . .

الشاب : مازالت تبثنى كلمات الحب والغرام . . شىء بشع . . تصور أنها تتذلل إلىّ لكى أستمر فى حبها . . تبكى أمامى من أجل ذلك . .

الرجل : عجيب إنها جميلة . . أجمل فتاة عندنا . . كل رجل يتمنى نظرة منها . . وهى تحبك . .

الشاب : أننى لا أستحق منها هذا الحب . .

الرجل : إنه الحب الأعمى ياعزيزى . . ومع ذلك فأنت شاب عظيم مجد فى عملك . . أوه . . ياله من « دورجى » عظيم . . أنظر . . لقد تملكت موقعا ممتازا . . ولكنك للآن لم تخرج بقرار حاسم فى هذا الأمر . .

الشاب : بل خرجت به وانتهيت . .

الرجل : هل سألت قلبك قبل كل شىء . . ؟

الشاب : لقد صار قاسيا . . لا يهتم بشىء . .

الرجل : قلت لك إنه رجل طيب . .

الشاب : لا أظن هذا . .

الرجل : هل تحدثت إليه من قبل . . ؟

الشاب : كثيرا . . لابل قليلا على ما أعتقد . .

الرجل : حاول أن تكلمه مرة ثانية وسأكون معك . . إنه سوف يساعدك كثيرا . .

الشاب : إنه لن يفعل شيئا . . أنا أعرف ذلك . .

الرجل : لا لا . . إنى أعرفه تماما . .

الشاب : أنا أعرفه أكثر . .

الرجل : هل وقع بينكما خلاف . .

الشاب : لا . . ليس بيننا أى خلاف . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرجل : هل بدرت من أحدكما نحو الآخر تصرفات سيئة : .

الشاب : لا . لا شيء على الاطلاق . .

الرجل : إذن فليس بينكما أى خلاف . .

الشاب : بالتأكيد . .

الرجل : وإذن فكلاكما مازال يحب الآخر . .

الشاب : لم أعد أحبها . .

الرجل : ولكنها تحبك . .

الشاب : أعلم هذا . . ولكن ما جدوى ذلك . . ما جدواه . . ؟

(يضرب الحجر بعنف)

الرجل : ياللحظ . . أتدرى أنك فتحت لى طريقا ؟

الشاب : كم أكره تلك « الدوسه » اللعينة . .

الرجل : حقا . . إنها وراءك دائما . .

الشاب . ولكنى لن أهتم بها . .

الرجل : هذه قسوة . .

الشاب : لا يهمنى أيضا . . ومع ذلك كنت على موعد . .

الرجل : متى ؟

الشاب : لا أذكر . .

الرجل : غدا سأكون معك على أية حال . .

الشاب : لعله الآن . .

الرجل : سنحدد معه موعدا آخر ثم ندخل إليه سويا . .

الشاب : لقد بكت إلى لأعدها بذلك الموعد . .

الرجل : وإذن ؟

الشاب : لا أدرى متى كان هذا الموعد . . لقد نسيته تماما . .

الرجل : حاول أن تتذكر . .

الشاب : حتى لو تذكرته . . فلست أرغب فى هذا اللقاء . .

الرجل : سوف نحدد موعدا آخر . . عليك فقط أن تنتظر بعض الوقت . . لعل الموقف ينجلى . .

الشاب : كلا . . سوف أرحل من هنا . .

الرجل : ولكنك ستخسر المباراة . .

الشاب : إنها خاسرة بطبعها . .

الرجل : أرجوك دع اليأس . . أتمنى لو تلاعبنى وفى نفسك أمل فى الفوز . .

الشاب : أنا أتمنى ذلك كثيرا . . ولكن انظر . . إنه ليس بيدى . .

الرجل : بل بيدك . .

الشاب : من المؤسف حقا أنه يبدو بيدى . . ولكنه ليس بيدى . .

الرجل : لو كنت محترفا مثلى لأدركت ذلك . .

الشاب : ياسيدى لقد أفلت منى زمام اللعبة . .

الرجل : ليس كثيرا ياعزيزى . .

الشاب : أنت فى حالة طيبة جدا بعكس ما أنا فيه . . لم أخرج للآن من ذلك الحصار . .

الرجل : حصار محكم حقا . . آه لو أنك تستطيع التحرك من هنا . .

الشاب : أملى فى « الدوسيه » . . إنها منقذى الوحيد . . أعرف أنها لن تأتى وان انطبقت السماء على الأرض . . انظر . . إننى محاصر تماما . . لا أمل فى الرحيل . .

الرجل : فكر فى الخلاص . . أمامك فرصة . .

الشاب : لقد فكرت فى ذلك منذ مدة . . وكان على أن أنتهى . . ولكن لا أدرى ما الذى منعنى حتى تلك اللحظة . .

الرجل : يجب أن تفكر تفكيرا جديا فى الزواج . .

الشاب : مهما يكن من شيء فقد انتهيت اليوم من التفكير . .

الرجل : وإلام انتهيت . . ؟

الشاب : انتهيت إلى . . آه . . لا أدرى . . ولكن أعتقد أننى انتهيت من التفكير . . هذا ما أذكره . . انتهيت حينما كنت أغسل قدمى كانتا تؤلمانمن كثرة المشى فى ذلك المساء الرطب حينئذ انتهيت تماما وخلعت ملابسى ونمت نوما عميقا بعد أن تناولت عشاء جافا آلمنى فى بطنى كثيرا . . كانت تجربة قاسية . . من الجنون أن يظل الإنسان يمشى كثيرا بلا جدوى . . ثم ينتهى الأمر إلى آلام فى قدميه وآلام فى بطنه . . كان ذلك بالأمس . . أو أول أمس . . لا أذكر بالضبط . . فكل الأيام متشابهة . . إلا أننى امتنعت عن المشى تماما وعن الطعام الجاف . . بعد أن قاسيت من تلك التجربة . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرجل : الحياة تجارب ياعزيزى . . والرجل حقا من يجرب بحساب . .

الشاب : نعم هذا ما يجب . . ولكن ما هذا . . ؟ أنت تسرق . .

الرجل : أنا . . ؟

الشاب : نعم . . هذه سرقة ياسيدى . .

الرجل : مستحيل . .

الشاب : ما هذا إذن . . ؟ أهذه « جهار شيش » ؟

الرجل : نعم . . إنها « شيش جهار » أنظر . . ؟

الشاب : إنها « جهار شيش » وليست « شيش جهار » .

الرجل : آه . . حقا . . سألعبها إذن « جهار شيش » . . ولكن . . انظر . . أليسا هما سواء . .

(يضحك)

الشاب : أترى ذلك . . شىء عجيب . . كثيرا ما يبدو الأمر عكسيا تماما

الرجل : يحتاج الإنسان إلى التفكير كثيرا فى هذه اللعبة . .

الشاب : نعم . . التفكير كالآلة تماما . . شىء ممل . . أتظن أن الإنسان الآلى يفكر مثلنا . .

الرجل : إنه يفكر بحساب بالطبع ولكن . .

الشاب : ولكنه سيكون أحسن حالا منا . . فهو لن يمل التفكير مثلنا . .

الرجل : قد يصيبه الخلل . .

الشاب : ومع ذلك لن يصير مجنونا . .

الرجل : ولكنه سيتوقف . .

الشاب : ليت الإنسان يتوقف عن التفكير لحظة واحدة . .

الرجل : ألم أقل إنك انتهيت من التفكير . .

الشاب : نعم . . سوف أكتب الاستقالة . .

الرجل : استقالة . . ؟

الشاب : لقد كتبتها بالفعل . . ولم يعد سوى إمضائى . .

الرجل : إنه أمر يستحق التفكير . .

الشاب : إننى أفكر فى شىء آخر . . متى أؤرخ الاستقالة . . ؟

الرجل : فى نفس اليوم الذى تسلم فيه الاستقالة . . ؟ أليس هذا هو المفروض . . ؟

الشاب : نعم . . ولكنى أود أن أكتب تاريخ الأمس . . لأنه نفس اللحظة التى قررت فيها الاستقالة . . كانت قدماى تؤلمانى ألما شديدا . . وكان هذا حريا بأن يجعلنى أكتب ألف استقالة واستقالة

الرجل : أتقول استقالة . . ؟

الشاب : نعم . . كان شيئا فظيعا . .

الرجل : بحق الله . . ؟ ماذا تعنى . . ؟

الشاب : ماذا أعنى . . ؟ لا أعنى شيئا بالطبع . . هل تراني اهتم بشىء الآن . . ؟

الرجل : ظننت أنك فكرت فى الاستقالة من العمل . . ؟

الشاب : لا وقت لدى . . دعنى أرى كيف ستلعب هذا « الدويك »

الرجل : لا أهمية لذلك . . أنظر . . لا يهمنى إن كنت ستمسكها أم لا . .

الشاب : حقا . . لا أهمية لذلك . . لم أمسكها . .

الرجل : بل ستمسكها مرغما . . ليس عندك غيرها . .

الشاب : ولكنى سأتركها رغم كل شىء . . لقد انتهيت إلى هذا القرار منذ لحظة . . لن يحتاج الإمضاء لثوان حتى ينتهى كل شىء . . لقد حزمت أمتعتى . . ولو لا أننى تأخرت تلك الثوانى لكنت قد وصلت منذ زمن طويل . .

الرجل : إلى أين . .

الشاب : إلى أى مكان . . لقد رأيت أمس خريطة للبلاد . . فأعجبتنى تضاريسها . .

الرجل : هل تهوى الخرائط الجغرافية . .

الشاب : لولا تلك الثوانى لكنت الآن فى سيناء أو الصحراء الغربية أو الصحراء الشرقية . . أو أى صحراء . .

الرجل : لماذا . . ؟

الشاب : لماذا . . ؟ هذا سؤال محير . . لقد سألت نفسى هذا السؤال . . ولكن مالفائدة . .

الرجل : أنت لم تسألها جيدا . .

الشاب : ربما . . أتدرى أنه قد ازداد وزنها وترهلت أكثر مما يجب . .

الرجل : حقا . . لقد لاحظت نحافتها وشحوبها . .

الشاب : كانت شهيتنا مفتوحة دائما كلما جلسنا لنأكل على النيل . . كان ذلك فى الأيام الأخيرة . . أما قبل ذلك فقد كنا لا نأكل إلا قليلا . . كان كل منا ينظر إلى الآخر فى هيام . . ثم نشبع ثم نسير سويا فى الحدائق وأقول لها هامسا : أترين الزهور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يـاحبيبتى . .؟ فتقـول لى : إنها جميلة كهمساتنا . . ثم أقول لها : إن الجو اليوم لطيف ياعزيزتى . . فتقول : . . الدنيا من كلها لطيفة اليوم ياحبيبى . . وعندما يأتى الظلام أقبلها خلسة ونعود ثانية ونهمس . . إلى اللقاء . . إلى اللقاء . . هكذا كل مرة . . ومنذ مدة قلت لها : ياعزيزتى يجب أن نريح أنفسنا بعض الشىء من عناء ذلك التلاقى . . وأمس جاءت إلى وتذللت وبكت وطلبت منى أن أعدها باللقاء . . فوعدتها . . وهأنذا لا أذهب . .

الرجل : عليك إذن أن تذهب والا أمسكتك فى تلك الخانة . . هل تذهب . .؟

الشاب : إنى لا أذكر الموعد . . هل تتذكره أنت . .؟ بالطبع لا تتذكره . . كم الساعة الآن . .

الرجل : الساعة . .

الشاب : نعم . لقد نسيت ساعتى فى البيت . .

الرجل : الساعة الآن . . (ينظر إلى الساعة بلا إمعان) « شيش بيش »

الشاب : « شيش سيه » ألا ترى . . ؟

الرجل : إنها « شيش بيش » إلعب . .

الشاب : ولكنها « شيش سيه » . . أعد . .

الرجل : (ينظر إلى الساعة ثانية ويلقى الزهر) أرأيت . . ! شيش بيش . .

الشاب : أهذه « بيش » أم « سيه » . .؟

الرجل : دعنى أرى . . إنها « سيه » بالطبع . . ألم أقل ذلك . .؟

الشاب : نعم نعم . . ظننت أنها الساعة . .

الرجل : آه . . أعتقد أن ساعتى واقفة . .

الشاب : أحقا . . كان على أن ألحق بالقطار منذ لحظة . . لا بأس . . إنها ستنتظرنى كثيرا . . أظن هذا . . ولكنها لن تنتظرنى على أية حال . . قد تكون قد ألقت بنفسها فى النيل . أو فعلت أى شىء بنفسها . . لقد هددتنى بالانتحار إذا لم أحضر . .

الرجل : الانتحار . .؟ .

الشاب : ليس هذا من المستبعد . . إنها مجنونة . .

الرجل : تعلم هذا ثم لا تذهب . .؟

الشاب : وماذا أفعل . .

الرجل : اذهب فى الموعد المحدد . . ألم تتفق معها على موعد . !

الشاب : بلى . . ولكنى لا أذكر الموعد . .

الرجل : اذهب وانتظرها إلى أن يحين الموعد . .

الشاب : أين . .؟

الرجل : ألم تتفقا على مكان اللقاء . .

الشاب : بلى . . كلا . . لا أذكره أيضا . .

الرجل : ياإلهى . . إلعب إلعب . . هذه لعبة مدهشة . . أصبحت الآن فى مأزق . .

الشاب : حقا . . لقد أصبحت فى مأزق . .

الرجل : هذا حسن . . عليك أن تذهب من هنا . .

الشاب : سأذهب بالتأكيد . . ولكن متى . .؟

الرجل : فى الموعد المحدد . .

الشاب : لقد نسيت كل شىء عن هذا الموعد . . شىء غريب . . إن ذاكرتى قوية . . قوية جدا . .

الرجل : أنت فقط لا تهتم . .

الشاب : نعم . . لقد مر على المدير منذ أسبوع وقال لى : لقد أصبحت مهملا وهذا ما لم أعهده فيك . . قلت له حينئذ : لم يعد هناك سوى بعض الإمضاءات ياسيدى . . بضعة أوراق قليلة ولن تحتاج للمراجعة . . . وكانت هى تلحظنى بأهدابها . . وقالت لى : أنت لم تعد تهتم بشىء . . تعتقد أنك ممتاز ولست فى حاجة إلى هذه الأشياء التافهة . . قلت لها وأنا أتثاءب ياعزيزتى إنك فتاة جميلة جدا . . ومن المؤسف حقا أن تقولى لى ذلك . . فسألتنى عما أعنى فتوسدت الأوراق ولم أستيقظ إلا حينما جاءتنى لتقول لى : انتهى وقت العمل . . اذهب لتنام فى البيت . .

الرجل : مدهشة هذه « الدوبارة » . . ولكن ماذا قلت لها . .

الشاب : أمس قلت لها عليك أن تحتقرينى فأنا أحتقر نفسى . . وأحتقر امتيازى . . إننى لست ممتازا كما تتصورين . . إننى رجل فاشل يحطمه العجز والإحباط . . عليك ياعزيزتى أن تتيقنى أننى لست جديرا بالزواج منك . . دعينا نفترق فى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سلام . . ولكنها قالت لى متشبثة : أنت عظيم وإنسان ممتاز وسوف تحقق طموحك فى حياة أفضل . . ولن أفترق عنك . . إنى أحبك وأثق فى قدراتك . . وقالت كلاما كثيرا ولا أذكر بعد ذلك إلا أنها كانت تطلب منى اللقاء خارج العمل فى ذلك الموعد الذى نسيته تماما . .

الرجل : لا بأس ياصديقى . . الإنسان كثيرا ما ينسى وجل من لا يسهو . . إلعب ياعزيزى . . « هابيك » . .

الشاب : هل تعتقد أنى ممتاز حقا . . ربما كنت كذلك من قبل . . عندما خيل إلى أن كل شىء يمكن تحقيقه بتسلسل منطقى سليم كل حسب مقدرته وجهده . . ولكن هل أنا كذلك الآن بعد أن أدركت هذا التصدع المريع . . أظن لا . . لا . . ألست معى فى هذا . . ؟ آه . . ولكنك مع ذلك تسرق بخفة عجيبة . . ؟ دع هذا الحجر مكانه . . .

الرجل : ماذا . . ؟ إنه فى مكانه لم يتحرك . .

الشاب : بل تحرك من هذا المكان . .

الرجل : أقسم لك أن هذا غير صحيح . .

الشاب : دعنى أتذكر أين مكانه الحقيقى . .

الرجل : لا يمكن لأحد أن يعرف ذلك . . إن الأحجار تتحرك من لحظة لأخرى . . لا يمكن أن تتذكر أين كان هذا الحجر منذ لحظة ربما تحرك . . وربما لم يتحرك . .

الشاب : وما العمل إذن . . ؟

الرجل : على كل منا أن يثق بالآخر . .

الشاب : مضطرا . . ؟

الرجل : هل لديك حل آخر . .

الشاب : حسنا . . أكمل اللعب . . . ربما سافرت الآن فى القطار القادم . .

الرجل : إلى أين . . ؟

الشاب : إلى الإسكندرية . .

الرجل : ولكنك كنت تتكلم عن سيناء والصحراء . .

الشاب : نعم . . ولكن القطار القادم ذاهب إلى الإسكندرية ولا أريد أن يفوتنى القطار بعد ذلك .

الرجل : أنظر قطار صباح الغد . . إنه ذاهب إلى أسوان . . وإذا رغبت فأمامك قطار إلى السويس بعد ساعتين . . إنه أفضل على ما أعتقد . . ؟

الشاب : أهذا رأيك . . ؟

الرجل : نعم . . ولكن ماذا ستفعل فى العمل . . ؟

الشاب : سأقدم الاستقالة . . ولكنى لم أمضها بعد .

الرجل : وماذا ستفعل . . ؟

الشاب : سأسلمها لك لتقديمها للمدير . .

الرجل : إنى أهنئك مقدما . .

الشاب : شكرا جزيلا . .

الرجل : إن المشروع سيعجب المدير بلا شك . .

الشاب : أتظن هذا . . ؟

الرجل : بالتأكيد . .

الشاب : ولكنى مزقته للأسف . . وألقيت به فى سلة المهملات . .

الرجل : هذا أفضل . . ولو أنى لا أفضل أن تستقيل . .

الشاب : سأبحث عن عمل آخر . .

الرجل : ما نوعه ؟ . .

الشاب : لا أعرف . . أريد عملا فقط . . ولكن يبدو أننى سأفشل فى القيام به . . ولكن . . ماذا هناك يمكن أن يعمله الإنسان الآن . . ؟ خصوصا إذا كان يفكر تفكيرا منطقيا . . آه . . أتمنى لو أننى أعمل هرما . . أذهب إلى الجبال وأنحت الصخر ثم أحمله عبر النيل وأرص الحجر بجانب الحجر وأظل هكذا عشرين عاما ثم أنتظر موت الملك لأدفنه داخل الهرم وأغلق عليه . . وأمكث عليه حارسا من اللصوص . . وعندما أشعر بدنو أجلى أتسلل داخلا إلى الهرم وأغلقه على ثم أموت بداخله . .

الرجل : هذا عمل عظيم . .

الشاب : نعم . . عمل عظيم ولكن لا جدوى منه على الإطلاق فى هذا الزمان . . أترى . . ؟

الرجل : حسنا . . إلعب . .

الشاب : لقد تدهور كل شىء . .

الرجل : لا تيأس . .

الشاب : هل أعتمد على الحظ . .

الرجل : على أية حال لا يخرج الأمر من يد الإنسان . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاب : أترى من الممكن تحقيق أى شىء .

الرجل : بالقدر المعقول . . العب . . ارم الزهر . .

الشاب : هأنذا ألقيه . . ومع ذلك فهو يتحكم فى . .

الرجل : أنت لست محترفا . . ليس الحظ دائما . .

الشاب : بل هو . . ذلك القدر العاتى . .

الرجل : من الصعب أن يلوم الإنسان نفسه . .

الشاب : إنه مسكين . . ماذا يمكن أن يعمله رجل ممتاز ياسيدى . .

الرجل : الكثير . . هذه لعبة ممتازة . . أترى . . أننى أحسدك عليها . .

الشاب : وما الفائدة . . ؟

الرجل : إنها خطوة . .

الشاب : خطوة ضائعة فى فضاء خاو . . مثل شهاب يتهاوى . .

الرجل : إنه يرجم الشيطان . .

الشاب : نعم . . ذلك الملعون المسكين . . لقد تبينت خواءه . . لم يعد يملك شيئا . . إنها مهمة شاقة تافهة . . إنه مخلوق ممتاز . . ولكنه هوى . .

الرجل : فعلا . . لا جدوى من تلك اللعبة . . سأترك لك هذه الخانة . .

الشاب : لن آخذها . . إنها لا تتعدى سد خانة . .

الرجل : حقا . . ومع هذا فأنت تلعبها . .

الشاب : علىّ أن ألعبها وإلا أرغمت عليها . . يبدو أنه من الأفضل أن أكون جانيا قبل أن أصبح مجنيا عليه . .

الرجل : أنت على حق . . الظروف ترغمنا فى بعض الأحيان . . ومع ذلك فإن ماأرغم عليه أكون سببا فيه على أى نحو . . . أترى . . إننى مرغم الآن أن أترك لك هذه لتمسكها . . ولو أننى كنت قد وضعتها من قبل فى ذلك المكان . . لما حدث هذا . .

الشاب : منطق رائع . . أترى . . أكان على إذن أن ألعب هذه من قبل هنا فى هذا المكان حتى أمسكها . . ولكنى لم أفعل . . ومادمت قد وضعت الحجر هنا . . على أن أتحمل ذلك الخطأ لأنه خطئى . وعلىّ أيضا أن أتحمل ذلك التسلسل من الأخطاء . . وعلى أن أقاوم وأعمل على إصلاح الخطأ طوال الوقت . . آه . . ألا ترى ياسيدى أن القضية خاطئة من أساسها . . كل شىء لا أساس ولا منطق له . . إننا نبدأ من لا شىء ومن حقنا أن ننتهى إلى لاشىء . . لماذا أنا مطالب بتحقيق أشياء لا معنى لها ؟ لماذا أبنى كل هذا السراب . . ؟ لماذا يجب أن أكون ممتازا مادام هذا الامتياز لا يحقق شيئا حقيقيا ؟ لماذا أحارب فى جهة كلها طواحين هواء تدور وتدور وتثير ضجيجا مزعجا ! . .

(يدق بأحد الأحجار)

دعنى أصارحك ياعزيزى أن هذا الزهر يفسد علىّ كل شىء . . كل خططى . . كل مشاريعى . .

الرجل : لا . . لاتلق عليه اللوم . .

الشاب : إننى أحركه وهو يتحكم فى بقسوة لا مبرر لها . . لا تتعادل ومقدار حركتى له . .

الرجل : إننى أحركه بطريقتى المبتكرة . .

الشاب : هراء . . إنه مجرد توافق . . إنه يعطيك وفى نفس الوقت لا يعطينى . . وهذا دليل على تحكمه العاتى . .

الرجل : إن اللعب يستدعى انتصار أحد الطرفين . . إذا لم يكن أنا فهو أنت . . وهكذا . . هذا هو حكم المباراة . .

الشاب : إذن ما معنى كل هذا الجهد . . ليس . . أحدنا مكلفا بأن يصبح مغلوبا إذا انتصر الآخر . . وليس من العدل أن ترجح كفة على حساب الأخرى . . هذه عدالة ظالمة . . منطق فاسد . .

الرجل : المغلوب لا يبذل قدر الجهد الذى يبذله الغالب . .

الشاب : لقد بذلت كثيرا . . وها هى ذى النتيجة . . بعد كل هذا الجهد أظن أن من واجبى أن أهمل كل شىء . . سأترك سلاحى وأسلم نفسى . . فليأخذونى أسيرا . . ماذا سيفعلون بى . . سيلقون بى فى زنزانة رطبة . . وقد يرغمونى على أن أقول شيئا . . فأقول قبل أن يستعملوا أدواتهم . . وعندئذ لن يكون هناك ما أعمله أو أفكر فيه . . ستكون الحقيقة هناك خاوية تماما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كصحراء ممتدة للآفاق . . ولن يكون فيها ذلك الزهر العابث . . ولذلك سألعب بحرية مضمونة . . قيودى ستكون هنا فى داخلى لا سيطرة لأحد عليها . .

الرجل : نعم . . نعم بالطبع . . ولكن مارأيك فى تلك اللعبة ؟

الشاب : حسنا . . إنك ستغلبنى بلا شك . .

الرجل : أمامك فرصة أخرى . .

الشاب : كلا . . سأنتهى من هذا الدور فقط . .

الرجل : ألا تريد أن تنتقم . .

الشاب : هل هذا هو المعادل الأخير . . ؟

الرجل : ربما انتصرت . .

الشاب : ربما . . نعم ربما . . هذه هى اللعنة . . العب ياعزيزى . . علينا أن ننتهى . . كم مضى من الوقت . . ؟

الرجل : لا أذكر . . العب . .

الشاب : لا شك أن الموعد قد فات . . نعم . . فات بالتأكيد . . لقد تذكرت الآن . . كان ذلك منذ ساعتين . . أشعر أنه منذ ساعتين . . لاريب أنها انتحرت . . ترى . . هل ماتت . . ربما . . ولكن ربما أيضا أنقذها إنسان نبيل كان يسير على الكوبرى . . عندئذ ستبدأ قصة حب جديدة . . سيحبها بلا شك فهى جميلة . . وستحبه لأنه منقذها . . وسيفكران فى الزواج . . وهكذا تتكرر قصتنا . . أو ربما يكون متزوجا وله أولاد . . فتبدأ المشاكل . . وهكذا وهكذا حتى تتعقد الحياة . . لايدرون أن الأمر بدأ مصادفة عمياء . . لا هدف ولا منطق . . وربما الشرطة فى طريقها إلى التحقيق معى . . فهى لا شك ستقول فى التحقيق إننى كنت السبب . .

(لحظة)

هل مر وقت طويل . . ؟

الرجل : نعم . . أتدرى أن لعبك تحسن كثيرا ؟ بينما أنا أصبحت فى مأزق حرج . . علىَّ أن أخرج منه وإلا . . الشاب : كان على أن أنتهى من الإمضاء . . ياإلهى ! . متى يمكننى أن أفعل ذلك ؟ كم أنا نادم على هذا ! . لقد أصبح الأمر سيئا . .

الرجل : حقا . . إنه سيّء للغاية . .

الشاب : خاصة حينما يسير الإنسان كثيرا . . لقد تعبت قدماى بعد أن سرت فى ذلك المساء وحيدا . . إننى وحيد فى هذا العالم . . لقد مات أبى وأمى وأنا لم أتعدَّ سنَّ الطفولة . . لم يكن لى أخوات . . تربيت وحيدا فى بيت جدتى الوحيدة . . ومنذ أسبوعين أو أكثر ماتت جدتى الوحيدة وانهار البيت القديم بأكمله وكأنما كان ينتظر موتها . .

الرجل : أوه . . البقية فى حياتك . . شىء مؤسف حقا . . العب . .

الشاب : يبدو أننى مسكين حقا . . إننى أتأثر لنفسى كثيرا . . شىء مضحك . . ومع ذلك يقولون إننى شاب ممتاز . . حقيقة تافهة . . ولهذا أفضل أن يقول الناس عنى ذلك . . أفضله حينما يعنون ما يقولون تماما . . هذا عزائى . . كلمة بسيطة قد تعبر عن حقائق ضخمة ولا جدوى منها أيضا . . والآن ياعزيزى . . ألم ينته الدور بعد . . ؟

الرجل : ياللحظ السيىء ! . . لقد انقلب الدور لصالحك . . أصبحت تلعب لعبا جيدا . .

الشاب : أنا ؟ صدِّقنى ليس هذا صحيحا . .

الرجل : لا أدرى كيف حدث هذا . . ولكنى لن أيأس . . أمامى فرصة العب . .

الشاب : حسنا . . دعنى ياسيدى ألعب هذه هنا . .

الرجل : بل هنا من الأفضل لك . .

الشاب : لا يهم

الرجل : أنت تصدع موقفك تماما . . هذا خطأ كبير . .

الشاب : إنه خاطىء من أساسه . .

الرجل : لا أدرى ماذا يمنعك ؟ . . إلعب . . أوه . . لعبة رائعة . .

الشاب : ها هى ذى . .

الرجل : لماذا تركتها ؟ ياالهى ! اسمح لى هذا أشنع خطأ يمكن أن يرتكبه لاعب . .

الشاب : لا بأس ياسيدى . . ماذا يهم ! .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرجل : إنك لا تهتم باللعب . . مازلت تستطيع الفوز . .

الشاب : لا أرغب فى ذلك . . يمكنك أن تفوز أنت . .

الرجل : إذا كنت تلاعب شخصا غيرى . . فسيعتبرها إهانة . .

الشاب : آسف ياسيدى . . ليس هذا قصدى . .

الرجل : حسنا . . العب . .

الشاب : أتسمح لى بالانسحاب . .

الرجل : هل أسأت إليك . . ؟

الشاب : كلا . . لا أودّ أن أحمِّل الأمر أكثر من طاقته . .

الرجل : كم يؤسفنى هذا . .

(يغلق الطاولة)

الشاب : علينا أن ننتهى بروح رياضية . . لقد كانت مباراة شائقة . . إنى أهنئك . .

(ينهض مسلما)

الرجل : شكرا . . ولكن علام تهنئنى ؟ .

الشاب : المنسحب مغلوب . . ولقد كان لعبك رائعا . . والآن . . هل تسمح لى بالانصراف ؟ . .

الرجل : هل ستذهب . . ؟

الشاب : سأرحل الآن فى القطار القادم . .

الرجل : سترحل . . ؟ إلى أين ؟ . .

الشاب : إلى الصحراء . . إليك الاستقالة قبل أن أنسى . .

(يسلمها إليه)

قدمها للمدير لو سمحت . . (لحظة) قد أمر على مركز الشرطة قبل أن أرحل . . سأدلى بما لدى . . الأمر لم يكن بيدى كما ترى . . نسيت الموعد . . هذا كل شىء . . والآن . . (لحظة أخرى) إنكم ستتذكروننى بلا شك . . (ضاحكا) ذلك الموظف الممتاز . . وأنا أيضا سأذكركم فى تلك المناطق النائية . . إننى لا أملك سوى ذكراكم على أية حال . . (لحظة) وداعا ياسيدى . .

(يشد على يده ويخرج)

الرجل : ياإلهى . ! الدموع كانت تلمح فى عينيه . . كم هو شىء محزن ! .

(ينظر إلى الورقة)

أوه . . الإمضاء . .

(ينظر تجاه خروجه وينادى بصوت مختنق)

الإمضاء ياعزيزى . . الإمضاء ! .

(لا يتحرك من مكانه)

ستار

القاهرة : محمد أبو العلا السلاموني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رحلة العبور إلى الأبدية في لوحات الفنان عبد الغفار شديد

عز الدين نجيب

يسدل التاريخ غلالته الترابية على لوحات هذا الفنان ، فيكسبها غموضا ورهبة ، ويضفى عليها الزمن والاغتراب الطويل عن الوطن أطيافا عاشت بمصر منذ آلاف السنين ، لتنفلت من أسر الزمان والمكان والجاذبية الأرضية ، محلّقة فى الفضاء الكونى ، يختلط الحاضر فيها بالماضى . . الخيال بالواقع . . السحر بالحقيقة . . السماء بالأرض . . فتبدو اللوحات مثل موجات أثيرية تنبعث من كهوف ذاكرة الانسان الجمعية ، لتطل علينا كحلم شفيف ، عبر رحلتها نحو الأبدية . .

هذا هو المذاق الأول لأعمال الفنان المصرى « عبد الغفار شديد » بعد أن عاش فى ألمانيا الغربية بعيدا عن وطنه عشرين عاما ، لكنه حمل هذا الوطن فى أعماقه خلال تلك السنين : أغنية حب وألم . . . وتحول هذا الوطن من خلال الفن إلى عقد غير مكتوب للتصالح بين شقى ذاته المنقسمة . . بين الحنين إلى دفء الأهل ، ومشاركة بنى الوطن فى السرّاء والضرّاء ، والتزود بزاد متصل من حضارة الأسلاف العظام . . وبين الولاء لحضارة الغرب التى منحته الحرية والاعتراف والزوجة . . ورأى من خلالها تقدم الإنسان . .

هكذا أصبح (الوطن ـ الفن) عاصمته الدولية ، وعاصمه الأمن من الاحتراق فى هجير منفاه الاختيارى .

وقد أقيم مؤخرا معرض شامل لأعماله فى متحف الفن المصرى القديم بمدينة « هيلدز هايم » بألمانيا الغربية ، استمر ثلاثة أشهر ، تحت عنوان « الماضى كحاضر » ، وأعطى الانطباع للمشاهد الأوروبى باستمرارية عطاء الفن المصرى القديم من خلال أعمال هذا الفنان .

ولقد عرفنا العديد من الفنانين المصريين الذين اغتربوا بأوروبا عشرات السنين ، منهم من تركوا علامات هامة فى الفن المصرى المعاصر ، مثل الفنان الراحل حامد عبد الله ، والفنان المعاصر آدم حنين ، وعرفنا أيضا عشرات الفنانين المصريين الذين عاشوا بأوروبا فترات متصلة أو متقطعة ، للدراسة أو الاكتشاف أو الإقامة ، ثم عادوا إلى الوطن ليستأنفوا رحلة الإبداع ، فى شبابهم أو كهولتهم ، ابتداء من جيل الرواد (مختار ـ ناجى ـ سعيد ـ كامل ـ عياد) . . . إلى جيل الوسط (مثل يونان والجزار ورافع . . .) . . إلى الأجيال التالية حتى اليوم . ورأينا أن أغلبهم اتسم بالازدواجية الثقافية والإبداعية (بين الثقافة الأوروبية والثقافة المصرية) . . وكانت هذه الأزمة تذوب أحيانا (بالزواج السعيد) بين الثقافتين . . (وإن كانت لا تنتهى به) ، وهو ما نلاحظه فى تراث معظم جيل الرواد . . . وأحيانا أخرى كانت تصل إلى استيعاب للفنان المصرى وإذابته داخل المعدة الأوروبية ، ومن ثم : إلى القطيعة التامة بينه وبين الثقافة المصرية وتراثها العريق . . . وأحيانا ثالثة كانت الأزمة تصل بالفنان المصرى إلى عكس هذا الاتجاه ، فيرفض تماما الثقافة الأوروبية ، وينغمس فى خزائن الحضارات المصرية ، يحاكيها بشكل نمطى خال من الابتكار أو الإضافة . . . وهى توجهات تمثل ـ على اختلافها ـ وجوها لأزمة واحدة ، مازالت تمسك بخناق الفنان والمثقف المصرى حتى اليوم . . أزمة البحث عن هوية مستقلة .

وفى اعتقادى أن تجربة « شديد » قدمت نموذجا جديرا بالاهتمام لحل هذه الأزمة ، ليس لكى يكون صالحا لاتخاذه مثلا يحتذى ـ ذلك أن الفن إبداع شخصى غير قابل للاحتذاء ـ ولكنه يشير إلى منهج فى البحث الفنى ، لم يتعمد « شديد » الوصول إليه وتقنينه ، وربما كان نجاحه فيه راجعا إلى غياب هذا التعمد أو (الحذق المهنى) اللذين يضران بالعملية الابداعية أكثر من أى شىء آخر .

إن « شديد » ـ الذى لم ينقطع منذ ربع قرن عن دراسة علم المصريات وعن التواصل الروحى مع الفن الفرعونى أو الطبيعة المصرية فى الريف والصحراء ـ اختزن فى داخله فكرة (العبور الأبدى) بين عالمى الدنيا والآخرة ، وهى ما تقوم عليه فلسفات الأديان كلها ابتداء من مصر القديمة حتى الاسلام . وتبعا لذلك اختزن

أيضا مفهوم التسليم القدرى من جانب الانسان للقوى الغيبية ، وآمن بالنظام الهرمى الراسخ للطبيعة والحياة والفكر ، الذى يصل فى ذروته إلى الوحدانية (فى الفكر المصرى القديم) ، أو إلى التوحد مع الوجود (فى الفكر الصوفى الاسلامى) . . وفى سياق هذا التيار الفكرى ، الذى امتزج بوجدان فنانينا الآتى من قرية صغيرة بدلتا النيل ، بكل موروثها الأسطورى والميتافيزيقى ، لا يصبح للزمن أو للمتغيرات المادية أو الأداث الجارية وزن يذكر ، بل تصبح الحياة وحدة متكاملة شبه ثابتة عبر الزمان والمكان ، وتتحدد فى قطبين للصراع بين الخير والشر ، وقطبين للوجود بين الحياة والموت ، ويتقلص دور الذات الفردية للإنسان ، ليتضخم دور الذات الكلية المهيمنة على الوجود .

هذا هو (تيار المياه الجوفية) الذى يسرى فى أعماق « شديد » ، أو على الأقل فى نسيج لوحاته ، دون افتعال أو قصدية ، وهذا فى ظنى هو المعبر الذى عبر فوقه بسلامة (من الغرب إلى الشرق ـ وبالعكس) فلم يصب بالازدواجية كما أصيب بها الفنانون المصريون السابقون على تجربته أو المعاصرون لها . . إنه ببساطة لم يفكر فى « الأسلوب » تفكيرا مستقلا عن الفكر الذى يقوم فوقه عالمه ، وإنما طرح الأسلوب نفسه كانعكاس طبيعى لحواريات الميتافيزيقية .

من ذلك مثلا أن النور ـ الذى يشكل عنصرا رئيسيا فى أسلوبه ـ لا يشع من مصادر واقعية أو أكاديمية ، كما يتم فى المراسم ، بل هو نور ضبابى مبهم المصدر ، أو قل إنه يشع من ذات الخالق أو الخليقة ، أو من ذات الفنان التى ذابت فى (النور المصرى) الذى يُرى بالبصيرة .

ومن ذلك أيضا : أن الشكل الهرمى ، والتكوين الثلاثى المقاطع أو المشخصات ، يمثلان عنصرين أساسيين فى عديد من اللوحات . . والهرم كما نعلم يتسق مع فكرة تجمع أشعة الشمس ـ مصدر الوجود والقوة ـ فى نقطة محددة عند القمة ، تمد أطرافها إلى كل الوجود وتحتويه ، فضلا عن أنه أكثر الأشكال الهندسية استقرارا وملاءمة للأبدية . . أما الثلاثية أو « الثالوث » فهى فكرة محورية فى الديانتين المصرية القديمة والمسيحية .

كما تتردد فى لوحاته عناصر معينة مثل قارب الشمس ، والمرأة المسترخية (وهى مستوحاة من إلهة السماء « موت ») ، والشمس والقمر ، والسحب المنسابة بنعومة مثل أنهار سماوية من اللاذورد . . . وكلها وحدات تجسد رحلة العبور بين الليل والنهار . . وبين الحياة والموت . . من منظور الأساطير المصرية القديمة .

ولا يعنى ذلك أن كل من يستخدم هذه الرموز فى فنه ينجح فى التعبير عن الروح الأسطورية المصرية ، حيث لا يقتل الفن أكثر من المصطلحات الجاهزة والرموز الشائعة . وكم رأينا أعمالا فنية ابتذلت فيها مثل هذه الرموز حتى أصبحت تذكارات سياحية . . . لكن « شديد » قد تعامل معها تعاملا بالغ الرهافة والشاعرية ، من منظور غير نمطى ، وجعلها تذوب وتتلاشى فى النور والضباب ، فكأنه أقام بيننا وبينها حاجزا وهميا يوحى بالزمن والأبدية .

ومن بين الموضوعات التى تلح عليه بين حين وآخر ، موضوع آدم وحواء ، والجنة المفقودة ، وما يحيطه من جو يصاحب فكرة الخطيئة الأولى لآدم بأكله للتفاحة المحرمة ، وهبوطه إلى الأرض .

وتسيطر على « شديد » فكرة الكنوز المدفونة داخل الأرض ، تبدو فى شكل مومياوات وقوارب وتماثيل وحلى من حضارات متعاقبة ، توجد داخل مقابر أو تجاويف صخرية أو خانات منتظمة فى مربعات هندسية لا نهائية العدد . .

ولأنه مغرم بهذه التقسيمات الهندسية ، نراه فى بعض اللوحات يرسم صورة داخل الصورة ، محددة بمستطيل مستقل عن اللوحة الأصلية ، فيبدو كنافذة إضافية تطل إلى الأعماق ، تخلق رؤية مزدوجة فى خطين متوازيين داخل اللوحة الواحدة .

والتكوين فى لوحات « شديد » ثلاثى الأبعاد ، وكذلك الأشخاص والأشكال المجسمة ، التى لا يعمد إلى تحريف نسبها أسوة بمدارس الفن الحديث ، لكنها بالرغم من ذلك لا توحى بالمحاكاة الواقعية ، أو حتى تستلفت كثيرا نظر الرائى ، ليرى ما إذا كانت مجسدة أو مسطحة . . . ذلك أن الجو الأثيرى الذى يغلفها جميعا قد أذاب التفاصيل والمعالم وأصبحت أقرب إلى الهمس الشعرى .

أما اللون . . فإن الأصفر الذائب فى الرمادى والبرتقالى ، والأزرق الفضى المتدرج حتى العتمة ، يلعبان البطولة اللونية فى معظم اللوحات ، وهما حميما الصلة بالمناخ الصحراوى وبالجو المصرى الأسطورى الذى تسبح فيه كائناته . . . إنها ألوان شفافة شديدة النعومة ، حتى أنك لا تجد فيها أثرا للمسة فرشاة ، وكأنها وضعت بطريقة « البخ » ، لكن هذه النعومة وتلك الشفافية كانتا العامل الحاسم فى إضفاء الجو الأثيرى الذى أشرت إليه .

ماذا أخذ شديد ـ إذن ـ من الفن الأوروبى ؟ . . نستطيع أن نلاحظ أنه استوعب كل المدارس والاتجاهات وتمثلها ثم نحّاها جانبا . . . فأعماله قبل عام ٨٧ توحى بالعديد من التأثرات بهذه المدارس ـ خاصة السريالية والتعبيرية ـ كما توحى بحيرته بحثا عن أسلوب خاص ، لكن أعماله الجديدة ـ التى تنتمى غالبا إلى عام ٨٧ ـ تؤكد أن هذه التأثرات أصبحت خلفية بعيدة ، أو بطانة لا تكاد تحس ، لرؤيته التعبيرية والجمالية .

وهذا ما يجعلنا نترقب باهتمام تجاربه القادمة ، التى سوف تحكم على مدى عمق هذه الرؤية التعبيرية والجمالية فى إبداعه . وفى ظنى أن « شديد » قد نجح فى أن يحرر أعماقه من المخزون الحضارى الميتافيزيقى المتوارث ، الذى كان يجثم على مخيلته ووجدانه ، والذى يعد خلاصة لتخمر مشاعر الغربة والحنين الرومانسى ، ولخبرات الدراسة الأكاديمية والمنهجية فى علم المصريات ، بعد أن أخرجه إلى النور فى شكل لوحات هى ـ بالرغم من جمالها وصدقها ـ تعد بداية المطاف ـ وليس نهايته ـ بالنسبة إليه . . وقد نأمل فى أن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يطل علينا فى معرضه القادم برؤية عصرية تتجاوز مصر الماضى إلى مصر الحاضر التى تتغير مع الأحداث والزمن . . وليست مصر التى يحب أن يراها المثقف الأوروبى فى « برواز » مذهّب بكنوز التاريخ . . كما قرأ عنها فى كتب الحضارات .

القاهرة : عز الدين نجيب

ARCHIVE
http://Archive.beta.Sakhrit.com

رحلة العبور إلى الأبدية في لوحات الفنان

عبد الغفار شديد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

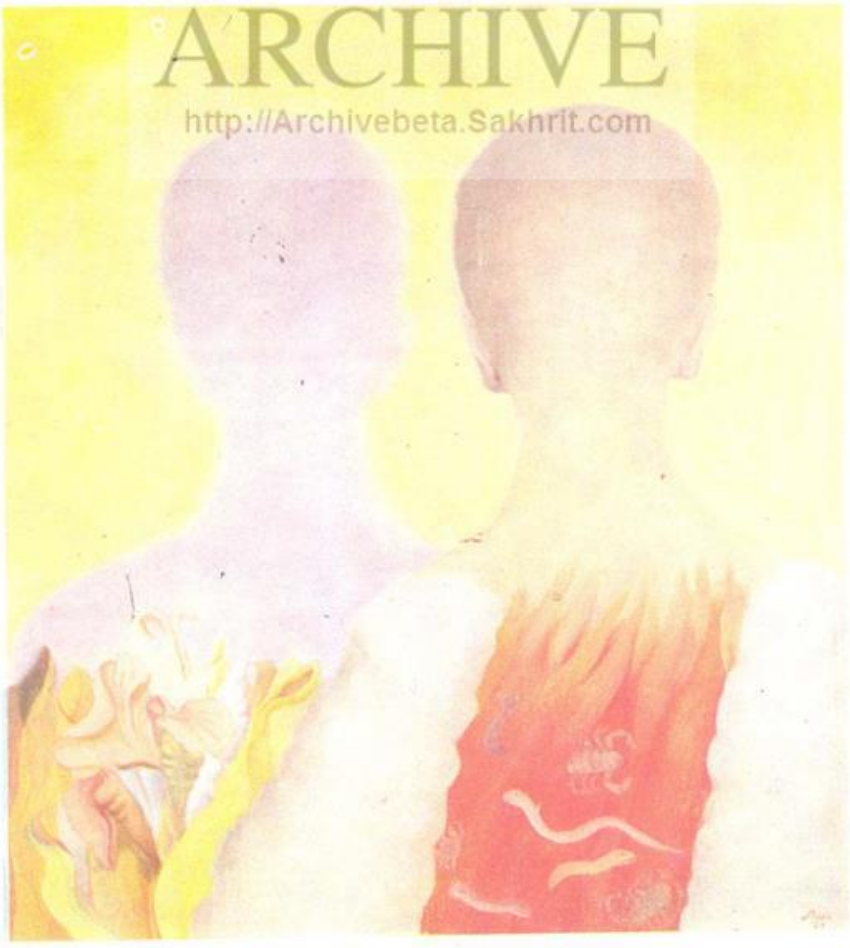

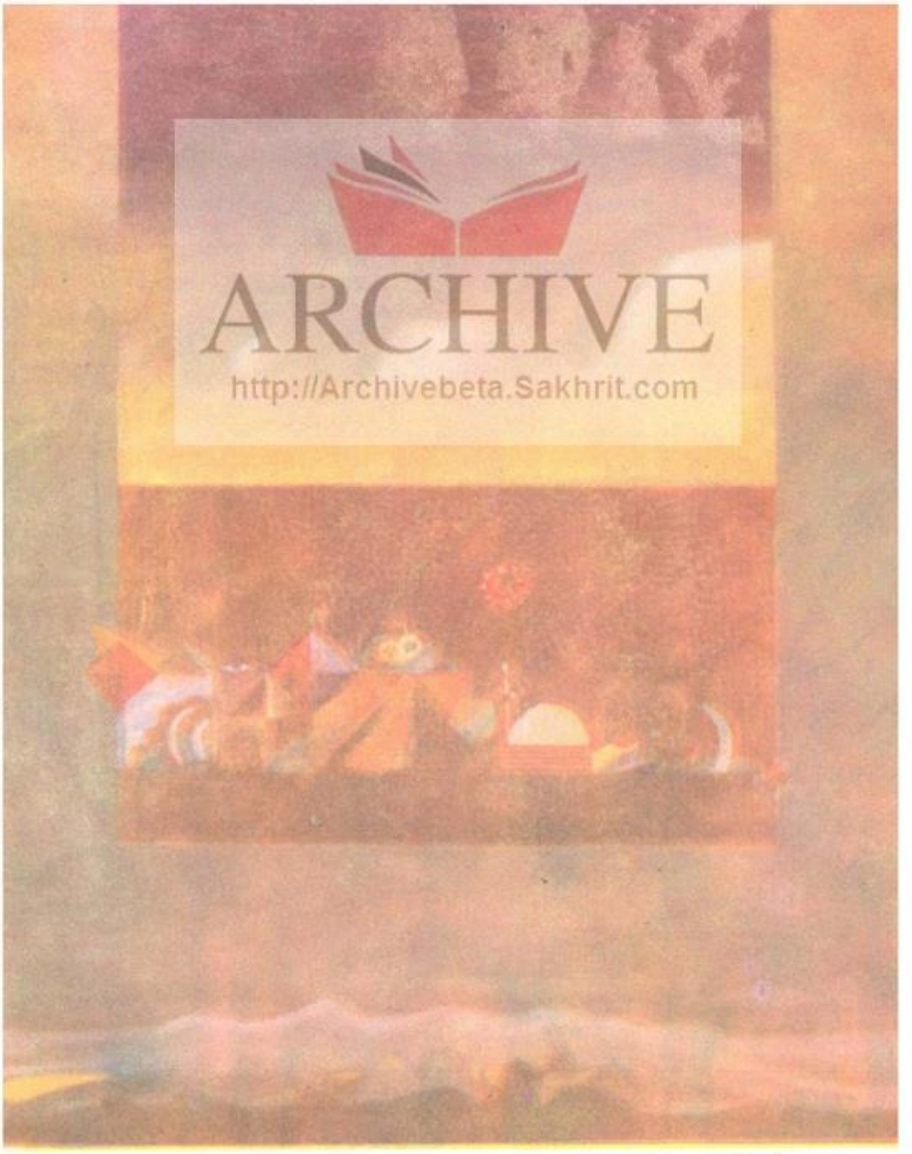
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

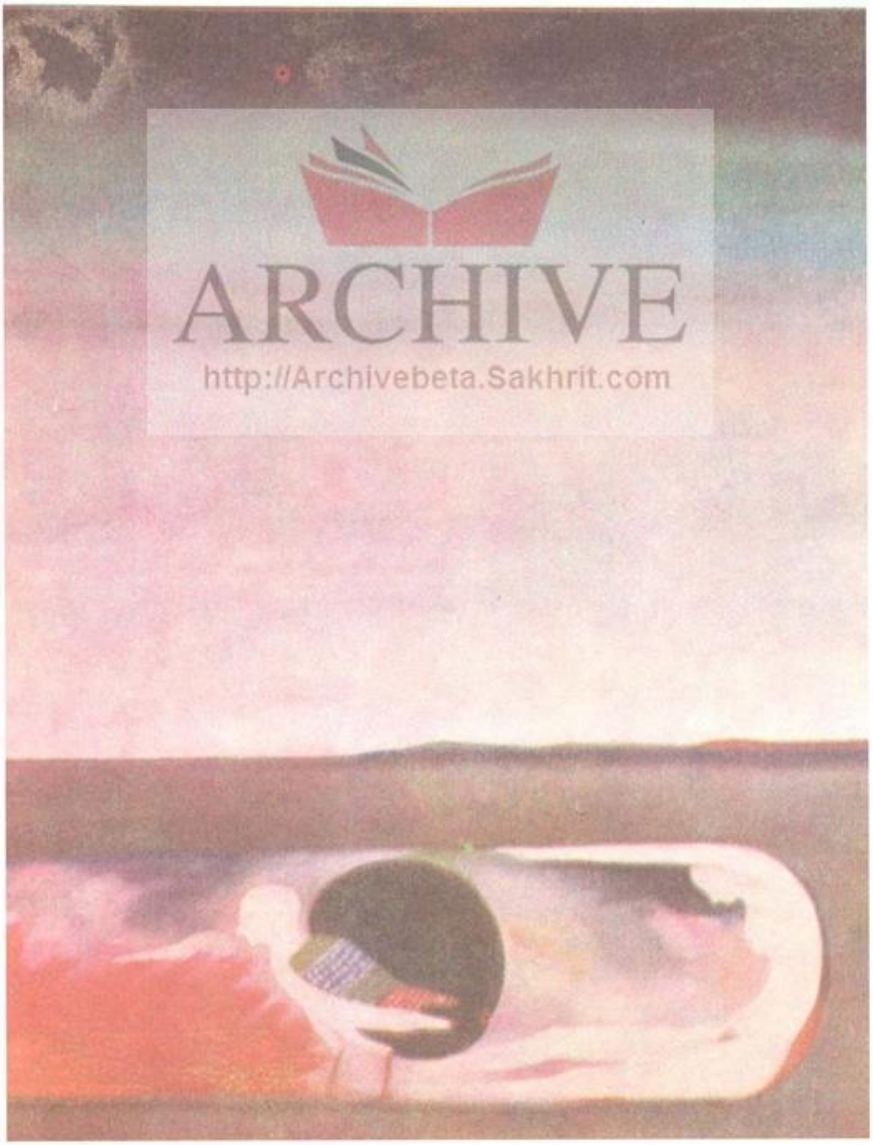
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

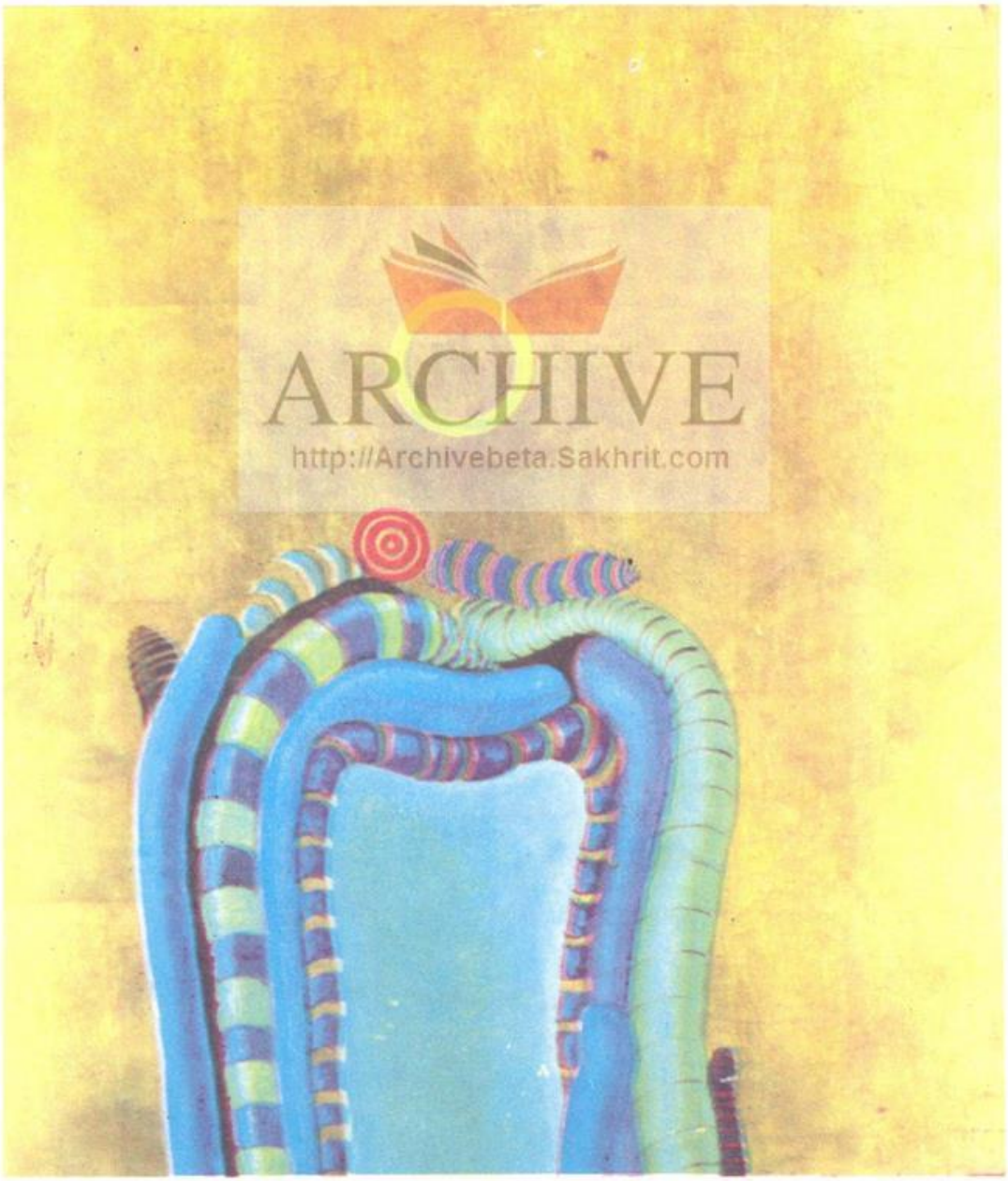
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

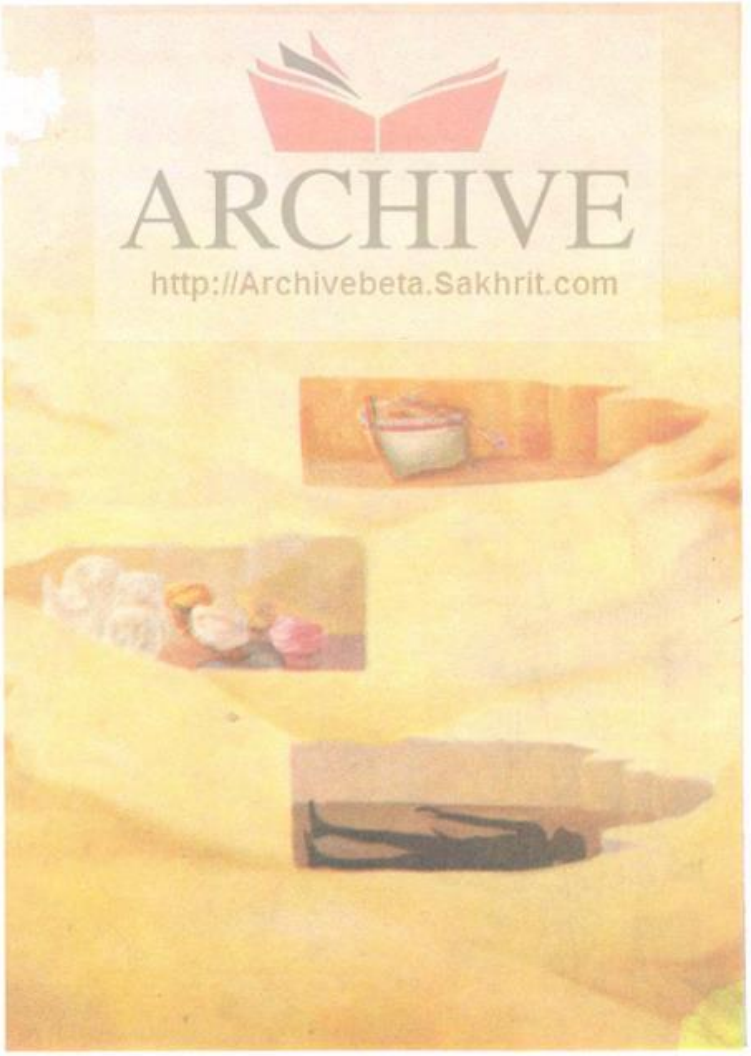
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صورتا الغلاف للفنان عبد الغفار شديد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
رقم الايداع بدار الكتب ٦١٤٥ - ١٩٨٨

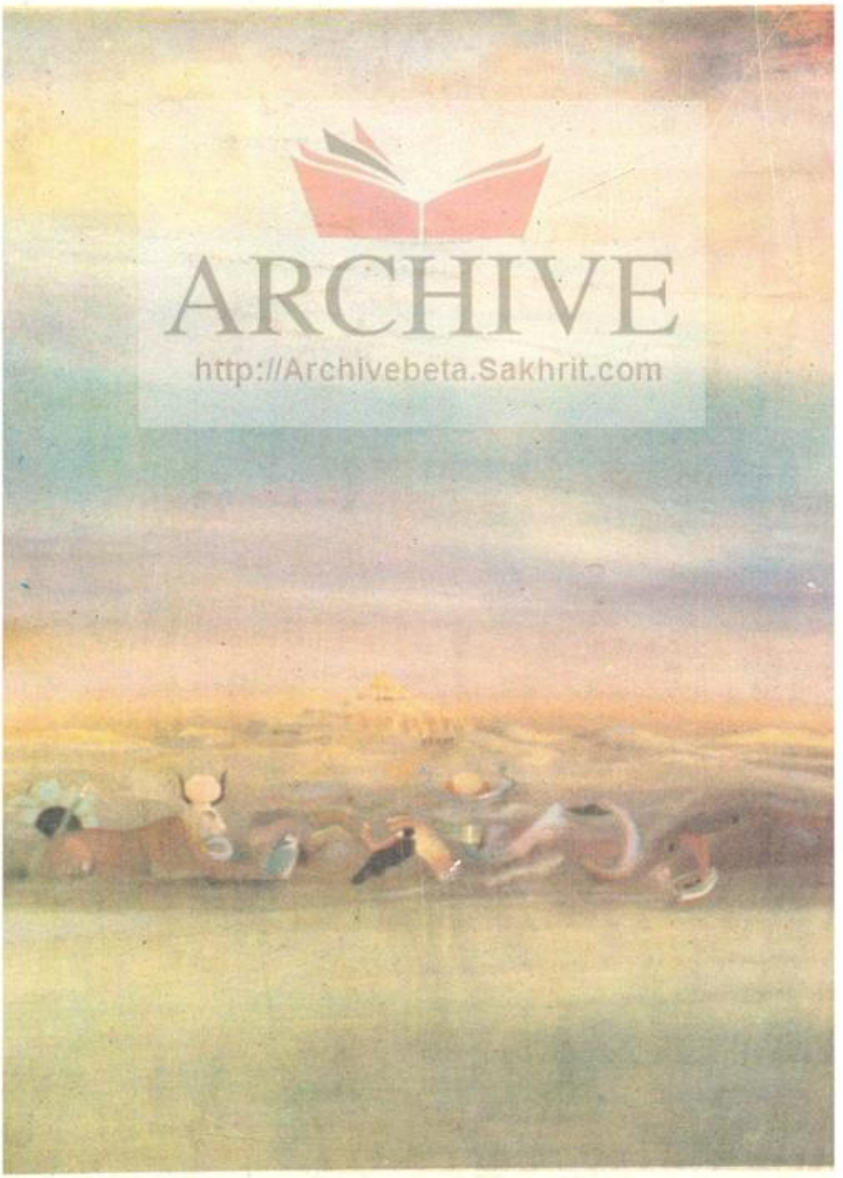
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com